

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة-

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



الأسطورة في ديوان سميح القاسم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

- فاطمة دخية

إعداد الطالبة:

-أمال دهان

السنة الجامعية:

1436/1435هـ

2015/ 2014م

لطالما عد الشعر بشارة للغد، لا تأريخا للأصل لذا فقد كانت وظيفته دوما

الاستشراف والرؤي، وليس مجرد التسجيل ومن هنا صار سيفا بتارا، لا وردة وديعة تعلق في عروة حامل السيف، وأصبح فاعلا مقاوما، إلا أن عدد غير قليل من الشعراء أخذوا على عاتقهم مهمة جعل الكلمة سلاحا من أسلحة المقاومة .

لذا تعد الأسطورة مظهرا لافتا للانتباه في الشعر المعاصر الذي أصبح حقا خصبا لها؛ لأنها بنية معرفية عميقة تتعلق بمعتقدات الشعوب، أعرافها وتقاليدها، ونظرا لظروف العصر الراهن لجأ إليها الشاعر لما يرتبط بها من أحداث مهمة، بحيث أصبح استدعاؤها فضاء لإغناء تجربته الشعرية، ومرآة عاكسة لواقعه تكشف الكثير من المعاني التي يصعب الحديث عنها مباشرة، وبالتالي أضحت الأسطورة نصا مرجعيا تتعلق به القصيدة مما يكسبها قوة تعبيرية ذات أهمية، وقد يكون النص المرجعي نصا دينيا، تاريخيا أو أدبيا أو غير ذلك.

فقد شكلت الأسطورة حضورا متميزا في ديوان الشاعر "سميح القاسم" إذ اتكأ فيها على جملة من الرموز حاول من خلالها تقديم قراءة لهذا الواقع يكشف من خلالها عن مواقفه وما يعانیه من مرارة وقهر بأساليب تعبيرية مفعمة بالدلالة .

ومن أسباب اختيارنا لهذا البحث أن الأسطورة عرفت انتشارا واسعا في الشعر العربي المعاصر عموما وفي ديوان الشاعر سميح القاسم على وجه الخصوص، بالإضافة إلى الطابع الروحي والفلسفي الذي تتميز به هذه السمة المميزة له جعلتنا نصر على شعره كمادة خصبة للبحث والدراسة للغوص في مكامن النص الشعري المفعم بالدلالات والجماليات.

وعليه طرحنا الإشكالية الآتية: كيف كان توظيف سميح القاسم للرموز الأسطورية

في ديوانه؟ وما هي الدوافع التي كانت وراء هذا التوظيف؟

إذ اعتمدنا في دراستنا هذه على الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لهذا النوع

من الدراسة القائمة على الوقوف عند مواطن الأسطورة في الديوان.

وكانت خطة البحث مستهله بمدخل تناولنا فيه مفهوم الأسطورة ، ونشأتها كما سلطنا الضوء على أنواع الأساطير ثم تطرقنا إلى ذكر أهميتها ، وبعد ذلك الفصل الأول الذي خصصناه لدراسة تجليات التوظيف الأسطوري في الديوان ضمن العناصر الآتية (الأساطير اليونانية، الفرعونية ، البابلية) ، أما الفصل الثاني فكان مناطا للحديث عن الرموز التي تعددت مصادرها في شعره بين الرمز الديني والتاريخي ، حاول من خلالها معالجة الوضع العام لدى الشعب العربي الفلسطيني، أنهينا البحث بخاتمة قدمنا فيها أهم النتائج.

ومن بين المراجع التي ساعدتنا، وأسهمت في اختيارنا لهذا الموضوع ، وهي في مجملها دراسات سابقة " أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي المعاصر " :لربينا عوض، حيث ركزت على تجليات أساطير الموت والانبعاث في النص الشعري عشري زايد "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر"، ودراسة عبد الرضا علي "الأسطورة في شعر السياب" هذه المراجع وأخرى ساهمت في تحديد مسار البحث ، فكانت خير عون وقد واجهتنا صعوبات عدة منها تشعب المادة الأسطورية والتي خلقت لنا صعوبة في تقسيم البحث إضافة إلى كثرة المراجع التي تتناول هذا الموضوع .

وأخيرا أشكر الله وأحمده حمدا كثيرا على نعمه التي لا تعد ولا تحصى الذي هداني لانجاز هذا البحث، ثم أتقدم بشكري، وتقديري للأستاذة المشرفة دخية فاطمة

أولاً: تعريف الأسطورة

من المصطلحات التي أثارت الجدل في وسط النقاد مصطلح الأسطورة، فهو مصطلح بسيط إلا أنه ضارب بجذوره في العمق، ومن الصعب تحديد ملامحه وضبطه، فقد أخذت الأسطورة عبر تاريخنا عدة دلالات ولإحاطة بالمفهوم الشامل لهذه المصطلح كان لزاماً علينا الرجوع إلى جذورها في التراث، وتبعاً لذلك قمنا بمحاولة اكتشاف مصطلح الأسطورة في النص الأول القرآن الكريم فوجدناها وردت في العديد من السور نجدها في سورة المطففين في قوله عز وجل: ﴿إِذَا تَنَلَّى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾¹، وفي قوله: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾²، ووردت أيضاً في قوله: ﴿وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أَفْ لَكُمْ أَتَعِدَانِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلْتُ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَعْجِلَانِ اللَّهَ وَيَلْتَكِ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾³، وفي قوله عز وجل: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾⁴

والملاحظ لهذه الآيات القرآنية يجدها مرتبطة بمصطلح أساطير الأولين لأن الجدل كان قائماً بسبب الدين الجديد، وقد ورد لفظ أساطير الأولين «على لسان قوم محمد صلى الله عليه وسلم القریشيين الفصحاء الذين سمعوا بالأساطير وهم لم يتصلوا باليونان

¹ -سورة المطففين: الآية 13.

² -سورة الفرقان: الآية 5.

³ -سورة الاحقاف: الآية 17.

⁴ -سورة الانعام: الآية 25.

ويقتبسوا شيئاً من ألفاظهم وكلماتهم ¹ « لأن العرب آنذاك لم يخرجوا من شبه الجزيرة العربية.

وقد ظن بعض الباحثين أن الكلمة مقتبسة من اللغة اليونانية «ف HISTORIA» اليونانية تعني حكاية أو قصة إلا أن كلمة أسطورة تعني حكاية غير حقيقية ، بينما الكلمة ذاتها "HISTORIA" تعني التاريخ»².

في لسان العرب الأسطورة مشتقة سطر بسطر إذا كتب قال الله تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾³ أي وما تكتب الملائكة ، وقد سطر الكتاب يسطره سطرًا وسطره واستطره . قال ابن البرزخ: يقولون للرجل أنه أخطأ فكنوه عن خطئه: أسطر فلان اليوم، وهو الإسطار بمعنى الإخطاء .

الأساطير: الأباطيل وهي الأحاديث التي لا نظام لها ⁴ .

وقد تطورت مدلولات الأسطورة بحسب خلفية تناول، لكن مع الاتفاق على أنها «رواية أعمال إله أو كائن خارق تقص حدثًا تاريخيًا خياليًا أو تشرع عادة أو معتقداً أو نظاماً أو ظاهرة طبيعية»⁵ ، نجد أن الإنسان آمن بمعتقدات وارتبط بها رغم أنها حافلة بالخوارق والمعجزات، كما أنها كانت « بمثابة الدستور الاعتقادي الذي يفسر الحاضر ويؤمن بالمستقبل ، فكانت ذات غايات عملية تهدف إلى ترسيخ عادات اجتماعية أو تدعيم سلطة عشيرة أو إقامة نظام اجتماعي»⁶ ، فهي بهذا ترتبط بنظام تعمل على ترسيخه وتدعيمه، ومع ذلك البعد المعتقداتي للأساطير نجد غياب البعد المنطقي فيها «إنها تشمل

¹ - الأسطورة توثيق حضاري، قسم الدراسات والبحوث، جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، دار كيوان، سوريا، 1ط، 2009، ص22.

² - حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، دط، 1998، ص18.

³ - سورة القلم: الآية 1.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، م4، مادة سطر، دار صادر، بيروت، ط1، 1990، ص363.

⁵ - أمين سلامة: الاساطير اليونانية والرومانية، مكتبة النهضة المصرية، دط، دت ، ص7.

⁶ - سيد القمني: الاسطورة والتراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ط3، 1999، ص29.

كل ما ليس واقعيًا ، أي كل ما لا يصدق العقل .. فكل قصة تعتمد على أسس غير عقلية ، أو تبرر بمبررات غير عقلية لا يكون ثمة شك في أنها نتاج لخيال أسطوري «¹؛ لأن الخيال أداة لتوصيل الحقيقة فهو مصدر الإلهام وبهذا يعتبر الخيال عملية ذهنية عقلية ، وتبعًا لهذه العملية قال علماء الأنثروبولوجيا بأن «الأسطورة ليست بدعة ولا وهم ولا تهيئات من وضع الخيال أما خلط الأسطورة بالبدع والوهم والخيال فتقع فيه جميع مناهج البحث العلمية المطبقة على الميثولوجيا»² ، وهذا ما يؤكد مرسيا الياد فهو يرى أن «الأسطورة ليست وهما ولا كذب وإنما هي تجربة وجودية ترمز إلى واقع مقدس يدرك من خلاله الإنسان عالم الغيب»، وبهذا تصبح الأسطورة «ركن أساسي من أركان الحضارة الإنسانية تنظم المعتقدات، وتعززها وتصور المبادئ الأخلاقية وتقومها، وتضمن فعالية الطقوس، وتتطوي على قوانين عملية الخلق»³ ، فهي تحاول أن تنير جوانب النفس الإنسانية ، وبهذا فالمجتمع الذي يفقد أساطيره يعاني كارثة أخلاقية تعادل فقدان الإنسان لروحه.

وعليه ف«الأسطورة كلمة يحيطها سحر خاص يعطي لها من الامتداد عبر المكان وعبر الزمان .. توحى بالعطاء المجنح للعقل والوجدان الإنساني توحى بالحلم حين يمتزج بالحقيقة وبالخيال، وهو يثري واقع الحياة ليخلق منه دنيا جديدة»⁴ ، وبعد كل هذه المفاهيم للأسطورة كان من الصعب الإمساك بالتعريف المناسب إلا أن التعريف الذي يبدو أكثر شمولية هو أن «الأسطورة تتكون من رواية أفعال قامت بها كائنات عليا ، وتعتبر هذه الرواية قصة حقيقية مقدسة تتعلق بشيء جديد ظهر إلى الوجود ، كما تعرفنا

¹ - علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، القاهرة، دط، 1997 ،

² - ألكسي لوسيف: فلسفة الأسطورة، تر: منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2005، ص41.

³ - الأسطورة توثيق حضاري: قسم الدراسات والبحوث، ص24.

⁴ - فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004، ص3.

الأسطورة على أصل الأشياء»¹، وهي بهذا تبقى محاولة من الإنسان لتأكيد وجوده ورغبته في البقاء، وبهذا وصل الأمر بالقديس أوغسطين للقول: «إنني أعرف جيدا ما هي بشرط ألا يسألني أحد عنها، ولكن إذا ما سئلت وأردت الجواب فسوف يعتريني التلكؤ»².

وهكذا مرت الأسطورة بمفاهيم عدة حتى وصلت لما هي عليه الآن.

ثانيا: نشأة الأسطورة

قدم العديد من الباحثين والدارسين للأسطورة تفاسير حول نشأتها وبيان ولادتها فمنهم من ذهب للقول بأنها تعود إلى العصور البدائية الأولى حينما راح الإنسان يتساءل حول الكون، وفي هذه المسألة لم يجد أمامه إلا الطبيعة كملاذ أول يسعى من خلالها تفسير ما يدور حوله من ظواهر كونية ومصيرية يرى جيمس فريزر في كتابه "الغصن الذهبي" أن «الأسطورة نشأت علما بدائيا يهدف إلى تفسير الحياة وطبيعة الإنسان وأنها متأخرة عن الطقوس»³، فتجد فيها إثباتا لجانب الكلام على الحركة (تأخر الطقوس).

ففي محاولة تفسير الأسطورة يقرر توماس بوليقينشي في كتابه "ميتولوجيا اليونان وروما" وجود أربع نظريات في أربع نظريات في أصل الأسطورة وهذه النظريات هي:

- النظرية الدينية:

ترى أن حكايات الأساطير مأخوذة من الكتاب المقدس مع الاعتراف بأنها غيرت أو حرفت⁴، للنظرية الدينية منحى مفاده ان كل القصص والحكايات التي ترويهما الأساطير تستقى من الكتاب المقدس كمصدر أول لها إلا أنها لم تؤخذ كما هي بل زيفت وحرفت عن صورتها الأصلية وهذا ما يؤكد

¹- ميرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991، ص21.

²- الأسطورة توثيق حضاري: ص12.

³- محمد عجيبة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرابي، ط1، لبنان، 1994، ص41.

⁴- الأسطورة توثيق حضاري، ص31.

- النظرية التاريخية:

تذهب إلى أن أعلام الأساطير عاشوا فعلا وحققوا سلسلة من الاعمال العظيمة ، ومع مرور الزمن أضاف إليهم خيال الشعراء ما وضعهم في ذلك الإطار الغرائبي الذين يتحركون خلاله في جو أسطوري¹ تذهب النظرية التاريخية إلا ان الأسطورة حقيقة تاريخية تجسدت من خلال أعلامها الذين عاشوا تلك الحقبة من الزمن وحققوا العديد من النجاحات والانتصارات ، ولكن خيال الشعراء الواسع أضاف إليها ذلك الطابع العجائبي .

- النظرية الرمزية:

تفترض أن أساطير الأقدمين مجرد مجاز ومع مرور الزمن استوعبها الناس، ترى هذه النظرية أن الرموز الأسطورية هي من صنع الخيال ولا علاقة لها بالواقع لكن الزمن هو الذي اكسبها هذه الصفة وتداولها الناس على صورتها الحرفية التي عرفت بها مثلا: ساتورن يأكل أولاده أي الزمن يأكل كل ما يوجد فيه.

- النظرية الطبيعية:

بمقتضى النظرية الطبيعية يتم تخيل عناصر الكون من ماء، وهواء، ونار في هيئة أشخاص أو كائنات حية أو أنها تختفي وراء مخلوقات خاصة ، وعلى هذا النحو وجد لكل ظاهرة طبيعية أسطورة² تعود النظرية الطبيعية في فحواها إلى أن الأسطورة في أصلها تمتد في أصلها إلى ثلاث مركبات أساسية إذ كل واحد من هذه العناصر يشكل تصور لأسطورة ما.

¹- الأسطورة توثيق حضاري، ص31.

²- المرجع نفسه، ص31.

ثالثاً: أنواع الأساطير

تختلف الأساطير على حسب الموضوع الذي تتناوله، وبما أننا لا نملك نماذج أسطورية من الأدب العربي ، فسندم نماذج لأنواع الأسطورة بغض النظر عن مصدرها إلا أنه يمكن تصنيفها حسب موضوعها ووظيفتها إلى:

1 الأسطورة الطقوسية :

تمثل الجانب الكلامي لطقوس الأفعال بحيث أنها تسترجع الموقف الذي تصفه ويمكننا أن نقدم أسطورة أوزوريس مثالا على ذلك ، فأوزوريس هو إله الخصب يموت مع فترة انتهاء الخصب ، ويحيا مع عودتها، ولذلك فهو على علاقة بطقوس ونحكي القصة¹.

2 أسطورة التكوين :

تصور لنا عملية خلق الكون، ومثال ذلك أسطورة التكوين البابلية التي كانت تغنى في اليوم الرابع من عيد رأس السنة، فتقول انه في البدء كان عنصر الذكورة يتجلى في الماء العذب والأنوثة في الماء المالح، ولما تم المزج ولد مومو، وهو عبارة عن الكلمة ... فنرى هنا ثلاثة عناصر من عناصر التكوين التي عرضت لها كتبنا السماوية، وعبر عنها القرآن أحسن تعبير وأقصد بهذه العناصر (الماء) وفكرة (الزوجية) و(الكلمة)². يحاول الإنسان من خلال الاسئلة التي يطرحها حول نشأته وأصل تكوينه انطلاقاً من تأمله لما يدور حوله باحثاً عن جواب يشفي غليله في التفتيش عن الحقيقة الخفية ، وبهذا الشكل تتبلور أسطورة التكوين.

¹- ينظر: نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الادب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، دت، ص16.

²- المرجع نفسه، ص17.

3 الأسطورة التعليلية :

يحاول الإنسان البدائي من خلالها أن يعلل ظاهرة تسترعي نظره ، ولكنه لا يجد لها تفسيراً مباشراً، ومن ثمة فهو يخلق حكاية أسطورية تشرح سر وجود هذه الظاهرة. مثلاً ظاهرة الخط الأسود في حبة الفاصوليا ، لما عجز الإنسان عن تفسير الخط الأسود في حبة الفاصوليا لجأ إلى الأسطورة ، والتي مفادها أن كل من العود والفحم المتوهج وحبة الفاصوليا حاولوا عبور بحيرة إذلقى العود بنفسه في البحيرة ، عبرت حبة الفاصوليا البحيرة في رضاء تام ، أما قطعة الفحم فزعت لمنظر المياه فأحرقت عود الحطب لما رأت حبة الفاصوليا ذلك إنفلقت من الضحك ، ولحسن الحظ وجدها خياط كان يعبر البحيرة فحاطها باللون الأسود، ومن ثم أصبح لحبة الفاصوليا هذا الخط حتى اليوم¹ . تبحث الأسطورة التعليلية عن السبب الذي أوجد الظاهرة من خلال خلق حكاية أسطورية لتفسير ما يدور حوله - الإنسان البدائي - ويلفت انتباهه للتأقلم والتواصل مع بيئته.

4 الأسطورة الرمزية :

تتضمن رموزاً تتطلب التفسير نقدم نموذجاً ممثلاً في أسطورة بيسيثيا وكيوبيد تحكي الأسطورة أن الإلهة فينوس تميزت إغتاظت من بيسيثيا الجميلة ، فاستدعت ابنها كيوبيد وأمرته أن يقتلها بسهامه ، ولكنه أغرم بها ولم يقتلها ... ثم راحت بيسيثيا في نوم عميق ، فوجدتها كيوبيد نائمة فطبع على فمها قبلة ، فاستيقظت تزوجها وكشف لها عن حقيقة نفسه كل هذا يشير إلى أن الأسطورة تتضمن رموزاً تستحق التفسير² .

¹- ينظر: نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الادب الشعبي، ص18.

²-: المرجع نفسه، ص20.

5 - أسطورة البطل الإله :

يتميز فيها البطل بأنه مزيج من الإنسان والإله الذي يحاول بما لديه من صفات أن يصل مصاف الآلهة ، ولكن صفاته الإنسانية تشده دائما إلى العالم الأرضي¹ .

ويقسمها أحمد كمال زكي إلى أربعة أقسام وهي: «الأسطورة الطقوسية، التعليلية، الرمزية والأسطورة التاريخية هي تاريخ وخرافة»².

ويرى آخر أن الأسطورة تنقسم إلى:

1 الأسطورة التعليمية:

ذات مضامين تعليمية فقد اهتمت بتعليم مبادئ الزراعة وفنونها.

2 الأسطورة الوعظية :

تحت على التزام الحكمة وبناء القيم ، وتأسيس علاقة سليمة بين الإنسان والرب ، وتحذر من عصيانه.

3 الأسطورة العلمية:

تتحدث عن قضايا علمية كالخلق والتكوين، وهي من الأساطير التي تبهر العقل لتضمنها معان عظيمة عن خلق الكون، السماء، والارض، وخلق النبات والحيوان والنبات والإنسان³.

¹ - نبيلة ابراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص22.

² - عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، ص19.

³ - الأسطورة توثيق حضاري ، ص71.

4 أساطير الأبطال:

تدور حول شخصيات صالحة تركت بصمات بارزة في التاريخ القديم كالأنبياء والملوك إذ البطولة تؤثر في الحضارة ، ومثال ذلك أسطورة جلجامش ملك أوروك السومري في ملحمة الطويلة ومغامرته مع صديقه أنكيكو¹.

بعد أن استعرضنا جميع أنواع الأساطير توصلنا وخلصنا أن الإنسان البدائي عندما ينظر إلى الكون الفسيح يضيع في تأملاته وتساؤلاته أدى إلى نشؤ الأساطير.

رابعاً: أهمية توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري

هناك من يقول الشعر وليد الأسطورة ، ففي حديثنا عن علاقة الأول بالثاني لابد أن نشير بداية إلى العصر الحديث، وأن هناك الكثير من الأدباء والشعراء الذين حاولوا أن يتخذوا من الأساطير مادة للتلميح والإيحاء ، وعليه يمكن القول: «إن ما يجمع الأسطورة بالشعر هو التجربة الإنسانية التي تترجمها اللغة بمختلف إحياءاتها وتلميحاتها وتصريحاتها»²، فغدت أهمية توظيف الأسطورة والرموز الأسطورية في القصيدة الحديثة والمعاصرة من كون الرمز يشكل صورة حسية مولدة للمعنى ، ويكشف استدعاء الرموز الأسطورية عن القيمة الدلالية والجمالية التي يحققها الرمز في سياق النص الشعري لأنه «عندما يتجاوز الشاعر مستوى مجرد ذكر الأسطورة أو الرمز الأسطوري إلى مستوى الاستلهام والاستحياء والتوظيف من خلال خلق سياق خاص يجسد تفاعل الأسطورة مع التجربة الشعرية»³، والشاعر بهذا التوظيف يعيد تشكيلها بما يجعلها تتفاعل مع التجربة الشعرية للقصيدة.

¹ - الأسطورة توثيق حضاري ، ص78.

² - كلود ليفي ستراوس: الأسطورة والمعنى، تر:شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986، ص27.

³ - عبد الرحمان القعود: الإبهام في شعر الحداثة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص21.

إن أهمية استحضار الأسطورة يعني العودة إلى التاريخ، وبهذا رأى الشاعر المعاصر في الرمز الأسطوري هروبا من الواقع، فوظف الرموز الأسطورية أملا في الحرية عبر دلالاتها مما جعل الشعر الحديث غامضا في بعض الأحيان .

ومن أسباب عودة الشاعر إلى الرمز الأسطوري أيضا تقليد للشعر الغربي، وقد ساهم (ت.س. إليوت) في قصيدته (الأرض الخراب) في التأثير على الشعراء المعاصرين ولفت أنظارهم إلى هذا العنصر الفني. بالإضافة إلى الجاذبية الخاصة للأسطورة «فهي من الناحية الفنية تسعف الشاعر على الربط بين أحلام العقل الباطن، وأحلام الواقع، وربط التجربة الذاتية، بالتجربة الجماعية وتفتح أفقا واسعة للتنوع في تراكيب القصيدة وبنائها»¹.

وقد عاد الشاعر المعاصر للأسطورة لتكون رمزا يبني عليها عوالم يتحدى بها المنطق، كما عالجوا بها مواضيع شتى قضايا سياسية، اجتماعية عبروا من خلالها على البطولة والتجدد فوظفوا تموز وعشتار وجلجامش...

أما بدر شاكر السياب فيعيد استخدام الشاعر الحديث للأسطورة إلى «انعدام القيم الشعرية والفنية في حياتنا المعاصرة ، لغلبة المادة على الروح ، ونحن في عالم لا شعر فيه لأن الأشياء التي كان في وسع الشاعر أن يقولها ويحولها إلى جزء منه أصبحت تتحطم واحدا واحدا .عاد إلى الأساطير والخرافات التي لا تزال تحتفظ بحرارتها ليستخدمها رموزا، ويبني منها عوالم جديدة يتحدى بها الواقع»²

¹ - إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978، ص9.

² - كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة(دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية)، دار المطبوعات الجامعية، الاسكندرية، 2007، ص584.

ويقول أيضا: «ان الأسطورة الآن ملجأ دافئ للشاعر ، وان نبعها لم ينضب ولم يستهلك بعد ولهذا تراني ألجأ إليها في شعري كثيرا»¹ لأن الشاعر العربي لاقى الظلم والمهانة ، مما كسر شموخه الإنساني ، فلجأ إلى الرموز الأسطورية التاريخية الموحية هربا وخوفا من سلطة هذا الواقع.

بالإضافة إلى ذلك أن توظيف الشاعر المعاصر للأسطورة يضفي على عمله الإبداعي «عراقة وأصالة ويمثل نوعا من امتداد الماضي في الحاضر، وتغلغل الحاضر بجذوره في تربة الماضي الخصبة، كما أنه يمنح الرؤية الشعرية نوعا من الشمول والكلية»² وبهذا يجعلها تتخطى حدود الزمان والمكان لأنها تحمل دلالات إنسانية لم تفقد قيمتها خلال التطور الذي نعيشه اليوم.

وبلخص أنس داود الغاية من استخدام الرموز الأسطورية في القصيدة الشعرية بمايلي:

- 1 - كما وجده شعراؤنا من حاجة الشعر العربي إلى الخروج عن دائرة الغنائية الذاتية التي عاش فيها في إنتاج الشعراء الرومانتيكيين، والدخول به إلى دائرة الأعمال الموضوعية التي لها وجودها المستقل نشدانا لتحقيق ما دعا إليه إليوت من إيجاد معادل موضوعي للمشاعر والأفكار .
- 2 - تحقيق الإحساس بوحدة الوجود الإنساني حيث يجدون في الأساطير الماضية تعبيراً عن الحاضر المعاش .
- 3 - الاقتصاد في لغة الشعر بتركيز التعبير وتكثيف الدلالة.

¹ - إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب، (دراسة أسلوبية لشعره)، دار وائل للنشر والتوزيع،

¹ ط1، الأردن، 2008، ص130

² - كامل بلحاج، أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، ص50.

4 -التعبير عن بعض المضامين بصورة غيرية حتى لا تثير السلطات السياسية والاجتماعية¹.

وبهذا يمكن القول أن الأسطورة تعتمد على الصورة الشعرية للتعبير عن الأفكار بلغة مقتصدة من خلال بنيتها المكثفة الدلالة، وقدرتها على خلق سياق تاريخي جديد.

إذا فسميح القاسم رغب في صنع أسطورة الفلسطيني ، ويدخل في عالم تزول منه الحواجز السياسية والاجتماعية، والحدود التاريخية والجغرافية وهذا ليس عملا سهلا إلا أن سميح وظف الأسطورة في أكثر من موضع في ديوانه ، وهذا يدل على ثقافته العالية.

¹ - محمد عبد الرحمن يونس: مداخل نظرية في الأسطورة وأهميتها وتوظيفها في الخطاب الشعري،

تمهيد

لجأ الشاعر المعاصر إلى توظيف الأسطورة لأنها تحمل همومه وتجسد واقعه المأساوي، فمع بداية الخمسينات وما عرفته هذه الفترة من صراع عربي إسرائيلي وجد الشاعر نفسه أمام هذه الظروف يعالجها ويعبر عنها، وذلك بالعودة إلى تاريخ الشعوب بأساطيرها ورموزها و نقلها لنا على شكل قصص راح يعبر بها وكأنه يريد أن يخلقها من جديد «الأمر الذي جعل الشعراء يبحثون عن ميلاد جديد وبعث جديد سبيلا لا مفر منه للخلاص من الفراغ الذاتي والجماعي»¹ ، فكان تركيزهم على رموز الانبعاث والتجدد والخلق التي وجدوها مجسدة في شخوص أسطورية كتموز، وسيزيف، و أوزوريس «فهم يعيدون لها طاقاتها التي فقدتها في عصر العلم والتكنولوجيا فيلتمسون فيها بعثا جديدا»². لأن التكنولوجيا قتلت كل شيء جميل كما نجد أن هناك درجة عالية من التشابه بين أساطير الشعوب المختلفة لكن ذلك لا ينفي اختلاف بعض العناصر الأسطورية التي تجلت في حضور توظيفات شعرية مختلفة نسعى لكشف بعض ملامحها.

¹ - علي أحمد سعيد (أدونيس): زمن الشعر، دار العودة، لبنان، ط3، 1983، ص161.

² - كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربي المعاصرة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2004، ص74.

أولاً: الأساطير اليونانية

وظف الشاعر سميح القاسم في ديوانه الأسطورة اليونانية في سياقات شعرية مختلفة تكشف تفاعله مع قضايا وطنه، ومن أشهر الأساطير التي وظفها أسطورة سيزيف ، وأسطورة أوديسيوس ، وأسطورة أوديب

1- أسطورة سيزيف

سيزيف ملك خرافي أسس مدينة كورنثا اشتهر بالمكر والدهاء حكم عليه بعذاب أبدي قائم على أن يدفع صخرة من أسفل الجبل إلى أعلاه، فإذا بلغ القمة تتدحرج الصخرة إلى أسفل مرة أخرى ، وكان عليه معاودة العمل¹.
وقد طرق سميح باب الأسطورة من خلال الأبعاد الرمزية لأسطورة سيزيف فيقول في قصيدة " من أجل " :
«من أجل صباح!
نشقى أياماً و ليالي
نحمل أحزان الأجيال
و نُكوكِبُ هذا الليل جراح!
من أجل رغيّف!
نحمل صخرتنا في أشواك خريف»².

يغيب اسم سيزيف في الأسطر الشعرية، ولكنه يتجلى من خلال ذكر الصخرة والشقاء إذ عبرت الأسطورة عن معاناة الإنسان في الحياة، فالشاعر رغم معاناته يحمل صخرة التحدي من أجل التحرر، والإنعتاق محملاً للفظ المعنى الأسطوري ليصل إلى قمة الإيحاء فتنتصر الأسطورة مع الواقع والعصر، وتصبح بذلك معاناة

¹ - ينظر: عماد حاتم: أساطير اليونان ، دار الشرق العربي ، لبنان ، ط2008، 3 ، ص192.

² - الديوان، ص114.

سيزيف هي معاناة الإنسان في كل زمان ومكان وتجلت جمالية التوظيف الأسطوري في شخصية سيزيف من خلال تكرار الفعل والمثابرة عليه.

«إننا جميعا في هذه الحياة نكدح، ونحن نعلم أن هذا كله زائل، وأنه بلا جدوى إننا جميعا سيزيف»¹.

2- أسطورة أوديب:

وظف الشاعر أسطورة أوديب و «أوديب ابن لايبوس ملك طيبة تزوج والدته ولما علم الناس بجريمته انتحرت والدته أما أديب فأعمى عينيه، وبعد ذلك ظل أوديب يتجول تقوده ابنته أنتيجونا» 2 في قصيدة " أنتيجونا " يقول:

« قَدِمْ.. قَدِمْ!

يا قربانَ الآلهة العمياء

يا كبشَ فداء

في مذبحِ شهواتِ العصرِ المظلم

خطوه..

ثنتان..

ثلاث ..

زندى في زندك

نجتاز الدرب الملتاث!

يا أبناهُ

ما زالت في وجهك عينان

¹- موسوعة الأساطير الإغريقية والفرعونية ، منتديات ملتقى العرب، ص20.

²- إريش فروم : الحكايات والأساطير والأحلام، تر:صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1990، ص142.

في أرضك ما زالت قدما
فاضرب عبر الليل بأشام كارثة في تاريخ الإنسان
عبر الليل.. لنخلق فجر حياه

يا أبتاه !
إن تُسْمِلَ عينيك زبانية الأحران
فأنا ملءٌ يدك
مِسْرَجَةٌ تشربُ من زيت الإيمان
و غداً يا أبتاه أُعيدُ إليك
قَسماً يا أبتاه أُعيدُ إليك
ما سلبتكَ خطايا القرصان
قسماً يا أبتاه
باسم الله.. و باسم الإنسان

خطوه..

ثنتان ..

ثلاث..«1.

أول تجل للأسطورة برز في العنوان "أنتيجونا" بالإضافة إلى محتوى الأسطورة ،
فالشاعر تقمص شخصية أنتيجونا التي كانت عين أبيها التي تدله على الطريق ،إلا أن
سميح جعل نفسه النور الذي يهتدي به شعبه ليتحرر من جور العدو ، وذلك بالنضال ،
والكفاح ، والصبر

¹ - الديوان، ص68.

ويقسم بأن يظل إلى جانبه مرة ومرتين وثلاث، وفي هذا تأكيد على استمرار المحاولة على الرغم من كثرة الخيبات في الوصول إلى الهدف، ومن جديد نجد الإسقاط في شعر سميح بين الحدث الأسطوري والواقع فكما دفع أوديب الثمن كذلك تدفع فلسين والشعب الفلسطيني ثمن تخادل الحكام فكان مصيرهم الرحيل والشتات.

3- أسطورة أوديسيوس:

أوديسيوس ملك إيتاكا اسمه الروماني أوليس كان قائدا ماهرا لليونانيين هذه الأسطورة تروي رحلة يوليس ، وفي رحلته هذه يؤسر في جزيرة مدة سبع سنوات ، وأثناء غيابه يتنافس أمراء جزيرة إيتاكا على زوجته إلا أنها كانت تعتذر بأنها يجب أن تكمل نسجها لكنها كانت تفتحه ليلا ... يطلق سراحه ، وفي طريق العودة تواجهه مخاطر كثيرة إلا أنه يصل إلى جزيرته متكررا وأول من يعرفه كلبه¹.

يقول الشاعر في قصيدة "البحث عن الجنة " :

«عبثا تحاول أن تنام

فأحمل عظامك وأمض في الدرب الطويل

تحفك الأخطار جدد رحلة الأحزان في أرض الضياع

القاحل المشؤوم

في بحر الأسى الطامي الذي لايرحم السفن البريئة

تقطع الأبعاد..بالقرصان والملاح

والأطفال والشيوخ العجوز وغادة العذراء

حاملة بفارسها الجميل وزوجة فضلى

وزانية وقديس وإنسان يغامر»².

ومن جديد نجد الأسطورة من خلال الألفاظ الدالة (رحلة الأحزان، أرض الضياع،

¹-ينظر: حاتم علي، أساطيراليونان، دار الشرق العربي، لبنان، ط3، 2008، ص220.

²- الديوان، ص106.

زوجة فضلى) فكما ظلت بنيلوب تنتظر زوجها تظل فلسطين تنتظر البطل المغوار الذي يحررها من الصهيوني المغتصب ،وقد قيدها بحباله وهي تريد أن تتحرر من براثن العدو الغاشم، وبهذا فالشاعر يجسد واقع الفلسطيني في رحلته ولجوئه ومخاطر هذه الرحلة أو الهجرة التي كانت رغما عنه، ويقول أيضا في قصيدة "خطاب في سروق البطالة":

«وعلى الأفق شراع

يتحدى الريح اللج .. ويجتاز المخاطر

انها عوده يوليسيز

من بحر الضياع

عوده الشمس

وإنساني المهاجر

ولعينها , وعينه .. يمينا .. لن أساوم

والى اخر نبض في عروقي ..

سأقاوم..

سأقاوم..

سأقاوم!!«1.

وفي السياق ذاته يجسد القاسم ثورته التي يلمحها في الأفق حيث يتحدى الريح والمخاطر أملا في عودة يوليسيز الفلسطيني إلى أرضه ووطنه عودته من الغربة .

4- أسطورة أثينا:

أثينا ربة الحكمة والمعرفة المحارب التي لا تقهر وليدة هامة زيوس، وابنته المحبوبة وحامية المدائن تعلم البشر الفنون والصناعات².

يقول الشاعر:

¹ - الديوان، ص550.

² - عماد حاتم: أساطير اليونان، ص90

«لم تعرفيني يا أثينا

لم تعرفيني فالوداع إلى الغد

يا أنتيجونا !!

سقراط هذا العصر يرفض كأسه

ويموت باسم آخر في ساحة الإضراب

في المنفى

أو في السجن الذي يصير يوماً مدرسة¹»

الشاعر يودع جميع الأبطال الذين ضحوا بأنفسهم من أجل الوطن، ويرفض أن يتجرع كأس السم التي شربها سقراط ويموت باسم آخر فهو يعرف دور العلماء وخوف العدو من هذه الفئة التي تنتشر الوعي بين الأفراد .

5- أسطورة أورفيوس:

أورفيوس شاعر وموسيقي بارع علمه أبولو العزف، فحرك بموسيقاه الآلهة ، والناس والأشجار ، والأحجار². وجوني الذي لم يكن له شبيه في العزف ، فهولم يخلق للحرب بل للحب والغيتار جنده الرئيس الأمريكي جونسون وساقه إلى الفتام ، وقد عنون الشاعر إحدى قصائده ب: " يوميات جوني غيتار" ولا يخفى علينا ما للموسيقى من تأثير في النفوس حيث يقول:

«في البركة الدكناء

حيث التماسيح ، أفعى الماء

يبدأ يا حبيبتني

دربي إلى الخطيئة

¹ - الديوان، ص720.

² - أمين سلامة: الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة دار العروبة، مصر، ط2، 1988، ص62.

فهنيئاً لي الزاد والثياب والغيتار

ودفتر الأشعار

أغمس غرتي

في الحبر - يا حبيبتني - وأرسم الحداد

على جبينني

الشمع ومن خلال الدمع

أواصل الإنشاد

لحبي المتروك في مدينتي»¹

لقد برع الشاعر في اختياره للأسطورة لأننا باللغة نستطيع التخفي وراء الكلمات ، فهو يصف العدو بالتمساح ، والأفعى ، وأن الفرد الفلسطيني يجند رغماً عنه ، فنرى في الشخصية الأسطورية رمزا للفنان المعذب (الفرد الفلسطيني) العاجز عن تغيير مسار الحياة حيث لا يستطيع أن يبقى مع حبيبته (فلسطين).

كما يبدو تأثر الشاعر بالغناء واضحاً ففي قصيدة "ثورة مغني الرابطة" فهو يجعل

أورفيوس رمزا كاشفاً لأزمة الواقع العربي وقهره فيقول:

«غَنَيْتُ مُرْتَجِلاً ، وكان الشرقُ يحذرُ الارتجال

كانت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال

وأنا أغتني..

وهو يبحث في كهوف الكيمياء

وأنا أغتني..

وهو يرصد بانفعالٍ واشتهاء

¹ - الديوان، ص242.

نجماً يحومُ على المساء
وأنا أغني للبطولة»¹.

نجد الشاعر يغني رغم التحذير ، وهذا دليل على عدم خوفه فهو لا يمتنع عن العطاء رغم ضعفه ، ويتصدى دون هيبة فلم يأبه لهم وهذا التحدي يخفي وراءه نفساً يحدو بها الشموخ إلى الأعلى ، وهذا ما يرمز إلى البطولة.

ثانياً: الأساطير الفرعونية

يستخدم الشاعر الأسطورة الفرعونية ليسقطها على الواقع، ليبرز من خلالها مضامين القصيدة التي تحمل في طياتها تحرير الشعب الفلسطيني من الظلم والنفي ، وتحرير الإنسانية من الإستبداد.

1 أسطورة أوزوريس

أوزوريس المنقذ المصري سيد الفياضانات ، والخضرة كان ملكاً عادلاً يحكم مصر إل أن أخاه ست كان يريد أن يأخذ منه العرش قتله وقطع ، وما كان على زوجته إلا البحث عن الأشلاء ، فجمعتها وركبتها بواسطة السحر وأصبح ملكاً في مملكة الموتى ، وبالرغم من ذلك حملت ايزيس وأنجبت حورس ، فربته إلى أن اشتد ساعده انتقم لوالده² يقول الشاعر في قصيدة "حوارية العار":

أوزوريس

«عبر القرون الدامسات وعبر طوفان الدما

عبر المذلة والخيانة

عبر الكوارث والمخاطر

عبر المسافات السحيقة

عبر انكسار الرافدين

¹ -الديوان: ص213.

² - ينظر: آرثر كورنيل: قاموس أساطير العالم، تر: سهى الطريحي، دار نينوى للنشر، دط، 2010، ص21.

تسبيحة الأفق المكبل.. المكبل للضياء

فإما للزوايا الدكن يا شعبي !

وإما للواء ! !»¹

نلتقي بأسطورة أوزوريس من خلال التصريح باسمه حيث جعله رمزا للعدل بسبب ما لحق بالقضية الفلسطينية من انكسارات ، ومخاطر ، وخيانة، وما واجهته من تحديات لأنه كلما ازداد القهر ازدادت الثورة ،و أوزوريس الفلسطيني يريد حمل اللواء . ويوظف الشاعر أيضا أسطورة "إيزيس " ،وايزيس تعتبر أشهر معبودات المصريين القدماء ،وهي زوجة أوزوريس، وقد كانت في الأول ربة السماء،وتجسد ايزيس الخصوبة التي يجلبها فيضان النيل سنويا².

يقول الشاعر في قصيدة "أوزوريس الجديدة":

«يا زوجتي إيزيس..آلهة مريدة

لن ننتهي في مسلخ القرصان أشلاء شتية

ما كان لنا يا إيزيس أحلام شهيدة

في الأرض نبعثها غدا..

دنيا منورة .. جديدة ! !»³

يقصد الشاعر بإيزيس إيزيس الفلسطينية التي تحمل معاني الإنبعاث في الأرض،

والولادة في دنيا جديدة.

2- أسطورة عروس النيل

تأخذنا أسطورة "عروس النيل" إلى المصريين الذين كانوا يقدمون قربانا للنهر كي لا

يحدث الطوفان أما عن القربان، فكان اختيار أجمل فتاة يزينوها ثم يرمونها في النهر¹

¹ - الديوان، 550.

² -ينظر: آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، ص25.

³ - الديوان، ص574.

وفي هذا يقول:

«لمن تُزَيِّنُونَهَا.. حبيبتى العذراء!

لمن تبرجونها ؟

أحلى صبايا قريتي.. حبيبتى العذراء!

حسناؤنا.. لمن تُزَفِّ ؟

يا ويلكم، حبيبتى لمن تُزَفِّ

للطَّمِي، للطحلب، للأسماك، للصدف ؟

نقتلها، نُحَرِّمُهَا، و بعد عام

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان

و يومها لن يشفع القربان

يا ويلكم، أحلى صبايا قريتي قربان

و نحن نستطيع أن نبتتي السدود

من قبل أن يداهنا الطوفان»²

نبدأ من العنوان العتبة الأولى للنص (عروس النيل) الذي جعله الشاعر دالا على

الأسطورة ناقلًا الحدث الأسطوري جاعلا حبيبته إحدى الفتيات القربان ، وهذا يشير إلى

عجز الإنسان أمام سلطة الطبيعة إذ ولد لديه شعورا بالضعف ، وعليه كان يشترط في

قبول القربان أن تكون منتقاة بعناية، وبهذا يكون الشاعر قد مزج بين أسطورتين :

عروس النيل والطوفان ، فكان ذلك مزجا فنيا ينم عن قدرة الشاعر «فتطعيم القصيدة

- ينظر: أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، دط، مصر، 1953،

¹ص405.

²- الديوان، ص120.

بالأساطير التي تتكاثف دلالتها الرامزة المثبتة في كل أسطورة على حده، لتسير في مجرى واحد يخدم الهدف العام لتوظيفها¹، لكي لا يحدث تصادم في الأفكار التي ترتبط بالهدف العام للقصيدة، فالشاعر لعدم تقبله الأمر يضع الحل لتجنب التضحية بالقربان (فلسطين)، وذلك ببناء السدود، فهو بهذا يعبر عن رفضه للظلم كما اقترح الحل المعالج.

القربان أيضا يعكس الممارسات المستبدة؛ إذ أصبح اليوم لا يمكن التعامل مع السلطة إلا عن طريق الممارسات غير الشرعية مثل الرشوة التي يرمز إليها بالقربان.

ثالثا: الأساطير البابلية

يوظف الشاعر أسطورة الإله تموز صرعه خنزير يموت ويولد من جديد مرة كل عام هابطا إلى العالم السفلي، وفي غيابه تختفي حبيبته عشتار ربة الطاقات الخصبية في العالم لكن ملكة الجحيم تبعث عشتار برفقة تموز، لتعيد بذلك الحياة كل عام². يقول الشاعر في قصيدة "حوارية العار":

«مولاي! يا الإسكندر العصري

يا باري الغيوم الواعدة!

أمطر على الأتباع يا قوتا..

ونيرانا، على زمر الفلول الجاحدة!

هذا الزمان كما تشاء

ورهن شهوتك الفلك

والخصب في كفيك

يا تموزنا.. والمجد لك..»¹

¹ - رجاء عيد: لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث)، منشأة المعارف، مصر، دط، 2003، ص160.
- ينظر: فراس السواح: لغز عشتار الألوهة المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ط6، 1996، ص292.

يسقط الشاعر الرمز الأسطوري على الواقع، فهو يؤمن بأن انبعاث الحياة لا يتم إلا بموته، فالفلسطيني قادر على التضحية والفداء، ليبعث الحياة من جديد حتى ولو كان تحت ضغوطات الحكام والخونة فسوف يقوم بإحياء المجد.

ويكرر سميح فكرة البعث اذ تزهو الأرض من دم الشهداء فيقول:

«إليك يا صديقه

زناقي الحمراء

زناقي الدماء

كي تكمل الهدية

ورد.. ومزهريه

من القدس العتيقة»².

حيث اكتسب اللون الأحمر أهمية ميثولوجية لارتباطه بلون الدم، وقد دخل الدم في طقوس العرب الجاهلية فقد كانوا يخضبون أصنامهم باللون الأحمر، ولعل هذه الأساطير كانت تحاول تفسير علاقة الدم بالحياة فقد ولدت من دم أدونيس شقائق النعمان بعد أن سال دمه³.

الشاعر لم يذكر الأسطورة مباشرة بل اكتفى بالإشارة إلى زنايق الدماء فهذا الرمز أعطى القصيدة عمقا يدل على حالة الفلسطيني المضطهد فهو يقتل ويسفك دمه من دون سبب إلا أن أمله في الحياة مستمر فالأسطورة تغني النص وتشكل رؤية جمالية قائمة على المزوجة بين الواقع والخيال.

وتوصلا مع أساطير الموت والانبعاث اختار الشاعر أسطورة "طائر الفينيق" الفينيق طائر ينبثق من نفسه يعيش على اللبان والصمغ العطرة وحين يتم خمسمائة

¹ - الديوان، ص550.

² - المصدر نفسه، ص210.

³ - منتديات ستار تايمز 20-04-2016، ص30.

عام بيني لنفسه عشا بين أشجار البلوط أو على قمة نخلة ،يجمع فيها أزهار الطيب
وبيني لنفسه محرقة يضع نفسه فيها ويلفظ أنفاسه ،ومن جسده ينبثق طائر آخر¹ .
وظف الشاعر أسطورة الفينيق في قصيدة "في انتظار طائر الرعد " وقصيدة "طائر
الرعد" إذ يقول:

« ويكون أن يأتي

يأتي من الشمس

وجه تشوه في غبار مناهج الدرس

ويكون أن يأتي

بعد انتحار القصص في صوتي

شيء روائعه بلا حد

شيء في الأغاني يسمى طائر الرعد

لا بد أن يأتي

فلقد بلغنا

بلغنا قمة الموت! !»² .

لعل أكثر ما يكسب طائر الفينيق شهرته فهو حين يحترق يظن من يراه أنه مات
،فتكون المفاجأة بأن ينهض من جديد ويحقق فكرة البعث ، فالشاعر ينتظر طائر الرعد
الذي يعيد الأمل للشعب الفلسطيني لأن الموت استنزفهم ،فسميح في توظيفه للأسطورة لا
يريد الغموض بل تعميق الرؤية ،لأن الطائر الأسطوري رمز لولادة الحياة من جديد ،
فالمقاوم الفلسطيني النائر يحترق إلا أنه ينبعث من الرماد وله القدرة على المواجهة
والتحدي، فهو بهذا يحشد دلالة أسطورية دون أن يذكر الأسطورة بذاتها وهذا ما جعل

¹ - ينظر: علي البطل: الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب ، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت،

ط1، 1982، ص100.

² - الديوان، ص349.

توظيف سميح عميق

وظف سميح القاسم صور بعض الظواهر الطبيعية التي تحيل إلى عودة الحياة فنجد
1- الشمس: لأن الإنسان يخشى الظلام، ويحب ضوء الشمس، فق د عبدها الإنسان
 قديما

«لن أعدم إيماني

في أن الشمس ستشرق..

شمس الإنسان

ناشرة ألوية النصر

ناشرة ما تحمل من شوق وأمان

كلماتي الحمراء..

كلماتي..الخضراء»¹!

يأمل الشاعر في الحياة بإشراق الشمس، ففي كل طلوع لها هناك نصر جديد

2- الغيث: ترتبط الحياة بالمطر فهي رمز للخصب والنماء والبعث، فالإنسان قديما

سكن المواطن التي يتوفر فيها الماء لأنه عنصر الحياة، والإنسان كان يقوم بطقوس

أسطورية إذا توقف المطر أما اليوم فنقوم بصلاة الغيث لأن في نزوله عودة للحياة

ورحمة يقول الشاعر:

«في سحب الغيث مدى يدا

سحاب مداخننا صاعد

وصبي الحياة على شرقنا

فقد هيا المنجل الحاصد»²

يصور الشاعر عودة الحياة فالمدخن أصبحت تنشر الدخان كما هيء المنجل

¹ - الديوان، ص 77.

² - الديوان، ص 125. -

للحصد عاد كل شيء إلى مكانه وهذا يوحي بإشراق يوم عظيم ، وهذا من خلال نزول الغيث الذي يرمز إلى العطاء والرحمة.

ما يمكن أن نستخلصه من هذا الفصل، أن الشاعر أثرت فيه عوامل مختلفة (سياسية، اجتماعية ، فنية) جعلته يعود إلى الأسطورة ليعبر عن موقفه الشعوري اتجاه هذا الواقع المأساوي ، وبهذا فقد أكسبت هذه الأساطير القصيدة أبعاد عميقة فقد أعطتها مزيدا من الدلالات الثورية.

تمهيد:

عرف الشعر المعاصر اهتماما واسعا بتوظيف الأساطير والرموز، لما فيها من قدرة على التعبير عن القضايا السياسية كالظلم والاستبداد، ولأنها أيضا تدور حول معاناة الإنسان في الحياة وهي قضايا وجد الشاعر نفسه أمامها، فكان عليه مواجهتها وإيجاد الحلول لها ولو بالتمني إلا أن الأوضاع السياسية التي فرضت نوعا من الحصار على الكلمة، وكذا إحساس الشاعر بعجز اللغة المباشرة على التعبير عن كل ما يحس به، ومن خلال النظر في نتاج سميح القاسم نجده استخدم الرموز ليعبر عن الواقع الذي يعيشه، فهو يرى «بأن التجربة الشعورية بما لها من خصوصية في كل عمل شعري، هي التي تستدعي الرمز القديم لكي تجد فيه التوزيع الكلي لما تحمله من عاطفة أو فكرة شعورية وتحديد السياق عند توظيف الرمز ومحاولة جعله مؤسظرا¹»، وبهذا نجد من الرموز التاريخية والدينية ما يتسع لحاجات النفس، وما يلائم الواقع المعاش، فإذا أراد الشاعر إثبات وجوده وظف رمز عنتره، وإن حاول الصبر كان له في أيوب رمزا دينيا، وبالتالي لا يقتصر الرمز في الشعر المعاصر على الأسطوري فقط، وبهذا كانت التربة الفلسطينية هي البوابة التي تفتح على أفقها الشعري الرموز والدلالات.

¹ - عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1978، ص172.

أولاً: الرموز الدينية

نجد الكثير من الشعراء استخدموا النصوص الدينية (الرموز الدينية) في أشعارهم حيث قدمت لهم ما يحتاجون من أفكار وتجارب لأن «التراث الديني في كل العصور ولدى كل الأمم مصدرا سخيا من مصادر الإلهام الشعري ، حيث يستمد منه الشعراء نماذج وموضوعات وصور أدبية»¹ لأن موضوعاتها لها صلة بالوجود.

1 الأماكن: وظف الشاعر سميح القاسم مدينة "سدوم" * في قصيدته "القصيدة

الناقصة" فيقول:

و كان ذات يوم
 أشأم ما يمكن أن يكون ذات يوم
 شردمةً من الضلال
 تسرّبت تحت خبَاءِ ليلٍ
 إلى عِشاشٍ.. دوحها في ملتقى الدروب
 أبوابها مشرّعةً
 لكل طارقٍ غريب
 و سورها أزاهرٌ و ظل
 و في جنان طالما مرَّ بها إله
 تفجّرت على السلام زوبعةً
 هدّت عِشاشَ سرينا الوديع
 و هَشَمَتْ حديقةً.. ما جدّدت ((سدوم)
 و لا أعادت عار ((روما)) الأسود

¹-علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، ص75.

* - مدينة قوم لوط عليه السلام تقع في منطقة البحر الميت خسفها الله لما كان يقترفه أهلها من فاحشة.

و لم تدنّس روعة الحياه¹ .

استحضر الشاعر رمزية المكان عندما ربط بين مدينة سدوم ، ومدينته التي حل بها الخراب بدون سبب، فالشاعر يرى أن الدمار الذي لقيته فلسطين لقيته سدوم جراء غضب الله سبحانه وتعالى يقول عزوجل: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ﴾²

إلا أن أهل فلسطين مظلومون لا يستحقون ما حل بهم ، وبأرضهم من استبداد ودمار، فهو بهذا يرتقي بالرمز إلى العالم الأسطوري ليكون في مأمن من عين العدو الظالم ، فكانت سدوم بمثابة القناع الذي اختفى وراءه ، فهو من وراء هذا الإسقاط الرمزي يهدف إلى هجاء العدو الصهيوني.

كما وظف سميح القاسم مدينة "إرم" من خلال قصيدته "إرم الفاضلة":

«البشرية إرما .. تريد القافلة؟ !

الشاعر: إرما.. على أرض جديدة

إرما .. سعيدة

إرما .. ولكن فاضلة !

البشرية: ماذا لديك؟

الشاعر: لدي عن أرم قصيدة

البشرية: فلتسكتوا..

فلتسكتوا !

وليلق شاعرنا نشيده»³ .

¹ - الديوان، ص55.

² - سورة النمل: الآية56.

³ - الديوان، ص304.

نجد حضور المدينة بداية من العنوان "إرم الفاضلة" كما ذكرها في المتن عدة مرات ، وإرم مدينة قديمة ورد ذكرها في القرآن الكريم :﴿ألم ترى كيف فعل ربك بعاد إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾¹ . تقول الروايات أن مبانيتها من ذهب وفضة وأعمدتها من زبرجد وياقوت ، وحصاها من اللؤلؤ، والمسك ، والعنبر² . إلا أن الشاعر غير الدوال وجعلها سعيدة و فاضلة فإرم كانت مستبدة فشداد بن عاد يجبرهم على دفع الضرائب ليبنى جنته حتى خسف الله به وجنته ، فالشاعر هنا بنى جنته على أرض جديدة، أرض سعيدة لا استبداد فيها، الشاعر يمكن أن يحقق حلمه هذا بالعمل والتضامن حيث يتحد أفراد المجتمع لتحرير وطنهم. تلك هي أهم تجليات المدن الغرقى فقهمت لنا دلالات جديدة من خلال التغيير.

2 الشخصيات : يوظف سميح القاسم شخصيات دينية يتماهى فيها مع رمزه، فيعود

إلى قصة ابني آدم قابيل وهابيل :

«من يوم شاء الله أن تهوى يدا قايين

قاتلتين ، غائصتين في الدم ،في الحياة

في سعف الطغاة ..الأغبياء من الطغاة؟ !

قايين ! يا قايين ! أين مضيت بهابيل خطاه ؟

إذهب ! يرافقك الشقاء..جزاء فعلتك الحرام !

قدر عليك السهد المبرح والسقام»³

وظف الشاعر قصة هابيل وقابيل التي تمثل الصراع الأول في الأرض، فهو بهذا يشير إلى الصراع اليهودي الفلسطيني العربي الإسرائيلي كما لا ننسى الصراع

¹ - سورة الفجر، الآية7.

² - الديوان، ص303.

³ - المصدر نفسه، ص313.

الأمريكي، الصراع حول ملكية الأرض، وكيف تخلى عنه الرعاة، وقد استطاع الشاعر أن يمزجها بالراهن حيث تكثر الفصائل والأحزاب السياسية.

لا يتوقف الشاعر في البحث عن علاقات التماهي مع الرمز الديني، فهو يريد أن يعبر عن الحالة التي عاشها "أيوب عليه السلام"، فقد ابتلي في جسده، ولم يبق منه عضو سليم سوى قلبه، ولسانه يذكر الله بهما وهو في ذلك صابر محتسب ذاكرة الله عزوجل في ليله ونهاره، وصباحه ومساءه¹.

«كل الأخبار تقول :

أنا ما خصمت الله

فلماذا أدبني بالوجع ؟

حسنا .. فأسمعيني أنفخ في الصور

يا لعنة أيوب .. ارتفعي

يا لعنة أيوب .. ثوري

وأسمعيني أصرخ: يا أيوب ..

لا تجع..»²

يستدعي الشاعر شخصية أيوب عندما يشعر بالألم الشديد، ليعيد الصبر، والأمل للفلسطينيين فأيوب هنا معادل موضوعي لفلسطين التي تعاني ويلات الطغيان والظلم إلا أن الشاعر يشد العزم بأن يعلو صوت الإرادة والرغبة في المواجهة والتحدي، فيتحول الشاعر إلى نبي ببوحه ورؤيته من خلال تفاعله مع كينونة الشخصية وصيرورتها، فأيوب هو الشاعر (الفلسطيني)، وأيوب هو فلسطين.

ينتقل الشاعر من الضعف إلى القوة من ضعف أيوب إلى قوة وشجاعة "أبي ذر

الغفاري": أبو ذر صحابي هاجر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم إلى بادية الشام ،

¹ - حسن أيوب: قصص الأنبياء، دار السلام، مصر، ط1، 2007، ص152.

² - الديوان، ص187.

ولما ولى عثمان سكن دمشق، ودعا الأغنياء مواساة الفقراء ، فاضطرب هؤلاء، فشكاه معاوية والي الشام إلى الخليفة عثمان، فأمره عثمان بالرحلة إلى إحدى القرى ، فسكنها إلى أن توفي¹ . يقول سميح القاسم في قصيدة "لو":

«لو أن في الميدان

سيف أبي ذر

ولو لم يغتصب عثمان

قيادة البلاد بالحديد والدماء

ما استأسد الثعالب الرومان »

الشاعر يرجع بذاكرته للوراء ويوظف شخصية "أبي ذر" لأنه من المسلمين الذين ثاروا ضد الظلم والاستبداد، فسميح يتمنى لو أن هناك أبو ذر ثاني يقف في وجه الحكام المتخاذلين، والعدو الغاشم.

كما وظف الشاعر سميح القاسم في ديوانه قصة سيدنا يوسف عليه السلام فنجده يقول:

«لا نصب .. لا زهرة.. لا تذكار

لا بيت شعر.. لا ستار

لا خرقة مخضوبة بالدم من قميص

كان على إخوتنا الأبرار

لا حجر خطت به أسماؤهم

لا شيء.. للعار»²

يستحضر الشاعر شخصية يوسف عليه السلام من خلال التضمين النصي للقصة، ليبين من خلالها الدور السلبي للإخوة العرب تجاه القضية الفلسطينية من خلال استعماله لأداة النفي "لا" فهذا التكرار إنما يدل على تحسر الشاعر لما آلت إليه الأوضاع، فلا

¹ - مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة المصرية، م1، بيروت، ط1، 2010، ص50.

² - الديوان، ص88.

شيء يذكر ويحسب لهؤلاء الإخوة فهم يمثلون الخزي والعار، وبهذا الإسقاط نجد أن قساوة قلوب إخوة يوسف كانت كقساوة قلوب الحكام العرب ونكرانهم للحال التي يعيشها الشعب الفلسطيني، فالقميص يدل على تمزق الشعوب العربية.

انتقل الشاعر من الابن إلى الأب نجده يقول:

«من هذا الصخر .. من الصلصال

من هذي الأرض المنكوبة

يا طفلا يقتل يعقوبه

يعجن خبزا للأطفال

من ترمي في ليل الجب»¹

يعقوب عليه السلام يرمز به لمعاناة اللاجئين بفرق وطنهم كما عانى يعقوب لفراق ابنه يوسف عليه السلام.

كما نجد سميح القاسم يجمع بين الأنبياء الثلاثة إذ يقول:

«وأضاءت أعلامه برؤى موسى وعيسى وأمنيات محمد»²

ويقول أيضا:

«فاركب بعيرك يا محمد

تعال .. لي في الشمس معبدا»³

يخاطب الشاعر محمد صلى الله عليه وسلم مستغيثا به لما أصابه من ألم الإحتلال .

كما استعان سميح القاسم في ديوانه بشخصية "يوشع بن نون" ليعبر عن فكرة الإحتلال ، فالإحتلال الأول هو أن القائد يوشع بن نون قاد شعبه وراء إحتلال أريحا وإحراقها أما

¹ -الديوان، ص131.

² - المصدر نفسه، ص107.

³ - المصدر نفسه، ص594.

الاحتلال الثاني فهو الاحتلال الإسرائيلي ، فالشاعر يستعين بشخصية يوشع بن نون ليعمق فكرة الغزو والاستبداد يقول في قصيدة "يهوشع مات" :

«فلا تستوقفوا الشمس ، ولا تستمهلوا الغرب

سور أريحا شامخ في وجوهكم إلى الأبد

يا ويلكم! يا ويلكم !

سرعان ما تغوص في أعماقكم أظافر الغروب

يهوشع راح . . لن يؤوب يهوشع مات «¹

يتمنى الشاعر أن يطول النهار حتى ينتصروا على العدو من خلال تذكيرهم بأن يهوشع مات ولن يعود ليزرع الأمل في نفسه وفي شعبه.

وظف الشعراء التراث المسيحي على اختلاف معتقداتهم الدينية ، وهذا التوظيف يدفع

للتأمل والبحث حيث أن «التراث المسيحي بما يتضمنه من معاني الولادة المعجزة

والصلب، والفداء، والتضحية فهو غني بالإحياءات والرموز الشعرية المتناغمة مع عذاب

الفلسطيني وهمومه وتضحياته «²، فبهذا التصوير تبدو العلاقة واضحة بين المسيح

«من غسل يحكى بها الأنهار يحكى

من حليب

انجبت يحكى كبار الأنبياء

وعشقناها

ولكنا انتهينا في هوانا أشقياء

وحملنا كل آلام الصليب»³.

¹ - الديوان، ص101.

² - وليد بوعديلة: شعرية الكنعنة، دار مجدلاوي، الاردن، ط1، 2009، ص231.

³ - الديوان، ص64.

نرى تعلق الشاعر بأرضه لأنه يتباهى بما تحمله فهي كالجنة أدى به أن يحمل ما حمله
المسيح من آلام إلا أن الشاعر لا يريد أن يحمل هذه الآلام نجده يقول:

«هل تسمع عن أسد يصطاد

عن أدغال تهوى تحت الليل رماد

عن حقل مزروع شهداء

عن شعب ينبت في أرض

بدماء القتلى مروية

هل تعرف شيئاً عن شعب

ما عاد مسيحا مصلوبا»¹

يحاول سميح القاسم من خلال هذا المقطع الشعري تقديم "الأسد" رمز للمقاومة،

فالشاعر هنا يستفهم ليعبر عن قلقه من الحالة التي يعيشها شعبه، إلا أنه يعيد النظر
ويبعث الأمل من خلال تغير مصيره .

ونجد الشاعر قد أكثر من رمز المسيح والصلب ليسقطه على الواقع الفلسطيني فتضحية

المسيح وفداؤه تشبه تضحية البطل الفلسطيني من أجل شعبه ، فهو يموت ليعيش شعبه .

ثانياً: الرموز التاريخية

استفاد الشاعر من التاريخ مثلما استفاد من النصوص الدينية، فاستمد من مدنه

التاريخية العريقة وشخصياته البارزة رموزاً يعبر من خلالها عن مختلف المعاني ، فيجعلها

تتخطى حدود الزمان والمكان.

¹-الديوان، ص111.

1 الأماكن:

بابل: هي مدينة عراقية كانت عاصمة البابليين أيام حمورابي ، اشتهرت بحضارتها حيث ارتقت العلوم والمعارف والفنون في تاريخ المنطقة وبهذا «تكون البلاد التي رسمت حضارتها على الطين أسطورة ، أليست أسطورة أن برج بابل نفسه ليس أكثر من تجمع هندسي هائل من الطين»¹، والشاعر يتأسف لما آلت إليه فيقول:

«وعدت السواقي الموج ألا تؤذي العصرا

ولم أسرج جياذ الغزو يا "بابل"

ولم أخدعك ..لم أغدرك يا "بابل"

وما علقت في بابي لواء الغدر والباطل

فما لحبيبيتي تسبى

وما لعواطف غضبي

تفرغ جنتي الوسنى..تهدم صوري الآمن»²

يسقط سميح القاسم دخول اليهود إلى فلسطين كما دخلوا إلى بابل قديما، واليوم أصبحت بابل مقرا للقوات الأمريكية، فهذا تتوحد بابل مع فلسطين ما دام المستعمر مازال قابعا مسيطراً يتوسع في الأراضي ، وذلك بسبب المواقف السلبية من القضية الفلسطينية إلا أن الشاعر بقي وفي لها ولم يغدر بها.

2 الشخصيات:

كما نجد عبقرية سميح القاسم في استخدام الرمز انطلاقا من شخصية الأسطوري **طارق بن زياد:** فابن زياد أول قائد دخل شبه جزيرة ايبيريا، وأصبح من أبرز القادة في التاريخ، وسمي جبل طارق في إسبانيا باسمه .يفتخر سميح القاسم به لكونه بطلا عربيا دخل بلاد الصليبيين فيقول:

¹-حنا عبود: الميتولوجيا العالمية، منشورات إتحاد الكتاب العرب ، دمشق،دط، 2009، ص84.

²-الديوان، ص 588.

«يا أحفاد طارق

كونوا المنابر.. واغسلوا

أجفان أوروبا البهيمه»¹

يخاطب الشاعر الأمة العربية فيقول "أحفاد طارق" من أجل إحداث التغيير في الواقع

العربي، وأخذ العبرة منه.

ويقول أيضا:

«يا أمتي عددت أجيالا على هذه الرابطة

كررت أمجاد الرسول، وكل أمجاد الصحابة

كررت عقبة - ألف مرة

كررت طارق - ألف مرة»²

يعتبر الشاعر نفسه طارق يعود ليكرر الفتح، فطارق بن زياد انطلق فاتحا الأندلس،

والشاعر يحاول فك الحصار على الأراضي الفلسطينية التي طوقها العدو العدو

الإسرائيلي.

صلاح الدين الأيوبي: من الشخصيات التي أصبحت رمزا في شعر الأديباء المعاصرين

خاصة في شعر سميح القاسم، صلاح الدين هو الذي فتح القدس في المعركة التي

وقعت بين المسلمين والصليبيين، وكانت هذه المعركة من أهم المعارك التي وقعت في

التاريخ يقول سميح القاسم في ذكر هذا البطل:

«أبي .. لا كتبنا الملقاة تحت نعال هولاءكو

ولا فردوسنا المردود فردوسا إلى أهله

ولا خيل الصليبيين

ولا نكرى صلاح الدين

¹ - الديوان، ص 213.

² - الديوان، ص 214.

ولا جندينا المجهول في حطين»¹

يسخط الشاعر على الواقع العربي السياسي وإهمالهم للقضية الفلسطينية وتذكيرهم بما فعله صلاح الدين.

كما لا ينسى القاسم في توظيفه للشخصيات التي تحمل رمز البطولة والتحدي البطل **عبد الرحمان الداخل**: الملقب ب "صقر قريش" فهو من الشخصيات الثورية؛ لأنه أسس دولته في الأندلس، وهذه الشخصية ترمز إلى البطل المنتصر، فالشاعر يريد أن يشق الطريق لإقامة الدولة الفلسطينية كما أقام عبد الرحمان دولته، ولا يكون ذلك إلا بالعزم والمثابرة

كما أعطى سميح القاسم مثالا على بعض الشخصيات التي تحكمت وتجبرت منها **شخصية نيرون** اتسمت شخصية نيرون بالوحشية التي جعلته مضربا للأمثال فقد قتل أمه وزوجته. يقول الشاعر في قصيدته:

«روما احترقت يا مجنون

روما ابقى من نيرون

روما لن تفهم أشعارك

روما سنقطع أوتارك»²

استلهم الشاعر شخصية نيرون التي ترمز إلى البطل المنهزم لأنه ظلم الشعب إلا أن نجمه أفل في نهاية المطاف ، وذلك بعدما حرق روما وحرق نفسه أيضا، إذ فسميح القاسم يعبر عن صراعه مع اليهود من خلال خطاب سلطات الاحتلال وتحذيرهم من مصير كمصير نيرون ، فهم شيدوا وبنو دولتهم على حساب شقاء الآخرين، فالظلم سيزول والعدل آت والحق لن يندثر.

¹ - المصدر نفسه، ص235.

² - الديوان: ص556.

وبهذا يومئ الشاعر إلى أن الأمة باستسلامها تصنع من الحاكم القزم عملاقا كما هو حاصل في العديد من الدول العربية من انقلابات وذلك بسبب سوء اختيارهم. و خلاصة لهذا نجد الشاعر سميح القاسم اتكأ على الكثير من الرموز التي لها ذبوع وانتشار في الساحة التاريخية إذ لجأ إليها لما لها من تأثير وصدى في نفس المتلقي، فهي ترسم ملامح تجربة يتفاعل فيها الواقع مع الماضي والحاضر انعكاسا وتصويرا للحظة الراهنة.

- بعد قراءة ديوان الشاعر "سميح القاسم" لمسنا عمقا ثقافيا واسعا ، فقد كان توظيفه لرموزه ذو دلالة ومغزى، وهو هدف سعى إليه الشاعر كما استطاع الارتقاء بمستوى الرمز الأسطوري بوصفه أداة شعرية فذة تعبر عن صراع الإنسان ضد الظلم والاستبداد بما يحقق له الحرية والانعقاد، وبهذا نستخلص مجموعة من النتائج:
- اهتم سميح القاسم بالرموز والأسطورة لما فيها من دلالات، حاملا رسالة تندمج فيها التجربة الماضية بتجربة الشاعر الحاضرة أملا في أن يكون الشعر ذا سلطة فنية معرفية يقدم للمجتمع نظريات السلوك والأخلاق، والتعبير عن أوضاع الإنسان العربي مركزا في علاجه للأوضاع، بأن الخلاص والبعث لا يكون إلا بالموت والتضحية .
 - كانت الأسطورة ملاذ الشاعر للتعبير عن المعاناة والصراع والعذاب، إذ وظف سيزيف وأوديسيوس في محاولة للرفع من معنويات الشعب الفلسطيني، أما في محاولة بعث الأمل والحياة فاستدعى تموز وأوزوريس.
 - نبذ سميح القاسم التعبير المباشر فجعل القصيدة عالما من الأسرار، فقد غلب عليه التلميح والإيحاء، واتسعت مسافات الاحتمال فيه، وذلك للتخفي من أعين العدو.
 - استعمل سميح القاسم رموزا من القرآن الكريم فضلا عن اختلاف مرجعية الأساطير.
 - وظف سميح القاسم الرموز الدينية والتاريخية للحفاظ على هويته الوطنية العربية التي تسعى الصهيونية إلى طمسها، كما أكد على قوميته العربية من خلال الكلمة، فتغنى بالثورات وحركات التحرر في العالم العربي (ثورة اليمن، انتفاضة العراق، ثورة الجزائر،

العدوان الثلاثي على مصر). كما أبرز قضايا أمم أخرى مظلومة مثلهم فتضامن مع هذه

الشعوب لنصرة قضاياهم مثل: كوبا، الكونغو، فيتنام، إفريقيا..

- ويبقى الشعر شاهدا على حب الوطن نبذ المنفى وذلك من خلال استدعاء الرموز

الدينية والتاريخية المرتبطة بالوطن مثل (هابيل وقابيل ، نوح ويعقوب ويوسف وعيسى

ومحمد وصالح الدين) وغيرهم.

سميح القاسم:

يعد سميح القاسم واحداً من أبرز شعراء المقاومة الفلسطينية وهو من مواليد 1939

نشأ في عائلة محبة للعلم والثقافة بمدينة الزرقاء الأردنية ، وبعد أن تلقى تعليمه في

مدارس الرامة والناصرية وعمل في إحدى المدارس، ثم انصرف بعدها إلى نشاطه السياسي

في الحزب الشيوعي قبل أن يترك الحزب ويتفرغ لعمله الأدبي سجن القاسم أكثر من مرة

كما وضع تحت الإقامة الجبرية بسبب أشعاره ومواقفه السياسية.

وما ان بلغ الثلاثين حتى كان قد نشر ست مجموعات شعرية حازت على شهرة واسعة

في العالم العربي ، كتب أيضا عدداً من الروايات كما أنشأ مسرحاً فلسطينياً يحمل رسالة

فنية ورسالة سياسية قادرة على التأثير في الرأي العالمي فيما يتعلق بالقضية الفلسطينية .

أما بالنسبة إلى خصائصه الشعرية فمن البديهي أن سميحاً باعتباره شاعراً مناضلاً انصب

اهتمامه الأول على مأساة فلسطين المحتلة فإذا بشعره يضحج بروح المقاومة والكفاح

والإيمان بالوطن والتفاني في سبيله.

ديوان

شمس الفاسم

دار العروكة - بيروت

ديوان

سيرة الفاسم

دار القصة - بيروت

حقوق الطبع محفوظة
لدار العودة

- ١٩٨٧ م

كورنيش المزرعة - بناية ريفيرا سنتر

تلفون : ٣١٠٨٤٠ - ٣١٨١٦٥ - ٨١٥٣٣٥

تلكس AWDA 23682 LE

ص. ب. ١٤٦٢٨٤

مقدمة

بقلم : مطاع صفدي

لم يعيش الشعر مهرجاناً شعبياً ويكسر طوق العزلة عن
بضع مئات من النسخ ، تباع لنخبة مثقفين ، ويتحرر من
العوز والتجريد ، ويكسر استعباد الألفاظ ، ليختلط بتراب
الحياة وعرق كادحي الثورات الجديدة ، ويمتزج بأهازيج الناس
في حلبات اليأس والندب ، وترجيع لهاث الحزن القديم على
إيقاع الحقد الجديد . . كما يفعل الشعر المقاوم بنا وبثقافتنا
اليوم .

.. لم يكن للشعر العربي منذ أيام الجاهلية سوق عكاظ حقيقية مليئة بفروسية الكلمة الفعالة والفعل المتكلم ، كما كان له من عكاظ المقاومة وشعرائها ، في زمن بوار كل شيء ، واحتمال الآتي من كل شيء ، زمننا المائل الجامد هذا ، في لحظة انتظار ما لا يعرف ، ويعرف .

ما زلنا تحت الانبهار مما يفجر جذبنا التاريخي ، ما زلنا لا نعي المقاومة ، ولا شعر المقاومة . إننا تحت وطأتها منبهرين ، كما لم نزل منبهرين تحت عبء الأيام الستة الصفراء . وإذا كانت بنادق المقاومين على أشواك الحدود ، وأغاني شعراء الأرض المحتلة داخل الحدود قد بنت حربنا الضائعة فوق البوار المسطح الذي تنزلاتي عليه إرادتنا لتقبع في قبور الفضاء ، فإن العزيف يتجاوز العزف ، وإن النشيد يسحق الأغنية ، وإن شعلة الإبداع مرة أخرى تبدأ عندنا وكما كانت دائماً ، من بعث الكلمة المكوّنة كشيء الأشياء ، وليس كلفظ الألفاظ .

لقد كان المقاومون شعراءً يخطون إعلانهم الخاص بعد

البوار ، عما لم يكن ليستسلم إلى البوار ، ويشارك في المناحة العامة .

كانت كؤوسهم فارغة من دماء الآخرين ، ويطلبون دم الذات ، وبذلك تعود إلى الشعب سكينه ، ليكون المذبوح بسكينه ، وليس بهزائم الآخرين .
فإن للمقاومة شعراً ، قضية التوحيد بين اللفظ والفعل ، وتلك هي المهمة الأشق والأصعب ، في مشكلة الوجود التاريخي للشعب المناضل ، ذلك أن التعامل مع حقائق الواقع يؤلف مرحلة لم تنضج أبعادها حتى الآن . وقد بقي التعامل مع أصوات الألفاظ هو وسيلتنا التاريخية الوحيدة للمواجهة الخيالية ، مع جمود اليد . والشعر وحده ، من دون بقية وسائل التعبير اللفظي والفني عامة ، يعايش بتجاربنا منذ جاهليتنا وإسلاميتنا وانحلالنا ونهضتنا ، معاشة داخلية عضوية ، توحد بين مادة هذه المعاشة وبين أساليب التعبير عنها ، في ممارسة العمل واللاعمل ، اللفظ العامل واللفظ العاجز في آن واحد .

ومنذ مطلع الخمسينيات خاصة ، والشعر يتابع دوره
اللحمي ذاك ، متطابقاً مع عظم التجربة في الخواء والملاء
معاً . وكان نضاله ، كنضال التجربة ، سعياً دائماً للانفصال
عن مادة الركون والانفعال بالركود وتجاوزه بمسافة تقييم
ووعي وتحرر . وكان سعي الرواد الأوائل ، من بدر شاكر
السياب الى عبد الصبور و خليل حاوي والجيل بكامله ، من
حملة الأقلام ، هو جعل الثقافة دماً ثانياً للأبداع فوق دم
المعناة . فاختلقت نسب الدمين بين شاعر وشاعر ، كاتب
وكاتب . ولكن معجزة الانسلاخ عن نمطية اللفظة وتقاليدھا
البلاغية ، قد تحقق الفعل الحاسم المطلوب منها ، وهو
عودة عملية النظم الى ذات الكاتب لا كمغارة ترديد الأصوات
الخارجية ، ولكن كمحور عكس وانعكاس لعالم التجربة
كمعايشة وتعبير .

ولقد امتدى هذا الجيل الى مفاصل هيكل الوضع
التاريخي ، فحاولوا أن يفصلوا على مقاييسه ، منشوراتهم
المحرضة على المعايضة الجديدة للفعل ، ولأصل الفعل .

واكتشفوا صلصال المادة الأولى الضرورية ، وشرعوا في اقامة
معابد الترتيل البريء لدين لم تتضح عقائده الكلية بعد ، بغير
رفض الكليات السابقة ، والحفر على مباحس ينباع الميتة
تحت صلصال الهياكل الخربة المنقضية روحاً وتاريخاً .

والخمسينيات عهد تاريخي حقيقي ، انه البدء بالنكبة والرد
على النكبة بذروة الوحدة . وأن الستينيات عهد تاريخي
حقيقي كذلك ، أنه البدء بالنكبة الثانية في الانفصال ،
والوصول الى النتائج الشاملة للنكبة الانفصالية ، في هزيمة
حزيران الشاملة . والشعر العربي الحديث واكب هذه
الأحداث . دعا لأهدافها وافتخر وانتكس وتصاعد معها
وارتجف لقلقها وخوفها ، وقنوطها وتمردها أخيراً ، ولم يكن
الشعر مواكباً لها من الخارج ، ولكنه داعية وجدانية لنبضها
الذاتي من داخل . فلم يكن لينتظر ، ولكنه كان ليكون
مسؤولاً معها عن الفرح والقنوط .

ولم يسمع أحد بشعراء الأرض المحتلة إلا بعد أن ساح وامتد
الاحتلال حتى أصبح هو الحقيقة ، وسواه الظل والوهم أو ما

يشبههما الى حين أن تسربت الأصوات من داخل ، وعم
الانهار ، وانطلق شيء جديد اسمه شعر المقاومة ، وكان
لفلسطين من قبل شعر الندب . وبين الشعرين انقلاب في
المعاناة ، تبعه ذلك التسريح الحصب لمواهب مكبوتة تلاقى
تلاقياً عفويًا مع معطيات التحدي المباشر ، للعربي على أرض
الاحتلال ، إما أن يصبح غريباً الى الأبد في وطنه ، وإما أن
يصبح الآخرون غرباء في وطن ما كان ولن يكون لهم ،
هكذا ولد شعر المقاومة مواكباً في الواقع لتفتح موجة الشعر
الحديث منذ أواسط الخمسينيات ، ولم ينضج الشعر المقاوم إلا
بعد الهزيمة الشاملة في حين أن مدرسة السياب وعبد الصبور
وحاوي كانت تلاميذ درجة معينة من الأشباع يؤذن بانتهاء
نضج وابتداء نضج جديد لولا أن السياب اختطفه موته المادي
في أوج شبابه الشعري .

لقد كانت ملحمة الحلاج عند عبد الصبور و (لعازر)
عند حاوي نذيري البوار المدقع في الانهزام الذاتي عند الأمة ،
قبل أن يتحقق الانهزام الأسود على الجبهات .
كان « الحلاج » صوت الحقيقة يواجه طغيان الزيف في

صميم الخلايا المراد بها نسج الكيان الجديد . وكان (لعازر)
صديق المسيح الذي مات وعاد الى حياة عاجزة عن مطارحة
أمها الأرض صبوة الانبعاث الحقيقي . كان (لعازر) يكذب
حياته الجديدة ويدعو الى موت حقيقي تخلفه حياة حقيقية .
بعض الضمائر المبدعة نادوا بـ (بشرى) هزيمة لا تبقي
ولا تذر ، منذ أطلال الوحدة . ولم يكن ثمة ما يعمل .
والكلمة وحدها للضمائر هذه ، طغى عليها زبد الإعلام ..
وإذا حلت الهزيمة أخيراً لم يكن إلا التبشير بالاستسلام ،
أو الصريخ على القبور ، وكان كل صوت للكلمة ينطلق من
البلاد المنهزمة لا يثير إلا قشعريرة الاشمزاز .
ولا أحد اعتقد بأن ثمة موطناً آخر لكلمة تثير الثورة
ثانية .

كانت بندقية الفدائي ، وشعر المقاومين من الداخل ، هما
وحدهما ، ومعاً لأول مرة ، دليل العقيدة المفقودة في حياة
أخرى ، لم تعرفها نهضة العرب من قبل . فالانفصام بين القول
والفعل - مرة قول ، ومرة فعل - كان مشكلة الأدب
الثوري العربي . وكان القوالون غير فعالين ، ليس لديهم فعل

الثقافة في الوعي، ولا فعل يدهم في عالم الأشياء . وكان صوت الضمائر القليلة يختنق في ازدحام الإعلام . والأقلام نصبت لها خياماً في سوق النخاسة . والازدحام على التأجير . وعهترنا المذيع والجريدة والتلفزيون كل صباح ومساء .

ذلك أن المقاومين شعراً ولدوا مع المقاومين دماً ، وفي مقر الهزيمة ، انبجس بتروول الحريق الشامل الرهيب .

وتهاوى الشباب عشقاً للموت الجديد ، وللشعر الجديد . وأشرقت ابتسامة درويش وبراءة سميح فوق أعلام العباسيين السود المستسلمين للتتر - وليت السياب كان معنا مرة أخرى . وما زال القراء والنقاد يحبون أطفال الشعر الجدد ، يفرطون في الحب حتى ينادي بعضهم بدفع الحب عن صدورهم . وينادي آخرون بالتقييم الموضوعي لشعرهم ولكن هيهات ، وكيف يقيم الأب العاقر صوت طفل له ، ولد بعد سنوات المحل والوحدة مع الغبار .

كل ما كتبه جيل السياب وحاوي وعبد الصبور ، عاد أطفال الشعر المقاوم ليكفوا عنه أسر التجريد ، ويكشفوا عنه أستار الثقافة ويردوا اليه صبوة الفسق والدم والحقد

والعاصفة الحقيقية ، وينطلقوا به مرتلين ، دعاة مبشرين ،
جوالين بين خيام القلوب النازحة .

إنهم سوقوا شعرنا ، وعمموا مرة أخرى لفنة الأفعال
ممتزجة بالأقوال القليلة ، المحتشمة العفيفة ، المزهرة بكآبة
خلاقة لا تعترف بالأطلال والرماد ، إلا بدءاً لمولد القبيلة
الموعدة .

لقد حلم نزار قباني ابن دمشق الخضراء ، بأن يعمم شعر
الحب كالحبز منذ ثلاثين عاماً ، ونجح ، حتى جاء الشعراء
المقاومون ليعمموا شعر النضال ليصبح الشمس والهواء لجميع
المساجين خلف القضبان وبلا قضبان .

وبرهن الشعر ثانية أنه دم آخر للشعب العربي ، وأنه الرد
الانساني على الاعلام . فصوت حق واحد يخرس .

وتلك ظاهرة الصحة في قصائد درويش وقاسم وزياد
والمجموعة كلها ، التي تعزف وتتكامل ، كالأوركسترا الفاغنرية :
لحن واحد أساسي تردده حنجرات متعددة ليصبح صوتاً خاصاً
لكل حنجرة ، في الوقت ذاته .

فالجميع يعزفون من قاموس الحرية اللغوية ، ويتفننون في
صقل الألفاظ اليومية ، وردّها الى تحريضها الشعري .
والجميع يتحررون ويحررون ، من أساطير الشعب
المتخلف ، ومن أنماط الركود ، في الاعتقاد والقول والممارسة .
وجميعهم محرضون لحياة فوق الجثث ، وانبهار أخاذ بما
يروونه هم ولا يراه الآخرون .

وهم في الشعر يثورون - موضوعياً . وتلك هي معجزة
الانبهار بشعر هؤلاء الأطفال المتصايحين المتعارفين المتنافسين
على الحرق الموضوعي ، والتبشير الموضوعي ، والاندماج
العفوي بين لحم وعظم الرد التاريخي ، ليس على الهزائم ، بل
على أصل الهزائم فينا ومنا ، وفي أرضنا ودمنا ، وخرافات
الجثث في أرواحنا وعقولنا .

ذلك وجه الانبهار ، وحقيقة الصبوة الجديدة التي تتصاعد
في الوعي ، وليس من الفورة . وصبوة الوعي هي روح
الشعر المقاوم . والفرق بين صبوة الفورة ، وصبوة الوعي ،
هو الحد الفاصل الدقيق بين ممارسة الثرثرة في الشعر الحماسي
والخطابي السابق ، وبين ممارسة التغيير في الشعر المقاوم .

والحماسيات تعيش من جلبه الألفاظ الكبيرة ، والأعيب
البلاغة المجردة ، وتتغذى من إمكانيات الخبث لدى الناظم .
والمقاومات تجسم اللفظ في العالم كإرادة تغيير وتسلك سلوك
الخطابيات ، إلا أنها تتوجه الى الوعي لتجعله ينبهر من بلادته
أولاً في خضوعه لآليات الركود ، ثم يتساءل عن أصل
الركود ويكتشفه في نفسه أولاً ، ثم يتصاعد التساؤل ليصبح
جلبه في أصول الأشياء كلها .

وهذا هو الفرق بين جبال من ألفاظ الشعر الحماسي
ومقالات الإعلام وإذاعيته وصحافته وكتبه ، وبين أصوات
المقاومة المتسربة من ما وراء الحدود .

ولولا الاستسلام الطويل لخطط الكذب الجماعي ، لما
أمكن للصحو أن يتحقق على همسات الشعر المقاوم . فلقد جاء
درويش وفاسم وجوحتها ليؤسسا مؤسسة صعبة ، كانت
عناصرها تبدو من التناقض والتباين بحيث أعجزت إمكانيات
شعرية كبيره وكثيره .

فكيف تظل للشعر نكهة الأغنية ، ويظل يحفر في
الجمجمة ، يختصر الثقافة ، ويعايش عشب الأرض ، ينذر

الظالمين ويبشر المظلومين ، يتحدى ويتصاعد من موقف
التحدي المحدود ليمتزج بالتحدي الانساني والتاريخي لأصول
الظلم كلها ..

هكذا كان شعراء المقاومة ينسجون فنههم الخاص . وكان
سميح لا يني يقرأ التجربة كلها ويعيد . ويحاول من قصيدة
الى قصيدة ، أن يضمن الأبعاد كلها ، وأن يتجاوز معطيات
العمل الفني في شعرنا المعاصر ، ليأتي بمعطيات جديدة لشعر
جماهيري ، يمكن قراءته بدون جماهير ، ويمكن للجماهير كلها
كذلك ، أن تردده كنشيد واحد متحد الإيقاع والظل
والصدي .

يلجأ فن المقاومة عند سميح الى الحكاية العربية ، ويخلع
منها « كان يا ما كان » ويرصعها بالأهزوجة تارة ، والموال
تارة أخرى . ويربط مقاطعها بعبارات مألوفة ، ولكنها تأخذ
بريقاً جديداً على أوتار الوجدان المقاوم الذي بدأ ينمو في
صدر كل منا . انه شعر عائلي بيننا وبين أنفسنا ، في غابات
هزائنا المعروفة والمجهولة ، وتحت جبال من رماد المعارك غير

المفتوحة ، غير المدخولة ، إلا على صفحات الوهم واللفظ
الاعلامي .

كيف يتأسس الوجدان المقاوم . ان سميح لا يسأل ولكنه
يشرع في التأسيس بقدر ما يجعل كلماته شعراً عائلياً ، انه
شعر القرية والقبيلة ، والبيت والمقهى ، والوحدة والكآبة ،
ومع ذلك يتحرر ليكون الشعر العائلي المدافع عن كل العائلة
بأساطيرها وخرافاتها ذاتها ، وقد تحولت الى ما يشبه بنادق
المقاتلين .

ذلك الرفض الواعي الرشيق ، الذي ينبثق من المقاومين
جميعاً ، ومن سميح القاسم بخاصة . انه الذكاء « الموضوعي »
القادر على قلب جميع رموز الذل والتخلف الى أدوات حرب ،
بدلاً من أدوات كبت وانقضاء خارج التاريخ .

في قصيدة « ليلي العدنية » هذه الأغنية الملحمية التي
لا تريد أن تحكي إلا عن « فزعة » بدوية ، تتصاعد لتصبح
فزعة حضارية . وخلال الثأر والقتل ، تفكر ليلي بالحصاد .
وخلال دفن الأبناء والأعداء ، ترثي ليلي كل الموتى .

في هذه القصيدة يكتشف الشاعر أعمق الدوافع الموضوعية
للتغيير الانساني ، تحت ركام التقاليد المتخلفة . وذلك هو
الرفض الواعي ، ذلك هو الكشف عن الصيرورة الخالقة
تحت آفات الجمود والركود . وفي كل القصائد الأخرى التي
يستعين فيها سميح بمناظر التخلف وممارساته اليومية ، ويستخدم
فيها معطيات الوجدان الأسطوري والغيبي ، فانه يوهج من
هذه العقبات جمرة احتراق العرس فيها لينبجس ضوء الوعي ،
ويؤسس الوجدان المقاوم ، فوق أساطير العناد والبطولات
الجوفاء ، وعلى مستوى المعرفة بالذات المهزومة ، والطريق
الحقيقي لدفع الهزيمة ، وأسباب كل هزيمة .
غير أن سميح إذ تأخذه حماسة تأسيس الوجدان المقاوم ،
فانه ، ومعه الجوقة كلها ، يعي التحرر من مضمون أدوات
الركود ، ولكنه في الفن ، ينزلق إلى الرتابة ، ذلك أن
الموضوع الواحد الذي يشد أعصابه ، يفرض نفسه على الخيلة
دائماً ، فلا يتحرر النمو العضوي من المنعزل الأصلي ، ويظل
ينداح حوله حلقات وحلقات متشابهة الشحن العاطفي والرمز
العقلي بألفاظ متغايرة بل مترادفة .

لأنه يخطب ، ولأنه يغني الموال ، ولأنه يكرر أقاصيص
الفلاح والبدوي ، ويعيش المشكلة الواحدة موزعة على أوتار
منضدة ملء جوه الذاتي المرنان ، فهو ليس دائماً بمنصر على
رثابة مادته ، وليس دائماً بمتحرر من المباشرة ، والدوران
الكلامي حول النبضة الواحدة ، فليس كل ما يكتبه الشاعر
نبضات ، وما يقع في أسر الكلمات يجب أن يحذف أو يهمل.
وسميح متعجل تأخذه تسارعات المعركة وتلاشها المضني ، فلا
وقت يضيعه في الترميم والتغميس .

والشعراء المقاومون جميعاً هم كالمقدمة الموسيقية تمشي في
طلية الجيش المقاوم والهبات الفنية مغفورة في أرض التسارع
والتلاهي . ولكن سميح القاسم مع ذلك لا يرضى لنفسه
الصياغة السهلة ، وهو يجتهد من ديوان الى آخر بنوعية صياغته .
وبالصبر على ائدفاعاته عليها تبرد قليلاً لتخرج من مرحلة المعاناة
الفردية الى مرحلة المثال الفني الموضوعي .

ولأن هذا الشعر المقاوم لا يحتاج الى رموز شمولية ، فإن
فرسانه محتاجون الى المباشرة . انهم مضطرون غالباً الى تسمية

الأشياء بأسمائها ، واذا عمدوا الى الرموز فليس لضرورة فنية دائماً ، بل قد تكون ضرورة احترازية .

وكلمة فنية واحدة تبني خاطرة مقاومة شمولية ، فيغتني التعبير المباشر بالدلالة الوجودية . كتلك اللفظة المتوهجة المشبعة المتداخلة الرنين والشعاع والمعنى : أطلع في الأمطار ، أطلع في البرق الأزرق ، في النسمة وفي الأعصار ، أطلع من جرح فتحته قذيفة في صدر جدار ، أطلع من عطش الآبار ، أطلع من قنطرة صامدة ، في وجه الريح ، من نصبة لوز صامدة ، في وجه النار ، أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح ..

فليست الرقابة التي تحكم هذا الشعر ، ولكنها ضجة الإيقاع الذي يفجر المكان بشواهد المعنى ومؤلفاته العضوية . انه يلتقط الرموز الطبيعية والمكانية ، لينتهي الى الموقف الانساني « أطلع من توقيع الحاكم في ذيل التصريح » لتجيب لفظة « أطلع » كالرد الاشرافي المنتصر بإصرار الطبيعة ذاتها على تكرار الشكل ، و صمود الآثار التاريخية لمكان الشعب : الآبار ،

القنطرة .. البيت الطيني ، وكل رموز القرية العربية الصغيرة
الباقية في ذلك « المستنقع » على حد تعبير سميح .

وإذا يشغل الشعراء المقاومون ، قبل الرد الفدائي بتأصيل
حجة البقاء في الأرض ضد الرحيل ، فإن سميح يكشف عن
صفحة من المعاناة الخصب الشاقة ، في قصيدة رائعة تتشخص
من خلال حوار بين أخوين ، أحدهما اجتذبه المنفى واستغرق
في « نجاحات » المنفى ، والآخر يضرب بجذوره في « المستنقع »
المتبقي لعرب الأرض المحتلة .

وهنا يصبح النظم عملاً عقلياً وإبداعياً متكاملًا، لا تتجاوز
فيه الألفاظ والأوزان ، ولكنها تنبني بناء داخلياً محكماً ،
وتتتابع عن جرف بركاني هائل ، لتتكثف بدلالات مختصرة
معبرة مكثفة بذاتها .

تفيد القصيدة من ايماءات الواقع ، ومن إطارات الحياة
اليومية ، وتنتقي زوايا من الشارع والمكتب ، وتبني مسافاتها
الخاصة من أساس مسافات الشارع وأرض البشر الهندسية ،
وتتحدث بلغة الحوار والمخاطبة ، وتمسرح المنظر الدرامي بين

الشقيق المصمم على غرس رجليه بمستنقع فلسطين الباقية ،
والشقيق الممارس لشبقيات الاغراء والاغواء في بيروت .
وتصبح القصيدة في النهاية أشبه بوثيقة عن الفن والتاريخ معاً ،
والفلكلور العائلي والريف العربي .

ذلك الموقف الرحب من كل سيئات الأمة والوطن داخلياً
وخارجياً ، وتجديد محبة أشياء هذه الأمة ، وتجديد طقوس
وجدانها التراثي ، على وهج البراكين الواقعية الجديدة ، ذلك
التحويل الابداعي لأدوات الحضارة المنقرضة الى أدوات
لحضارة الثورة ، هو الممارسة الوجودية والفنية التي تؤسس
الوجدان الشعري المقاوم ، لدى قاسم ورفاقه . وهو لذلك فجر
الانبهار به مرة أخرى وبرسالة الشعر التي كادت تتلفها الثثرة ،
ومضامين الرفض العبثي ، والتحلل العقيم .

وفي جحيم البقاء داخل مستعمرة إسرائيل على أرض
فلسطين ، والبقاء عربياً ، والبقاء تقديمياً ، حتى مرحلة البقاء
مقاوماً وثائراً . وأن يكون الصامد شاعراً ، ومتمسكاً
بثقافة الشعر العربي ، ومتشعباً بفروسية هذا الشعر ولغته

المتجددة على أسنة المبدعين ، كل ذلك يؤلف في حد ذاته
جوهر تلك الممارسة الخارقة ، الفريدة من نوعها في موسوعة
الثوريات . لأن مثل هذا البقاء هو الدحض اليومي لأكذوبة
إسرائيل كلها .

ولأن هذا البقاء الذي يمارسه مثقفو رموزنا العربية ، على
أرض فلسطين ، هو الخيرة الصحيحة لقضية تجدد الثورة
العربية من أرض المجاهبة . يقول سميح : قلت لي - أذكر
من أي قرار ، صوتك المشحون حزناً وغضب ، قلت
يا حبي من زحف التتار ، وانكسارات العرب ! قلت لي :
في أي أرض حجرية ، بذرتك الرياح من عشرين عام ،
قلت : في ظل دواليك السبية ، وعلى أنقاض أبراج الحمام !
قلت : في صوتك نار وثنية ، قلت : حتى تلد الرياح الغمام ،
جعلوا جرحي دواة ، ولذا فأنا أكتب شعري بشظية ،
وأغني للسلام !

إن التواجد القومي والتقدمي والثوري كله تواجد عضوي
متداخل متوحد في تجربة تأسيس الوجدان الشعري المقاوم
لدى هذه الطبيعة . وبدون مفارقات واصطناعات لحرب

الألفاظ الإيديولوجية ، تم لهم وعي موقفهم الثوري والفني .
فليس لديهم أسطورة القطر ضد الشمول القومي ، وليس لديهم
أسطورة العنصر القومي ضد الكفاح الانساني . وبالكلمة
المقاتلة يدعون للبندقية ويدعون للسلام .

وبالكلمة المكافحة يكشفون عن وجه الثورة العربية
الجديدة ، من أعماق الانسلاخ الاسرائيلي ، ويؤكدون عناصر
الفكر الثوري من معاناتهم اليومية دون تطفل ولا تراكم
أمواج ، ولا صراع مزایدات .

فإن سميح ودرويش وزياد وجميع مثقفي عربنا في
المستعمرة الإسرائيلية على أرضنا ، يرسون في الحقيقة أسس
مدرستنا الثورية الجديدة . وحتى لو لم يكتمل وعيهم بما
يعملون ، إلا أنهم عناصر حيوية في تجربة الريادة هذه وإذا كانوا
يجربون فنياً ، فإنهم يبنون كذلك تجربة حل التناقضات
المقاتلة التي مزقت طلائع كثيرة خارج فلسطين ، حاولت أن
تبدأ من معاناة الانتكاب الى تحقيق الانتصارات ، وتساقطت
على درب الهزائم المتوالية .

كيف تكون الكلمة أساساً لوجود أصيل ولا تغطية
لوجود موهوم، غيبي، أو أسطوري، أو وجود كاذب خادع،
هذا هو سؤال شعرائنا المقاومين . ولقد أعطوا حتى الآن
الانبهار، وبقي فيض الرعد يخلفه طائر الرعد، في أعراس
سميح القاسم ومحمود درويش وطليعتهم المظفرة الجديدة .

أغاني الحروب

« ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد *
وجاءت كل نفسٍ معها سائق وشهيد *
لقد كان في غفلة من هذا فكشفنا
عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد * »

الإهداء

« إلى الذين سدّ هواتهم غبارُ الدروب
« لعلهم يجبهون !! .. »

أغاني الحرفب

من رُؤى الأثلام في موسمِ خصبِ
ومن الخيبةِ في مأساةِ جدبِ
من نجومِ سهرةٍ في عرشها
مؤنساتٍ في الدجى قصةَ حبِّ
من جنونِ الليلِ .. من هدأتهِ
من دمِ الشمسِ على قطنةِ سُحبِ
من بحارِ هدرتْ .. من جدولِ
ناهَ .. لم يحفل به أيُّ مصبِّ

من ذؤابات وعت أجنحة
جرفتھا الریح فی کل مهب
من فراش هام فی زھر وعشب
ونسور عشت مسرح شهب

* * *

من دمی الأطفال .. من ضحكاتهم
من دموع طهرتها روح رب
من زنود نسقت فردوسها
دعوة فضلى على أنقاض حرب
من قلوب شعلت أشواقها
شعلا تعبر من رحب لرحب
من عيون سممت أحداقها
فوهة البركان في نظرة رعب
من جراحات يضرني حقداهما
ما ابتنى شعب على أنقاض شعب

من دمى .. من ألمى .. من ثورتى
من رؤاى الحضرة .. من روعة حى
من حىاتى أنت .. من أغوارها
يا أغانى ! فرودى كل درب

جيك المأساة

هنا .. في قـرارـتنا الجائـعـه

هنا .. حفرت كـهـفـها الفـاجـعـه

هنا .. في معـالـمنا الدارسات

هنا .. في محـاجـرنا الدامعه

نـبـوخذ نـصـر و الفـاتـحون

وأشلاء رايتنا الضائعه

* * *

فباسمكَ يا نسلنا المرتجى
وباسمكِ يا زوجنا الضارعه
رددُ الزمان إلى رشده
ونبصق في كأسه السابعه
ونرفع في الأفق فجر السماء
ونلهمه شمسا الطالع !

ما زال

دم أسلافي القدامى لم يزل يقطرُ مني
وصهيل الخيل ما زال ، وتقريعُ السيوفُ
وأنا أحمِلُ شمساً في يميني وأطوف
في مغاليقِ الدجى .. جرحاً يغني !!

لأننا

أحسُّ أننا نموت
لأننا .. لا ننتقن النضال
لأننا نعيد دون كيشوت
لأننا .. لهفي على الرجال!

في القرن العشرين

أنا قبل قرون
لم أتعود أن أكره
لكني مُكره
أن أشرع ربحاً لا يعيى
في وجه التنين
أن أشهر سيفاً من نار
أشهره في وجه البعل المأفون

أن أصبح ايليًا (١) في القرن العشرين

* * *

أنا .. قبل قرون
لم أتعود أن أُلحد !
لكني أجلدُ
آلهةً .. كانت في قلبي
آلهةً باعت شعبي
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
لم أطرده من بابي زائر
وفتحت عيوني ذات صباح
فإذا غلاّتي مسروقه

(١) نبي يهودي حارب الأوثان ، وينسب إليه أنه قتل كهنة بعل .

ورفيقة ' عمري مشنوقه
وإذا في ظهر صغيري .. حقل جراح
وعرفت ضيو في الغدّارين
فزرعوا ببابي ألغاماً وخناجر
وحلفت بأثار السكّين
لن يدخل بيتي منهم زائر
في القرن العشرين !

* * *

أنا قبل قرون
ما كنت سوى شاعر
في حلقات الصوفيين
لكني بركان ثائر
في القرن العشرين !!

أمطار الدم

« النار فاكة الشتاء »

ويروح يفرح بارتياحٍ راحتين غليظتين
ويحرك النار الكسولة جوفاً موقدها القديم

ويُعيد فوق المرتين

ذكر السماء

والله .. والرسول الكرام .. وأولياء صالحين

ويهزُّ من حين لحين

في النار .. جذع السنديان وجذع زيتون
عتيق

ويضيف بُنّاً للأباريق النحاس
وُيهيلُ حَبّاً (الهَيْلِ) في حَذَرِ كَرِيم
« الله .. ما أشهى النعاس

حول المواقد في الشتاء !

لكن .. ويُقلق صمت عينيه الدخان

فيروح يشتم .. ثم يقهره السُّعال

وتقهقه النار الخبيثة .. طفلةً جذلي لعوبه

وتتّز ضاحكةً شراراتٌ طروبه

ويطقطق المزراب .. ثم تصيح زوجته الحبيبه

- قم يا أبا محمود .. قد عاد الدوابّ

ويقوم نحو الحوش .. لكن !!

- قولي أعودُ .. تكلمي ! ما لون .. ما لون

المطر ؟

ويروح يفرك مقلتيه
- يكفي هراءً .. إنَّ في عينيك آثارَ الكبرِ ؟
وتلولبت خطواته .. ومع المطر
ألقى عباءته المبللة العتيقة في ضجر
ثم ارتقى ..

- يا موقداً رافقتني منذ الصغر
أتراك تذكر ليلة الأحزان . إذ هزَّ الظلام
ناطور قرينتنا ينادي الناس : هبوا يا نيام
دَهْم اليهود بيوتكم ..

دهم اليهود بيوتكم ..
أتراك تذكرُ ؟ .. آه .. يا ويلي على مدن
الخيام !

من يومها .. يا موقداً رافقته منذ الصغر
من يوم ذاك الهاتف المشؤوم زاغ بيَّ البصر
فالشمس كتلة ظلمة .. والقمح حقل من إبر

يا عسكريَ الإنقاذ ، مهزوماً !

ويا فتحاً تكلم بالظفر !

لم تخسروا !.. لم تهربوا !.. إلا على أنقاض

أيتام البشر !!

من عزوتي .. يا صانعي الأحران ، لم

يسلم أحد

أبناء عمي جندلوا في ساحة وسط البلد

وشقيقتي .. وبنات خالي .. آه يا موتى من الأحياء

في مدن الخيام !

ليثرثر المذيع « في خير » ويختلق « السلام » !!

من قرיתי .. يا صانعي الأحران ، لم يسلم أحد

جيراننا .. عمال تنظيف الشوارع والملاهي

في الشام ، في بيروت ، في عمان ، يعتاشون ..

لطفك يا إلهي !

وأنا هنا ..

وتصيح عند الباب زوجته الحبيبه
- قم يا أبا محمود .. قد عاد الجُباة من الضريبه
ويصيح بعض الطارئين : افتح لنا هذي الزريبه
أعطوا لقيصر ما لقيصر !!

* * *

ويجالدُ الشيخ المهيب عذاب قامته المهيبه
وتدفقت كلماته الحمراء .. بركانا مفجّر
- لم يبق ما نعطي سوى الأحقاد والحزن المسمّم
فخذوا .. خذوا منا نصيب الله والأيتام
والجرح المضرّم

هذا صباحٌ .. سادن الأصنام فيه سوف يُهدم
والبعلُ .. والغزّيُّ تُحطّم

* * *

وتندمدِم الأمطارُ .. أمطار الدم المهدوم ..
في لغةٍ غريبه

ويهز زوجته أبو محمود .. في لغة رهيبه

- قولي أعودُ .. تكلمي !

ما لون .. ما - لون المطر ؟

-

ويلاه .. من لون المطر !!

أطفال سنة ١٩٤٨

كَوْمٌ من السمك المقدّد في الأزقة . في الزوايا
تلهو بما ترك التتار الانكليز من البقايا
أنبوبة .. وحطام طائرة .. وناقلة هشيمة
ومدافع محروقة .. وثياب جنديّ قديمه
وقنابل مشلولة .. وقنابل صارت سُطايا

* * *

« يا اخوتي السمر العراة .. ويا روايتي الأليمه

غَنّوا طويلاً وارقصوا بين الكوارث والخطايا «
لم يقرأوا عن « دنُ كَشوت » وعن خرافات القتالِ
ويجنّدون كتائباً تُفني كتائب في الخيال
فرسانها في الجوع تزحف .. والعصيُّ لها بنادق
وتُشدُّ للجبناء ، في أغصان ليمونٍ ، مشانق
والشاربون من الدماء لهم وسامات الرجال

* * *

يا اخوتي !
آباؤنا لم يغرسوا غير الأساطير السقيمه
واليتيم .. والرؤيا العقيمه
فلنجن من غرس الجهالة والخيانة والجريمه
فلنجن من خبز التمزُّقِ .. نكبة الجوع العضالِ

* * *

يا اخوتي السمر الجياع الحالمين ببعض رايه
يا اخوتي المتشردين ويا قصيدتي الشقيه
ما زال عند الطيبين ، من الرثاء لنا بقيه
ما زال في تاريخنا سطر .. لخاتمة الروايه !

غرباء

وبكىنا .. يوم غنى الآخرون
ولجأنا للسماء
يوم أزرى بالسماء الآخرون
ولأننا ضعفاء
ولأننا غرباء
نحن نبكي ونصلي
يوم يلهو ويفني الآخرون

* * *

وحملنا .. جرحنا الدامي حملنا
وإلى أفق وراء الغيبِ يدعوننا .. رحلنا
شرذماتٍ .. من يتامى
وطوينا في ضياعٍ قاتمٍ .. عاماً فعاماً
وبقينا غرباء
وبكينا يوم غنى الآخرون

* * *

سنواتُ التيهِ في سيناءَ كانت أربعين
ثم عاد الآخرون
ورحلنا .. يوم عاد الآخرون
فإلى أين؟ .. وحتامَ سنبقى تائهين
وسنبقى غرباء؟!!

القصيدة الناقصة

أمرٌ ما سمعت من أشعار
قصيدة .. صاحبها مجهول
أذكر منها ، أنها تقول :
سربٌ من الأطيّار
ليس يهّمّ جنبه .. سرب من الأطيّار
عاش يُنغمّ الحياه
في جنّة .. يا طالما مرّ بها إله

* * *

كان إذا نشنَشَ ضوءُ
على حواشي الليل .. يوقظ النهار
ويرفع الصلاة
في هيكل الخضرة ، والمياه ، والتمر
فيسجد الشجر
وُينصت الحجر
وكان في مسيرة الضحى
يرود كل تلة .. يؤم كل نهر
ينبّه الحياة في الثرى
وُينهض القرى
على مَطلٍ خير
وكان في مسيرة الغياب
قبل ترمث الشعاع في مجامر الشفق
ينفض عن ريشاته التراب
يودّع الوديان والسهول والتلال

ويحملُ التعبُ
وحزمة من القصب
ليحبك السلال
رحيبةً .. رحيبةً .. غنيّة الخيال
أحلامها رؤى تراود الغلال
وتحضن العِشاشُ سرّ بها السعيد
وفي الوهاد ، في السفوح ، في الجبال
على ثرى مطامحٍ لا تعرف الكلال
يورق ألف عيد
يورق ألف عيد ..

* * *

وكان ذات يوم
أشأم ما يمكن أن يكون ذات يوم
شرذمةٌ من الصّلال
تسرّبت تحت خباءٍ ليل

إلى عِشاشٍ .. دوحها في ملتقى الدروب
أبوابها مشرّعة
لكل طارقٍ غريب
وسورها أزاهرٌ وظل
وفي جنان طالما مرّ بها إله
تفجّرت على السلام زوبعة
هدّت عِشاشَ سربنا الوديع
وهَشَمَتْ حديقةً .. ما جدّدت « سدوم »^(١)
ولا أعادت عار « روما » الأسودَ القديم
ولم تدنّس روعة الحياه
وسرّبنا الوديع؟!
ويلاه .. إنّ أحرّفي تتركني

(١) سدوم وعمورة ، مدينتان على البحر الميت ينسب دمارهما لاهوتياً،
إلى غضب الله لشدة ما اقترف أهلها من الخطايا .

ويلاه .. إنَّ قدرتي تخونني
وفكرتي .. من رعبها تضيع
وينتهي هنا ..
أمر ما سمعت من أشعار
قصيدة .. صاحبها مات ولم تتم
لكنني أسمع في قرارة الحروف
بقية النغم
أسمعُ يا أحبَّتي .. بقية النغمُ

بوابة الدموع

أحبائنا .. خلف الحدود
ينتظرون في أسى ولهفة مجيئنا
أذرعهم مفتوحة لضمنا لِشَمِّنا
قلوبهم مراجل الألم
تدقّ .. في تمزُّق أصم
تحارُّ في عيونهم .. ترجف في شفاههم
أسئلة عن موطن الجدود

غارقة في أدمع العذاب والهوان والندم

* * *

أحبابنا .. خلف الحدود

ينتظرون حبةً من قمحهم

وقطرة من زيتهم .. ويسألون

كيف حال بيتنا التريك

و كيف وجه الأرض .. هل يعرفنا إذا نعود؟!!

يا ويلنا ..

حطامَ شعب لاجيء شريد

يا ويلنا .. من عيشة العبيد

فهل نعود ؟ هل نعود؟!!

طورت الجنة الضائعة

صوتها كان عجيباً
كان مسحوراً قوياً .. وغنياً ..
كان قداساً شجياً
نغمات أفلته الفردوس في آفاقنا
لفننا وانساب في أعماقنا
فاستفاقت جذوة من حزننا الخامد
من أشواقنا

وكما أقبل فجأه
صوتها العذب ، تلاشى ، وتلاشى ..
مُسْلِمًا لِلرِّيحِ دِفْئَه
تاركًا فينا حنينًا وارتعاشًا
صوتها .. طفل أتى أسرتنا حلواً حبيباً
ومضى سرّاً غريباً
صوتها .. ما كان لحنًا وغناء
كان شمساً وسهوباً ومرعه
كان ليلاً ونجوماً
ورياحاً وطيوراً وغيوماً
صوتها .. كان فصولاً أربعه
لم يكن لحناً جميلاً وغناء
كان دنياً وسماءاً

* * *

واستفقتنا ذات فجر
وانتظرنا الطائر المحبوب واللحن الرخيا
وترقّبنا طويلاً دون جدوى
طائر الفردوس قد مدّ إلى الغيب جناحا
والنشيد الساهر المسحور .. راحا ...

صار لوعه

صار ذكرى .. صار نجوى

وصداه حسرةً حرّى .. ودمعه

* * *

نحن من بعدك شوق ليس يهدا
وعيونٌ سُهِدَتْ ترنو وتندى
ونداءٌ حرق الأفقَ ابتهالاتٍ ووجدنا
عُدْ لنا يا طيرنا المحبوب فالآفاق غضبي
مدلهمة

عد لنا سكرأ وسلوانأ ورحمه
عد لنا وجهأ وصوتا
لا تقل : آتي غداً
إنا غداً .. أشباح موتى !!

رسالة الى الله

« بلد الأحزان
« التاريخ .. ما دمنا حزاني

سيد الكون أبانا
ألف آمنًا ، وبعد .
من حقول البؤس هذي الكلمات
من سفوحٍ جوعتْ ، من قممٍ
نسرُها أهوى على الشمروخ في يأس .. ومات !

من بحار لم تعد فيها جزيره
لم يعد فيها سوى أشرعة الذكرى المريره
من جنينٍ 'كبّلت فيه الحياة
كل ما تحمل هذي الكلمات
يا أبانا ، يا أبا أيتامه 'ملثوا الصلاة
يا أبانا ، نحن ما زلنا نصلي من سنين
يا أبانا ، نحن ما زلنا بقايا لاجئين

* * *

أرضنا ،

من غسل - 'يحكى - بها الأنهار - 'يحكى -
من حليب

أنجبت - 'يحكى - كبار الأنبياء
وعشقناها

ولكننا انتهينا في هوانا أشقياء
وحملنا كل آلام الصليب

يا أبانا ، كيف ترضى لبنيك البسطاء
دون ذنوبٍ - كل آلام الصليب !!

* * *

يا أبانا ، نحن بعد اليوم لسنا بسطاء
لن نصلي لك كي تُطِّير قمحا
لن نداوي بالحِجَابَات وبالرَقِيَّةِ جرحا
نحن أنجبنا على الحزن كبار الأنبياء
وخلقنا من أمانينا التي تكبر .. رَبَّنَا
شقَّ من مأساتنا للفجر دربا

* * *

عفوك اللهم إن كانت حروفي مستفزّه

أنا إنسانٌ من الطين

أنا الخاطيء مذ كنت

ومولاي المنزّه !!

انتيجونا

« ابنة أوديب - الملك المنكوب - التي رافقته
في رحلة العذاب .. حتى النهاية ! » (١)

خطوه ..

ثنتان ..

ثلاث ..

(١) انتيجونا هي بطلة المسرحي الاغريقي سوفوخليس ، التي تمثل
رمز الوفاء للأب . والتضحية في سبيله . ظلت تقود خطوات أبيها
الأعمى ، الملك أوديب ، إلى أن حكم عليها بالإعدام ..

أقدم .. أقدم !
يا قربانَ الآلهة العمياء
يا كبشَ فداء
في مذبحِ شهواتِ العصرِ المظلمِ
خطوه ..

ثنتانِ ..
ثلاث ..

زندني في زندك
نجتازِ الدربِ الملتاثِ !

* * *

يا أبتاه !
ما زالت في وجهك عينان
في أرضك ما زالت قدمان
فاضربِ عبرِ الليلِ
بِأشامِ كارثةِ في تاريخِ الإنسانِ

عبرَ الليل .. لنخلقَ فجرَ حياه !

* * *

يا أبتاه !

إن تُسْمِلْ عَيْنِكَ زبانيةُ الأحران
فأنا ملءُ يديك

مِسْرَجَةٌ تُشْرِبُ من زيت الإيمان
وَعَدَاً يا أبتاه أُعيدُ إليك
قَسَمًا يا أبتاه أُعيدُ إليك
ما سلبتكَ خطايا القرصان
قسماً يا أبتاه

باسم الله .. وباسم الإنسان

* * *

خطوه ..

ثِنْتَانِ ..

ثلاث ..

أقدم .. أقدم !

بابك

أنا لم أحفظ عن الله كتابا
أنا لم أبني لقيس قبابا
أنا ما صليت .. ما صمت .. وما
رهبت نفسي لدى الحشر عقابا
والدم المسفوك من قافيتي
لم يراود من يدي عدن ثوابا
فهو لو ساءلته عن مطمّح
ما ارتضى إلا فدى النور انسكابا !

* * *

غضبتى .. غضبة جرح أنشبت
فيه ذؤبانُ الحنا ظفراً ونابا
وانتفاضاتى عذابٌ .. ودَّ لو
ردَّ عن صاحبه الشرقُ عذابا
وأنا أومن بالحق الذي
مجدُّه يؤخذ قسراً واغتصابا
وأنا أومن أنى باعثٌ
فى غدى الشمسِ التى صارت ترابا
فاصبرى يا لطفة العار التى
خطَّها الأمسُ على وجهى كتابا
وانظري النارَ التى فى أضلعي
تهزم الليل وتجتاح الضبابا
شمعت فى آسيا فاستيقظت
وصحت افريقيا .. غاباً فغابا !

* * *

يا حمام الدوح ! لا تعتب أسىً
حسبنا ما أجهش الدوحُ عتاباً
نحن لم نَزجُرْكَ عن بستاننا
لم نُحْكَمْ في مغانيك الغراباً
نحن أشباهٌ وقد أوَسعنا
غاصب الأعشاش ذلاً واغتراباً
فابكِ في الغربيةِ عمراً ضائعاً
وارثِ عيشاً كان حلواً مُستطاباً
علَّ نارَ الشجو تُذكي نخوةً
في الألى اعتادوا مع الدهر المصاباً
فتهد اللحدَ عنها جُثثٌ
ويمور البعثُ شيباً وشباباً

* * *

يا قرى .. أطلالها شاخصةٌ
تتقرئ غائباً أبكى الغياباً

يا قريَّ يُؤسي ثرى أجدائها
أنَّ في النسل جراحاً تتغابى
يا قرانا .. نحن لم نَسَلُ .. ولم
نغدر الأرض التي صارت يبابا
خصبها يهدر في أعراقنا
أملاً حراً ، ووحياً ، وطِلاباً
والذرى تشمخ في أنفسنا
عزةً تحتطبُ البغي احتطاباً !.

* * *

يا بلاداً بَلَّاتُ كلَّ صدىِّ
وصداها لم يَرِدُ إلا سرايا
يا بلادي نحن ما زلنا على
قسم الفدية شوقاً وارتقاباً
يا بلادي ! قبل ميعاد الضحى
موعدٌ ينضو عن النور حجاباً !

* * *

نكبةُ التيهِ التي أودت بنا
فطرقنا في الدجى باباً فباباً
عمقت سكينها في جرحنا
وجرت في دمننا سماً وصاباً
وتهاوينا على أنقاضنا
فخرابٌ ضمّ في البؤسِ خراباً
ومن الأعماق .. من تُربتنا
هتف التاريخ .. والمجد أهاباً
فإذا أيا منّا مشرقةٌ
بدمٍ .. من لونه أعطى التراباً
وإذا روما نداءً جارحاً
طاب يومُ النارِ يا نيرونُ طاباً !

* * *

أيها العاجمُ من أعوادنا
نحن ما زلنا على العجمِ صلاباً

فاسأل الجرح الذي عذبنا
كيف ألبنا على الجرح المذابا
نكبة' التيه التي سدّت بنا
كل أفق ضوأت فينا شهابا
فأفاقت من سباتٍ أعين'
وولدَ الدهرُ عليهنّ وشابا
واشرأبت في المدى ألوية'
خفقت في الأربع الجرد سحابا
وعلى وقع خطانا التفتت
أمم أغضت هوانا واكتئابا
ورؤانا أخصبت فاخضوضرت
أعصرُ ناءت على الشرق جدابا؟

* * *

شعفاتُ الشمس من غاياتنا
فازرعي يا أمّتي الليلَ حرابا

وإذا الأسداف أهوت جثثاً
وإذا أحنى الطواغيتُ رقاباً
وإذا فجرتِ أنهارَ السنى
وسنون الجذبِ بُدِّلنِ خصاباً
فانشري النور على كل مدى
وابعثي أمجاده عجباً عجاباً
نحن أحرى مستجيباً إن دعا :
من يُفدِّي؟ وهو أحرى مُستجاباً!

أكثر من معركة

في أكثر من معركةٍ دامية الأرجاءُ
أشهر هذي الكلمات الحمراء
أشهرها .. سيفاً من نارٍ
في صفٍّ الإخوة .. في صفٍّ الأعداء
في أكثر من دربٍ وعربٍ
تمضي شائخةً .. أشعاري
وأخافُ .. أخاف من الغدرِ

من سكين يُغمد في ظهري
لكني ، يا أغلى صاحب
يا طيبٌ .. يا بيتَ الشعرِ
رغم الشكِّ .. ورغم الأحزانِ
أسمعُ .. أسمعُ .. وقع خطى الفجرِ !
رغم الشكِّ .. ورغم الأحزانِ
لن أعدم إيماني
في أنَّ الشمس ستشرقُ ..
شمس الانسانِ
ناشرةً ألوية النصرِ
ناشرة ما تحمل من شوقٍ وأمانِ
كلماتي الحمراء ..
كلماتي .. الخضراء !

الساحر والبركان

« أسطورة مهداة إلى الحكم العسكري »

وشَعَّوْذ السّاحر فانطلق
من قَمَقَمِ البحار .. ماردٌ صغير
يريد للزورق .. أن يُقبَّلَ الفرق
يريد للحرية الحمراء
أن تقطن في كوخ .. من الورق
يريد للجدور أن تحيا بلا شجر

يريد للأشجار أن تحيا بلا ثمر
يريد للانسان أن يموت في الحياة !
يريد أن ...

وانفجر البركان !

والتهمت ساحرَهُ النيران

فعاد للقمقمِ يستجير

بساحرٍ جديد

بساحرٍ .. ليس له وجود !!

أخوة

« إلى الذين يعرفون الأخوة من جلدتها ..
« ويتركونها مرتجفة في صقيع الزيف !

أيا سائلي في تحديّ وقوّه
أتُنشدُ ؟ أين أغاني الأخوّه ؟

قصائدك السود بركان حقد
ومرجل نار ، وسخط وقسوه

فأين السلام ؟ وأين الوئام
أتجني من الحقد والنار نشوه ؟!

وصوتك هذا الأَجَشُّ الجريح
سَمْنَا صَدَاهُ الكَثِيبَ وشَجَوَه
فهلَّا طرحت رداء الحِداد
وغنيت للحبِّ أَعذبَ غنوه !

* * *

أيا سائلي ! خلِّ عنك العتاب !
تلوم جريماً إذا ما تأوّه ؟
أخوك أنا ! هل فككت القيود التي
حَفرتْ فوق زنديٍّ فجوه !
أخوك أنا ؟ ! من ترى زج بي
بقلب الظلام .. بلا بعض كونه ؟
أخوك أنا ؟ من ترى ذادني
عن البيت والكرم والحقل .. عنوه
تحمِّلني من صنوف العذاب
بما لا أطيع وتغشاك زهوه

وتشتمني .. وتعلمُ طفلك
شتمَ نبي . بأرضِ النبوه
تشكُّ بدمعي إذا ما بكيت
وتسرف في الظن ان سرتُ خطوه
وتحصي التفاتاتي المتعبات ..
فيوماً « أشار » ويوماً « تفوه »

* * *

وإن قام ، من بين أهلك ، واعٍ
يبرئني .. تزدريه بقسوه
وتزجره شاجباً « طيشه »
وتعلن أنني توجّهت « لغوّه »!
وإما شكوتُ .. فمنك إليك ..
لتحكم كيف اشتتت فيك شهوه
فكيف أغني قصائد حبٍ
وسلم .. وللكره والحربِ سطوه؟

وأُشدُّ أشعارَ حريّةٍ ..

لقضبانِ سجنِي الكبيرِ المشوّه

أيا لائمي ! أنتَ باللومِ أحرى !

إذا شئتَ أنتَ .. تكونِ الأخوه !!

السلام

ليُغنَّ غيري للسلامُ
ليُغنَّ غيري للصدّاقة ، للأخوّةِ ، للوثامُ
ليُغنَّ غيري .. للغراب
جدلانَ ينعقُ بين أبياتي الخراب
للجوم .. في أنقاضِ أبراجِ الحمام !
ليُغنَّ غيري للسلام
وسنابلي في الحقل تجهشُ بالحنين

للنورج المعبود يمنحها الخلود من الفناء
لصدى أغاني الحاصدين
لحُداء راعٍ في السفوح
يحكي إلى عنزاته .. عن حبه الخفير الطموح
وعيونها السوداء .. والقدر المليح

* * *

ليُغنَّ غيري للسلام
والعينُ ما عادت تبلُّ صدى شجيرات العنب
وفروعُ زيتوناتنا .. صارت حطب
لمواقد اللاهين .. يا ويلى .. حطب !
وسياجنا المهدودُ أوحشهُ سهيل الخيل
في الطَّفَلِ المهيب
والجرن يشكو الهجر .. والإبريقُ يحلم
بالضيوف

بال « يا هلا » ! .. عند الغروب

ورؤى البراوين المُنْبَرَةَ الحطيمه
تبكي على أطرافها ، تُتَفُّ من الصور القديمه
وحقائبُ الأطفال .. أشلاءٌ يتيمة
لبثت لدى أنقاضِ مدرسةٍ مهدّمةٍ حزينه
ما زال في أنحائها .. ما زال يهزأ بالسكينه
رَجَعُ من الدرس الأخير ..
عن المحبة والسلام !!

* * *

ليغنَّ غيري للسلام
وهناك .. خلف حواجز الأسلاك .. في قلب
الظلام

جثمت مدائن من خيام
سُكَّانُها ..
مستوطنات الحزن والحمى ، وسلّ الذكريات
وهناك .. تنطفئ الحياة

في ناسِنَا ..

في أبرياء .. لم يسيئوا للحياة !

وهنا .. !

كَمَتَ بِيَّارَةٌ من خلقهم .. خيراً كثير

أجدادهم غرسوا لهم ..

ولغيرهم ، يا حسرتي ، الخير الكثير

ولهم من الميراث أحزان السنين !

فليشبع المتضورون !

وليشبع الأيتام من فضلات مأدبة اللئام !!

* * *

ليغن غيري للسلام ..

وعلى ربي وطني ، وفي وديانه .. قَتِلِ السلام ؟

(الأسطر الثمانية الأخيرة من هذه القصيدة محذوفة

(بالشكل التالي :

x x x x x x x x

لا نُصَبَ .. لا زَهْرَةَ .. لا تَذْكَارَ
لا بَيْتَ شَعْرٍ .. لا سِتَارَ
لا خِرْقَةَ مَخْضُوبَةَ بِالدَّمِ مِنْ قَمِيصِ
كَانَ عَلَي إِخْوَتِنَا الْأَبْرَارِ
لا حَجَرَ "خَطَّتْ بِهِ أَسْمَاؤُهُمْ
لا شَيْءَ .. يَا لِلْعَارِ

* * *

أَشْبَاحُهُمْ مَا بَرَحَتْ تَدُورُ
تَنْبِشُ فِي أَنْقَاضِ كَفْرِ قَاسِمِ الْقُبُورِ

(الأسطر الثمانية الأخيرة من هذه القصيدة أيضاً محذوفة
بإشارة الرقيب الصهيوني ..)

روما

روما احترقت قبل قرون
لكنَّ الجذرَ الضارب في أرضه
لم يفقد في النكبة معنى نبضه
روما عادت .. يا نيرون !..

كر مثيل

« مدينة الحقد والجوع والجمجم »

صباحَ مساء
يطالعا .. وجهها والساء
ونبسم .. لا بسمة الأغبياء
ولكنها بسمة الأنبياء
تحدّاهم صالب تافه
يغطي الشموس .. ببعض رداء !

* * *

غداً .. يا قصوراً رست في القبور
غداً يا ملاهي .. غداً يا شقاء
سيدكر هذا التراب ، سيدكر
أناً منحناه لون الدماء
وتذكر هذي الصخور رعاةً
بنوها بأدعية من حذاء
وتذكر أناً ..

* * *

هنا سفرُ تكوينهم ينتهي
هنا .. سفر تكويننا .. في ابتداء !

من وراء القضبان

السجين الأول

دوريةُ البوليس لا تنامُ
ما فتئت تبهر في مستنقع الظلام
تجوس كل قرية .. تطرق كل بابُ
وتنكُتُ العتمةُ في الأزقة السوداء
من غيظها .. تكاد أن تُقلِّب الجيوب

لعابريّ .. كان لدى أصحاب !

* * *

« يا بيتنا الوديع .. يا شبّاكنا المضاء
« ما أجمل السلامَ في حلقةِ أصدقاء
« يطالعون الشعرَ ، يشربون ، يروون من
النشكات

« ما يُضحك الأحياءَ من بليّةِ الحياة !
« وبينهم من جحفل الحرية الحمراء
« محاربٍ مخضّبُ اللواء
« سلاحه .. أشعار
« تقطر من حروفها الدماء !

* * *

وداهمت مجلسهم دوريةُ البوليس

لتلقي القبض على محارب وجهته النهار

.

وباتت الخمرة في الكؤوس

(حذف الرقيب الصهيوني المقطعين الثاني والثالث من هذه القصيدة
وما على سعة سبع صفحات من الديوان) .

٤ - رسالة من المعتقل

ليس لدي ورق ، ولا قلم
لكنني .. من شدّة الحرّ ، ومن مرارة الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
فقلت : ماذا لو تسامرتُ مع الأشعار
وزارني من كوّة الزنزانة السوداء
لا تستخفّوا .. زارني وطواط
وراح ، في نشاط

يُقبَل الجدران في زناتي السوداء
وقلت : يا الجريء في الزوار
حدث !.. أما لديك عن عالمنا أخبار ؟!

فإنني يا سيدي ، من مدّة
لم أقرأ الصحف هنا .. لم أسمع الأخبار
حدث عن الدنيا ، عن الأهل ، عن الأحباب
لكنه بلا جواب !

صَفَّقَ بالاجنحة السوداء عبر 'كوّتي' .. وطار !
وصحت : يا الغريب في الزوار
مهلاً ! ألا تحملُ أنبائي الى الأصحاب ؟..

* * *

من شدّة الحرّ ، من البقّ ، من الألم
يا أصدقائي .. لم أنم
والحارس المسكين ، ما زال وراء الباب
ما زال .. في رتبةٍ يُنقلّ القدم

مثلي لم ينم
كأنه مثلي ، محكوم بلا أسباب !

* * *

أسندتُ ظهري للجدار
مهدماً .. وغصت في دوامةٍ بلا قرار
والتهبت في جبهتي الأفكار

• • • • •

أماه ! كم يحزنني !
أنك ، من أجلي في ليلٍ من العذاب
تبكين في صمتٍ متى يعزود
من شغلهم إخوتي الأحباب
وتعجزين عن تناول الطعام
ومقعدي خالٍ .. فلا ضحكٌ .. ولا كلام
أماه ! كم يؤلمني !
أنك تجهشين بالبكاء

إذا أتى يسألكم عنيَ أصدقاء
لكنني .. أومن يا أماه
أومن أن روعة الحياه
تولد في معتقلي
أومن أن زائري الأخير .. لن يكون
خفّاش ليلٍ .. مدججاً ، بلا عيون
لا بدّ .. أن يزورني النهار
وينحني السجان في إنبهار
ويرتمي .. ويرتمي معتقلي
مهدماً .. لهيبه النهار !!

يهو شوع مات

* على حد ما يبدو من القصيدة ، فان يهوشع هو اللفظ الآخر الذي يقصد الشاعر به يشوع بن نون ، القائد العسكري اليهودي الذي عبر الأردن من تيه سيناء ، واحتل أريحا ، وأحرقها .. « وكان بعد موت موسى ، عبد الرب ، أن الرب ، كلم يشوع بن نون خادم موسى قائلاً * موسى عبدي قد مات . فالآن قم اعبر هذا الأردن أنت وكل هذا الشعب الى الأرض التي أنا معطيها لهم أي لبني اسرائيل * كل موضع تدوسه بطون أقدامكم لكم أعطيته كما كلمت موسى * من البرية ولبنان هذا الى النهر الكبير نهر الفرات جميع أرض الحثيين والى البحر الكبير نحو مغرب الشمس يكون تخمكم * » ..

(العهد القديم - يشوع - الاصحاح الأول) .

يا حائرين في مفارق الدروب !

لا تسجدوا للشمس

لن يرقى لها صدى صلّاتكم

بينكم وبينها سقف من الذنوب

لا تسكبوا الدموع ، لن ينفعكم ندم

الشمس في طريقها .. راسخة القدم

لا تركعوا .. لا ترفعوا أيديكم إلى السماء

تدمرت واندثرت أسطورة السماء

وأطرقت على متاه بؤسكم جنازة الهباء

يا حائرين في مفارق الدروب !

أغواركم خاوية .. إلا من الخواء

صلّاتكم خاوية .. إلا من الخواء

يا ويلكم ! يا ويلكم

سرعان ما تغوص في أعماقكم

أظافر الغروب !

* * *

يهوشع مات

فلا تستوقفوا الشمس ، ولا تستمهلوا الغروب

سور أريحا شامخ في وجهكم إلى الأبد

يا ويلكم ! يا ويلكم !

سرعان ما تغوص في أعماقكم

أظافر الغروب

يهوشع راح .. ولن يؤوب

يهوشع مات !!

الذئاب الهمر

نُحِمت سراياك فاشرب من سرايانا
كأساً جَرَعَت بها للذئب ألوانا
واشحد مُدَاك على الجرح الذي عصفت
دماؤه بقلاع البغي نيرانا
أركانُ عرشِكَ ، آلينا نقوضها
فاحشد فلولك .. حياتٍ وعقبانا
يا طامعاً بالذئاب الهمر ، ما غنمت
أطباعك السود ، إلا بعض قتلانا

أسطورةُ الأسدِ المهزومِ تمهرها
جداولٌ من دمٍ تجتاح « ردفانا »
يا غازياً غسِلتُ بالنارِ حملتُه
لقد فتحتَ لدفنِ التاجِ كئيبانا
بلادنا .. القَدَرُ المحتومِ قاطنِها
مُذ كانت الشمسُ ، ما لانت وما لانا
وطارفُ المجدِ أقسمنا نسيده
على التليدِ الذي شادت ضحايانا
يا عابد النارِ ! ما زالت مؤرثةً
على القنالِ .. فماذا تعبد الآنا

توتم

« توتم - رقصة إفريقية . تمثل صراع القبيلة
« مع وحش أسطوري مخيف .. يهاجم مضاربها من
« الغابة ولكنها تنتصر عليه !.. »

ألسنة النار تزغردُ في أحشاء الليل
ويُدمدم طبلُ
وتهدُّ بقايا الصمت طبولٌ ضارية وصنوج
ويهيجُ الإيقاعُ المبحوحُ .. يهيجُ

فالغابة بالأصضاء تموج
صرخاتٌ وحوشٍ تطفو فوق هدير السيل
وأفاعٍ جائعةٌ تحت الأعشاب العملاقة تنسلُّ^١
ويُحَلِّقُ حولَ النارِ زنوجُ !
أشباحٌ ترقصُ حول النار
وإلى أطراف الغابة يمتد الظل
بخطى تترددُ .. هيابه
ويمزق قلب الليل دويُّ النار
توتَمَ .. توتَمَ .. توتَمَ !
وأكفٌ سودٌ تُلهب جلدَ طبول
فتدمدم من ألمٍ .. وتدمدم
دُم دُم .. دُ .. دُ .. دُم
دُم دُم .. دُ .. دُ .. دُم
أحقاد قرون تتضرمُ
ويعود يمزق قلب الليل دوي النار

تَوْتَمَّ .. تَوْتَمَّ .. تَوْتَمَّ !
وتُسْرَعُ في وهجِ النيرانِ رماح
تنقضُ لتغسلِ عارِ عصورِ الظلمةِ بالدمِّ
« الغابةُ قَبْرُكَ .. يا استعمار !! »

باتريستن لومومبا

« شاعر الحرية ورسولها . في مجاهل
غابات الكونغو الزنجبي المعذب ! »

لاطم الريح بالجناحين .. واصعد .. يا حبيب الحرية المتمرد !
أيهذا النسر الذي راعه العيشُ بوادِ كابٍ .. ذليلٍ .. مقيدٍ
فتلوّى في بؤرة الوحل والشوك .. بشوقٍ إلى السنى متوقّد
وأضاءت أحلامه برؤى موسى ، وعيسى ، وأمنيات محمد
وأضاءَ الحنينَ للذروة الشماءِ .. بين النجوم .. أعلى وأبعد

فَنَزَا لِلْعَلَاءِ .. مِينَاؤُهُ الشَّمْرُوخِ ، فِي قِمَّةِ الْإِبَاءِ الْمُوطَّدِ

* * *

يَا هَتَافَا ، لَوَقَعَهُ زُلْزِلَ الْكُونْفُو الْحَزِينُ الْمَعْدَبُ الْمُسْتَعْبَدُ
أَغْفَلْتَهُ عَصَابَةٌ سَاقَتِ الشَّعْبَ عَيْدَاً .. لِأَجْنِيٍّ مَسْوَدٍ
نَسَرَ إِفْرِيْقِيَا الْعَظِيمَ .. نَدَاءُ الشَّمْسِ دَوَّى عَلَى الْوُجُودِ وَأَرَعَدُ
فَاسْتَجَبْتَ النَّدَاءَ .. لِيَبْكِ يَا أُمِّي .. غَدَاً فِي أَفْقِ الْبَطُولَاتِ
مُوَعَدِ

وَشَدَّدْتَ الْجَنَاحَ ، فِي الْقَلْبِ نَبْضٌ لَهْيٌ .. وَأُدْمَعٌ تَتَجَلَّدُ
بَعْدَ عَهْدٍ مِنَ الظَّلَامِ ، طَوِيلٍ ، فِي سَمَاءِ الْعَبِيدِ أَشْرَقَتْ فَرَقْدُ
فَاحْمَلِ الْمَشْعَلَ الْعَظِيمَ وَمَزَّقْ مَا أَرَادَ الْغَزَاةُ لَيْلًا مُنْخَلَّدًا !

في صف الأعداء

أمس استوقفتني في الشارع يسأل عن « بار »
يقضي فيه بقية ليله
زنجي بحار

يعمل عتالاً في إحدى سفن الدولار
وتحدثنا فإذا بي أستلطف ظلّه
- هل نشرب كأساً يا صاحب ؟..
ولدى مائدة واجمة في المقهى الثرثار

كان صديقي يشربُ .. يشرب باستهتار !

هذا الزنجيُّ يحب النسيان

فلماذا؟ .. من أيةِ أغوار

ينبع هذا الانسان ؟

- قل لي .. حدّثني عنكم في أميركا الحرّة

عن مدرسة البيض ، كنيستهم ، فندقهم ،

وعبارات

كتبتُ بالفوسفور وجابت كل الحارات :

« ممنوعُ إدخال كلاب ويهودٍ وزنوج » !

- او .. وه .. اتركني باسم الشيطان

هل حولك لي أنثى ؟ فقُبَيْلَ الفجر

سنُسَيِّبُ هذا الميناء .. ونمضي عبر الأخطار !

- حسناً ! حدّثني عن وطنِ النارِ السوداء

هل تسمع عن أبديِّ يُصطاد

عن أدغالٍ تهوي تحت الليل رماد
عن حقل مزروع شهداء
عن شعب يَنْسَبَتْ في أرضٍ
بدماء القتلى مروية

عن شمسٍ تولد حاملةً
خبزاً .. أحلاماً .. حريّة

هل تسمع عن إفريقيه؟!
- أسمع .. أسمع .. دقائقِ طبول « السمبا »
وأرى الحسناء الزنجيه
تترجرج كالنار الغضبية

في رقصة حبّ دمويه

- حسناً .. حسناً .. حدّث عن كوبا

هل تعرف شيئاً عن شعبٍ

ما عاد مسيحاً مصلوباً

لو أنشد هذي الليلة أغنيّه
- كوبا؟ لو أحمل هذه الليلة قيثاره أغنيّه
فتزاح ستاره

عن جسدٍ بضٍّ في إحدى الشرفات

* * *

يا ساقية الحانه
وَيَلْمُكَ .. فارغةٌ كَأَسِي
وأنا ما زلتُ أَحْسُ على عنقي ، رأسي
ورفيقك .. ما لرفيقك أخذَ الحانه ؟ ..
أمس استوقفني في الشارع يسأل عن بار
واليوم صباحاً كان من الأخبار
أمريكيٌ أبيضٌ مات
مات وفي شفّته نداءٌ :

فلتسقط كلمات

كتبت بالدم وبالأحزان
فليسقط عارُ الانسان
يرفعه الفاشست على وحلِ الرايات
« ممنوع إدخال كلابٍ ويهود وزنوج » !!

من أجل

من أجل صباح !
نشقى أياماً وليالي
نحمل أحزان الأجيال
ونكوكبُ هذا الليل جراح !

* * *

من أجل رغيغ !
نحمل صخرتنا في أشواك خريف

نعري .. نحفي .. ونجوع
ننسى أننا ما عشنا فصلَ ربيع
ننسى أننا ..
خطواتٌ ليس هنَّ رجوع !!

الجنود

قوموا اخرجوا من قَبَوكِمْ ، يا أيها النيام !

اليوم للأعراس

دُقُّوا له الأجراس

وارفعوا الأعلام

لاقوه في حماس

لاقوه بالهتاف .. بالأفراح .. بالأغاني

هبُّوا اصنعوا أعظم مهرجانٍ

غَطُّوا المدي بأغصنِ الزيتون

وطيِّروا الحمام

جاءكم السلام

يا مرحبا .. جاءكم السلام !

نحن على الحدود

نحن على الحدود .. لا ننام

أَكْفُنَّا لصيقةً على مقابض الحديد

عيوننا ساهرة .. تجود في الظلام

قلوبنا تدق في انتظارهم ..

أعدائنا الغزاة

نحن تعلمنا .. تعلمنا ..

أن نسلب الحياه !

* * *

نحن على الحدود .. كالكلاب ، كالقرصان !
لا نعرف الهدوء .. لا ننام
فاستقبلوه .. استقبلوا السلام
عاش السلام .. عاش السلام !!

عرف لسن النيك

أسمعهُ .. أسمعهُ !
عبرَ فيافي القحط ، في مجاهلِ الأدغال
يهدرُ ، يدوي ، يستشيط
فاستيقظوا يا أيها النيام ..
ولسنبتنِ السدود قبل دهمة الزلزال
تنبهوا .. بهذه الجدران

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان !

* * *

لمن تُزَيِّنُونَهَا .. حبيبتى العذراء !

لمن تبرِّجونها ؟

أحلى صبايا قريتي .. حبيبتى العذراء !

حسناؤنا .. لمن تُزَفِّ ؟

يا ويلكم ، حبيبتى .. لمن تُزَفِّ ؟

لِلطَّمِي ، للطحلب ، للأسماك ، للصِّدْف ؟

نقتلها ، نُحْرَمُهَا ، وبعد عام

تنزل فينا من جديد نكبة الطوفان

ويومها لن يشفع القربان

يا ويلكم ، أحلى صبايا قريتي قربان

ونحن نستطيع أن نبتنى السدود

من قبل أن يدهمنا الطوفان !

* * *

بَدارٍ .. باسم الله والانسان

فانني أسمعُ .. أسمعُ :

ولي أنا .. حبيبتى العذراء !!

الى طاهب ملايين

نمّ بين طيّاتِ الفراشِ الوثيرِ
نمّ هانىءَ القلبِ ، سعيداً ، قريراً
فكل دنياك أغاني سرور !

* * *

المال في كفيك نهر غزير
والقوت ، أغلاه ، وأغلى الخمور

وألفُ صنفٍ من ثياب الحرير
والصوف والسجاد ، منه الكثير
« وكادِلاك » .. في رحاب القصور
والغيد ، واللحن وسحر الدهور !
نمّ خالياً .. لا قاربَتك الشرور
وكل ما تبغيه .. حتماً يصير
إن شئت .. فالليل صباح منير
أو شئت .. فالقفر ربيع نضير
والقبر إن ترغبُ .. حياةٌ ونور
واطلب .. ففي الجمود يصفو غدِير
والآن ! يا نجلَ العلي يا أمير
يا عالي المقام .. يا .. يا خطير
يا تاجَ رأسي .. يا زعيمَ الكبير
إسمحْ لهذا الشيء .. هذا الفقير

إسمح له بكلمةٍ لا تضير
عندي سؤالٌ مثل عيشي حقير
أرجوك أن تسمعه ، ألاّ تثور
من أين هذا المال .. يا « مليونير » !

المطر والفولاذ

وينتصب المصنع الماردُ
إلهاً .. كلانا له عابدُ
وتدوي الدواليبُ مزهوةً
ويدوي بنا شوقنا الصامدُ
فيا سُحبَ الغيثِ مُدِّي يداً
سحابُ مداخننا صاعد
وصبّي الحياة على شرقنا
فقد هيأ المنجل الحاصد

وآلتنا وَعَدَّتْ طِفْلَنَا
بِكَعِكَ .. فهل يكسف الواعد ؟

* * *

تَهَلَّلْ بنا يا غداً لم يكن
سوى مطمحٍ .. فالسنى عائد
تَهَلَّلْ ! ستخضرُ أشواقنا
ويذبض شريانها الخامدُ
ففي كل أفقٍ لنا مشرقٌ
وفي كلِّ دربٍ لنا رائد
ومِغزَلنا بعد طولِ انتظارٍ
تحرَّكَ منواله البارد
وضم غيوم البحار وغيم الـ
مصانعٍ .. منهجنا الواحد
إذا ماتَ من يأسِهِ عاجزٌ
فإنَّ الرجاءَ .. بنا خالد

السوطان

« إلى قايين وهابيل العصر اللذين
لم يصرع بعد ، أحدهما الآخر! .. »

- ١ -

شواهد الرخام
تجثم في الطين ، تغطي الشاطئ المديد
ولم تزل سفائن العبيد
مثقلةً بالنار ، بالسموم ، بالحديد
تمخرُ بجر الدمع والصدید

وخلفها مدائن الموتى
والصمتُ ، والحراب ، والدخان
وفي مغاور المدى الدفينِ في الظلام
يَعْوِي مَخاضُ الرعبِ والقَتَامِ
والسرطانُ يُطفئُ الشمسَ ويستفيق
يشبُّ من شهوتِهِ حريق
متى تزلزل الوجود صرخة اللثام ؟
إلى الأمام .. إلى الأمام !! ..

- ٢ -

من ألفِ ألفِ عام
لا يَنشَفُ السكينُ .. والجراحُ لا تنام
حمائمُ القماشِ في الفضاء
مطلقة بالمعدنِ المسوخِ .. بالرياء
وخلف بيق السلام

تغلي صنابيرُ الدماءِ
ويرجف التراب في الأعماق
ويَنلَعُ الاسفنجُ في القيعانِ
والرعبُ يُقلِقُ النجوم
والسرطان يطفئُ الشمس ويستفيق
ينتظر الدم المراق
وفُضلةُ الجذورِ والعظام
من ألف ألف عام

- ٣ -

مفترق الطريقِ
من أين يا قوافلَ الرقيقِ ؟
في أي شعبٍ تزحفين ؟
لأي أفقٍ ترحلين ؟
تمهلوا يا حاملي الصخور
تمهلوا .. مفترق الطريق

والبحر من ورائكم يموجُ
والعدو من أمامكم يموج
والشواظ .. والحريق
يُفزع الغلالَ والمروج
والصخرُ في الأغوار
يضخمُ .. يعلو .. ينذرُ الخليج
وخلفكم ، يا ضائعون ، ماتت الشيطان
ولم يعد مكان
تُغرسُ في جراحه شواهد الرخام
خلفكمو لم يبق غير البومِ والديدانِ والغربان
والرعبِ ، والأوباءِ ، والظلام
والقيظ ، والصدى ، والازدحام
وخطوة المصير في مفترق الطريق
والسرطان !
يطفىء الشمس ويستفيق !!

طفلك يعقوب

« إلى فمك بالبوق ، كالنسر على بيت
الرب ، لأنهم قد تجاوزوا عهدي ،
وتعدوا على شريعتي » . (التوراة)

من هذا الصخر .. من الصلصال°
من هذي الأرض المنكوبه
يا طفلاً يقتل يعقوبه°
نعجن خبزاً للأطفال !

من ترمي في ليلِ الجُثبِ !
أنظر .. واحذر
من حفرةِ غدرٍ تحفرها في دربي
يا خائنَ عهدِ الربِّ !!

اقتطاع

يا ديدانا تحفر لي رمسي
في أنقاض التاريخ المنهار
لن تسكت هذي الأشعار
لن تحمد هذي النار
ما دامت هذي الدنيا
ما دمنا نحيا
في عصر الاقتطاع النفسي

فسأجل فآسي
سأشجُ جمآقات الأوثآن
وسأمضي .. قُدمآ ، قُدمآ ، في درب الشمسِ
بإسم الله الطيب .. بإسم الإنسآن !!

الإنسان الرقم

رَفَعِ المقعدُ لي نظارتيه

سيدي ماذا تريد ؟

ومضى .. بالقلم المسلول ، والوجه الكليل

يحرث الأوراق في صمت بليد

والحروف الصمّ والأرقام ثلجٌ في يديه :

سيدي .. ماذا تريد ؟

* * *

وتتحننتُ .. أنا أبحث عن نفسي هنا
رَقَمِي .. خمسةُ آلافٍ وتسعه

* * *

ومضى يبحث عن خمسةِ آلافٍ وتسعه
ليس يعنيه « أنا » !

* * *

ثم عاد الأخطبوط الأصفر الشاحبُ من وعْرِ الرحيل
غاضباً .. بالقلم المسلول والوجه الكليل :
« سيدي .. ليس له أي وجود » !!

* * *

ثم عاد المقعد الميَّتُ يجثو من جديد
كُومَ الأوراقِ
يفتالُ الحروفَ السودَ والأرقامَ في صمتٍ بليد

* * *

رقمي ليس له أي وجود
و « أنا » .. ليس له .. أي وجود !!

مرثية أغنية قديمة

كم استثرتِ عندهم كوامنَ الأشواق
كم كنتِ بينهم حمامة السلام
فعاودتْ قلوبهم نوازعُ الغرام
ودمعت عيونهم من الفرح
فاختصروا العتاب
وعمّروا مجالس الشراب

* * *

من سنةٍ .. آخرهم .. يرحمه اللهُ

ويومها ..

- ولم يكن يفهم ما تحكين إلاه -

من سنةٍ يرحمك الله !

يا طابعاً أهمله البريد

فلن يُعيد

من حلوةٍ جواب

لمدنفٍ مُتيمٍ .. لن يجمع الأحاب

* * *

لن تستثيري عندهم كوامنَ الأشواق

لن تبعثي أجدادنا العشاق

يا جدّةً طاهرةً الرفات

يا حيّةً المات ..

يا مَيّتةَ الحياة !!

حرب الهلوة

عيناك !! .. وارتعش الضياء بسحر أجمل مقلتين
وتلفَّتَ الدربُ السعيد ، مُخَدَّرًا من سكرتين
وتبرَّجَ الأفقُ الوضيء لعيد مولد نجمتين
والطير أسكتها الدهول ، وقد صدحتِ بخطوتين
والوردُ مال على الطريق يودُّ تقبيل اليدين
وفراشةٌ تاهت إلى خديكِ .. أحلى وردتين
ثم انثنت للنور في عينين .. لا .. في كوكبين

وُنْحَيْلَةٌ هُمْتُ لَتَمْتَصَّ الشَّدَى مِنْ زَهْرَتَيْنِ
رَحْمَاكَ !.. رَدَّيْهَا .. وَلَا تَقْضِي بِمَوْتِي مَرَّتَيْنِ
فَأَنَا .. أَنَا دَوَّامَةٌ جُنْتُ بِبَحْرِ مِنْ لُجَيْنِ
أَصْبَحْتُ ، مَذْ نَادَى بِعَيْنِيكَ السَّبِيلِ .. كَمَا تَرِينِ
سُكْرٌ غَرِيبٌ الْخَمْرِ .. مِنْكَ .. اجْتَاخَنِي قَلْبًا وَعَيْنِ
مَاذَا ؟ .. أَحْلُمَا مَا أَرَى .. أَمْ وَاقِعًا .. أَمْ بَيْنَ بَيْنِ
يَا طَلَّةَ الْأَسْحَارِ قَلْبِي ذَابَ فِي غَمَّازَتَيْنِ
وَتَوَى هِنَاكَ نَاسِكًا ، مَا حَمَلَ الْمَعْبُودَ دَيْنِ
يَا حَلْوَةَ الْعَيْنَيْنِ ، إِنْكَارِ الْهَوَى زُورٌ ، وَمَيْنِ
فَتَشَجَّعِي !.. وَبِقَبْلَةٍ صَغْرَى أْبَيْعَكَ قَبْلَتَيْنِ
وَتَشَجَّعِي !.. وَالْحَبَّ يَخْلُقُ هَيْكَلًا مِنْ هَيْكَلَيْنِ
إِنْ تَعْطِنِي عَيْنَاكَ مِعَادًا أَلْمَ الْفَرْقَدَيْنِ
أَيَكُونُ مِنْ حَظِّي لِقَاءٌ يَا تَرَى ؟ وَمَتَى ؟ وَأَيْنَ ؟ ..

يوم الأحد

« إلى الجنة الحزينة.. واللقاء الأول..
« وشجرة الكرم ! »

المواعيدُ سَهتُ عن موعدي
فتشرّدتُ بتيه الأبدِ
أنكرتُ سود الليالي أرقي
وجناح الدفء جافى مرقدِي
والتقينا صدفةً قديسةً
جمعتُ قلبين يومَ الأحدِ

فغدا يوم المسيح المفتدى
بدءً تاريخي ، وذكرى مولدي

* * *

حلوتي ، يا جنةً محزونةً
أنا من قبلُ ، بها لم أنشد
طائري ما كان يبني عُشه
في جنانِ الحب لو لم توجدي
فاحضيني .. أدمعاً حائرةً
أقسم الحرمان ألا تهتدي
رؤيتُ منها قلوبٌ جمّةٌ
وأنا .. منبعها الثرُ .. الصدي
عانقيني بهجةً ناسكةً
غير أرباب الهوى لم تعبدِ
وخيالاتٍ تجلّت في دنى
لم تطفُ أشباحها في خلدِ

عالمٌ للروح طوّفت به
شطه استعصى على كل يد
أنا أهواك .. هوى نيرانه
تخذت أخطايا من جسدي
طهرت روعي ، ومست شفتي
فإذا فيها الذي لم يُعهد
قبلٌ تسألني عن شفةٍ
لم تُنكَل .. كالوهم في ظن الغد
وحرّوف يسجد الوحي لها
لسوى عاطفتي لم تسجد
يا ابنة الأحلام في غيبوتي
جسدي أحلام حي .. جسدي
المواعيد التي لم نحياها
أمس .. نحياها غداً .. في موعد

وماذا

ألا تشعرين؟ ..
بأننا فقدنا الكثير
وصار كلاماً هو انا الكبير
فلا لهفة .. لا حنين ..
ولا فرحة في القلوب ، إذا ما التقيننا
ولا دهشة في العيون ..
ألا تشعرين؟ ..

بأن لقاءنا جامده
وقبلاتنا بارده
وأننا فقدنا حماس اللقاء
وصرنا نجامل في كل شيء .. وننسى
وقد يرتمي موعده .. جثة هامده
فنكذب في عذرنا .. ثم ننسى
ألا تشعرين ؟ ..
بأن رسائلنا الخاطفه
غدت مُبهاتٍ .. قصيره
فلا حِسٌّ .. لا روح فيها .. ولا عاطفه
ولا غمغماتٍ خياليَّةٍ
ولا أمنياتٍ .. ولا همساتٍ مثيره !
وأن جواباتنا أصبحت لفتاتٍ بعيده
كعبءٍ ثقيلٍ .. نخلِّصُ منه كواهلنا المتعبه
ألا تشعرين ؟ ..

بدنيا تهاوت .. ودنيا جديده
ألا تشعرين ؟ ..
بأن نهايتنا "مرّة" .. مرعبه ؟! ..
لأن نهايتنا .. لم تكن "مرّة" .. مرعبه ؟! ..

قربان

هذي الحروف المدهمة
يا سيدي ، أحزانُ أمه
سَطَّرَتْهَا بتمرُّدي
في فجرِ آتٍ لم أضُمَّه
وبها أروِّي غرسةً
بلظى جحيمِكِ مستحمة
لأصيد من وادي الأسي
والدمعِ ، للأطفال ، بسمه

أردت للشكلى ابنها
لأعيد للمفجوع أمته
يا سيدي!.. فأغضب وثر
واقطع عليّ طريق لقمة
حسي من الزاد الصمود
ومن جنى الإيمان نعمه
يا سيدي!.. أنا لن أجوع
وبي من الأحقاد تخمه
فأشحن مداك على جراحي
إنني قربان كلمته!!

دخات البراكين

دخان البراكين

« حين يفرغ الحاكمون من كلامهم
« فسوف يتكلم المحكومون !! .. »

ليلك العذنية

« قصيدة دم .. على ربة شهدائنا »

إلى واحد من فدائيي الشمس في جنوبنا المقاتل ..

واحد .. من الرجال الذين أرادوا الحرية ، فاخترقوا إليها الموت ! ..

إلى الجندي الذي صنع من عظام أطفاله القتلى ، سكاكين ثار ، ومناجل

حصاد .. ومن حجارة بيته المنسوف ، صنع تماثيل أطفال ، وقوارات

ورد ..

إلى .. القوي مكروي .. أخاً ، ومعلماً !

من :

سميح القاسم

- ١ -

شاءها الله شهية !
شاءها الله .. فكانت .. كبلادي العربية !
شعرها .. ليلة صيفٍ بين كئبان تهامه
مقلتاها .. من مهاة يمينه
فمها .. من رطاب الواحة في اليد العصية
عنقها .. زوبعة بين رمالي الذهبية
صدرها نجد السلامه
يحمل البشرى إلى نوح ،
فعودي يا حمامه !
ولدى خاصرتيها ، بعض شطآني القصيه
شاءها الله فكانت كبلادي العربية !
نكهة الغوطة والموصل فيها .
ومن الأوراس .. عنف ووسامه
وأبوها شاءها أحلى صبيته

شاءها إسمًا وشكلا
فدعاها الوالد المُعجَبُ : ليلي
وإليكم أيها الإخوان .. ليلي العَدَنِيَّة !

- ٢ -

كبرت ليلي على سحر الليالي البدويه
كبرت ليلي .. وصارت
تشتهيها العين ، حسناً وسجيه
أصبحت قِبلة غلمان القبيله
رغم أن المهر غالٍ .. والمحاصيل قليلة !
كبرت ليلي ..
وفي يوم من الأيام ، ناداها أبوها :
- لبن الناقة في القصعة ، والتمر كثير .
وأنا ماضٍ ، إلى الشيطان ، ماضٍ يا عَجِيَّة (*)

(*) العجية ، في القاموس ، وفي لغة البادية ، هي أنثى الإبل ، أو
الانثى التي فقدت أمها رضية ، فربيت بلبن غيرها .

ثم شدَّ البندقية

ومضى يدفع عن ليلي الذئاب الأجنبية !

وراح مرزوق وخلص في يد الرحمن بيته

راح .. فالشيطانُ غصَّتْ بذئابٍ وعقاربُ

من مغيرين أجانِبُ

أقبلوا من جزر الاسمنت والقرميد ، من بحر الشمال ،

من بلاد ، اسمها .. بريطانيا العظمى - يقال !

ويقال

إنها ملأى ضباباً ، ودواليباً وغابات مداخن

أقبلوا ، باسم إلهٍ خائبٍ ، في السنِّ طاعن

حلمهم أن يحملوا للغرب بنته

حلمهم أن يحملوا ليلي سبيته !

طار مرزوق على سرجٍ مِكرٍ

من جيادي العربيه

في يديه البندقية

وعلى عينيه من عنف الصحاري
ألقُ صلب ، وقبظ ، وضواري
تهدر الريح على جنبه غضبي ، مستفزّه
وتُدوي شفتاه

بالأهازيج .. فقومي يا حياه
هَلِّلي للفارس القادم .. إيماناً وعزّه !
طار مرزوق على ظهر مكرٍ
من جيادي العربيه
في يديه البندقية

ومضى يوم .. ويومان .. وما عاد المحارب
كانت الشيطان ملأى بدئابٍ وعقارب !

- ٣ -

أنخيل ؟
أم فراشي ما-همم يُبدع لوحاتِ الأصيل ؟

وصبأ البید الرخیة
أم نواحیات عجیة
لم یعد والدها ، والشط غیلان منیة ؟
رائعاً كان النخیل !
كل نخله

لبیوت الشّعر مرسة ، وللقوم مظلة
رائعاً كان النخیل !
كفراشی ملنهم یدع لوحات الأویل
حین دوّت فی فناء الحیّ ضروضاء سنابك
.. وصهیل

فاهرعی لیلی ، إلى فتحة بابك !
- یا إلهی ! ویل یتمی !
- فزعی الربع

وشقتی دونهم ، شقی الثیاب
جلّ یا أخت المصاب

فزعي الربع فقد عاد الجواد
عاد .. لكن .. وحده يا أخت عاد !!

- ٤ -

رائعاً كان النخيل !
بائساً صار النخيل ..
بعد أن أهوى على الشاطيء ، مرزوق القتييل
برصاصات الدخيل ..
خرّ مرزوق ، وعيناه ، وعين البندقية
في الوحوش الأجنبية
خرّ مرزوق الذي نادته للحرب بلاده
ومضى من حوله يسهل محزوناً .. جواده !
وانقضى يوم ، ويومان ، ومرزوق ممدّد
تندب الشمس عليه ، والسواقي تتنهد ..
- فارس البيد مجندل

فلمن يا ابن الجياد الصيّد تصهل ؟
نُعد إلى المضرب ، فالقيظ شديد
نُعد ، وإلاّ مت ظمآنًا كمرزوق الشهيد !
واستدار العُنُق الأصبَد ، يا ليلي ، فقومي ..
فزّعي القوم ،
وشقّي دونهم ، شقّي الثياب
جلّ يا أخت المصاب !

- ٥ -

منذ أن عاد بلا فارسِه ذاك الجواد ،
كحُلّ ليلي صار .. باروداً ورملاً وغبار
وغدا الميل ، رصاصه
وبكّت ليلي .. بكّت ليلي طويلاً ..
دمع ليلي لم يكن ماءً وملحاً وانكسار
كان جمرأ ، ونداءاتٍ لثار !

ومضت ليلى إلى الحيّ .. وصاحت :
يا لثأر الفارس المذبوحِ بالأيدي الغريبه
يا لثارات العروبه
يا .. لثارات .. العروبه
وعلى ظهر الجواد ،
زغردت ليلى ،
فلبّى المُرْد والشيب وهبوا للجهاد !!

- ٦ -

ذات يومٍ .. كانت الصحراء قيظاً ، وخيلاً
وسراباً ، ونخيلاً وجبالاً
كانت الصحراء ، رملاً وحداءً وهوادج
همها أن تلهم الشّعْر مغنّين كسالى ..
كانت الصحراء .. كانت .. ذات يومٍ -
زغردت ليلى ، فدوى اللغم في أعقاب لغم -

صارت الصحراء مقتاة رؤوس .. ذات يوم

والضغائن

ترقب الأعداء ، في صمتِ الكائن !

ومضت ليلي ..

- أبي !!

واهتزت البيد الوفيّة !

جثة ، تدفنها الريح ، برملٍ وغبار

في جلالٍ ورويّة

والجراح السود تستصرخ : أقدم !

أيها الآتي ورائي .. خذ بشاري !

خذ بشاري .. خذ .. بشاري ؟!

وانحنت ليلي الشقيّة

قبّلت جبهة حاميتها القليل

وعلى خديّهِ مرت راحتها

مثلما اعتادت ،

متى رَوَّحَ من أخطار تجوابٍ طويلٍ !

- ٧ -

عانقتُ ليلي أباهَا !

ثم هبَّت واقفه

نزعت من راحتيه البندقية

وبصوتِ العاصفه !

وبأصواتِ الملايين الغضابِ الزاحفه !

صرخت : لن تدفنوه !

قسماً .. لن تدفنوه ،

قسماً ، ما لم نطهّر كل شيطانِ العروبه

من ذئابِ الغزو ،

مصّاصي صحارينَا الحبيبه !

وبصوتِ العاصفه ،

وبأصواتِ الملايين الغضابِ الزاحفه !

هتفوا من حولها : لن ندفنه ،
قسماً .. لن ندفنه
قسماً .. ما لم نظهر كل شيطان العروبه
من نفايات القرون المنتنه !
كانت الصحراء ، ذلاً وخنوعاً .. ذات يومٍ
ويُدوِّي اللغمُ في أعقاب لغمٍ
صارت الصحراء ميدان معارك ،
فخنادق ..
وبنادق ..
ودماء .. وحرائق !
فلتحسِّي اليوم - يا بريطانيا العظمى - بعاركُ
لتعودي لصغارك !!

- ٨ -

« رهط مرزوق » على السفح وفي الوادي العقارب

- احكموا التصويب
- أفنؤهم ، وإيلاً ، أحرقوا كل المضارب !
ضغطت ليلى حديد البندقية
قبّلت إصبعها حدّ الزناد
وبكت ليلى .. بكت ليلى الشقيه ،
صنعوا منها أداة دمويه
فلماذا ؟

صنعوا منها أداة دمويه !
وبكت ليلى ، وشدت يدها حد الزناد
- الحصاد !

- الحصاد !

- يا بني عمّي .. الحصاد !
وكما تنقضّ أسراب النسور
وكسيل غاضبٍ يجرف للوادي الصخور ،
هكذا انقضّ على الغازين من خلف البحور

« رهط مرزوق » الجسور !
ساعةٌ مرّت - ومرت ساعتان
طلقة منا - ومنهم طلقتان
جثة منا - ومنهم جثتان
« رهط مرزوق » إلى الوادي ، وللسبح العقارب !!
- أحكموا التصويب !
- أفنؤهم ، وإلاّ ، أهلكوا من ظلّ منا ..
وأبادوا الزرع والضرع
وأفنت نارهم كل المضارب !
زغردت ليلي - فيا بيدُ أعيدي
وبنار الثائرين السمر .. ميدي !
الأهازيجُ تدويّ :
« ما نطيق الذلّ : يا ربع الجدود
« وابن أخت النذل : من يرضى القيود
« ما نطيق الذلّ : للعادي الغريب

« نهزم المحتل : لو حتى نبيد !
ساعة مرت - ومرت ساعتان
طلقة منا - ومنهم طلقتان
جثة منا - ومنهم جثتان !

- ٩ -

هدت ريح الغزاة !
والفتى المحظوظ منهم ،
أسلم الساقين للريح .. فصانته الحياة !
هربت منهم بقايا
وعلينا .. تركوا همّ الضحايا
فتعالوا يا بني أمي ، تعالوا ..
كي نخط القبر للقتلى
لقتلانا وقتلام ،
ونتلو ما لدينا من صلاة

رحم الله الضحايا
من بنينا والغزاة !
مثل خفّ الجملِ الجوّالِ في البيدِ الرحيبه
كأنت الشمس الكئيبه
مثل وجه الجثة الملقاة في أرضٍ غريبه
كأنت الشمس الكئيبه
ضوءها الشاحب ، ينهار على السمر الرجال
- مزقوا قمصانهم
وأجعلوا منها ضمادات الجراح
وأجمعوا القتلى .. هلموا !
لحظة .. ثم ينادينا القتال
إنه موسم نار و كفاح !

- ١٠ -

- من ضحايانا

- عليّ - وأمين - وسعيد
وأبو محمود - والمهدي - وفهد ورشيد
وأبو النصر - ومروان - وعبدالله - وال ...

ل .. ي .. ل .. ل .. سي !!

ودوَّى الاسم « ليلي » .. ثم دوَّى

وعلى جثتها ، كالنجم أهوى !

كان مفتوناً بها عدنان .. عدنان الحزين

طالما منى بها النفس .. بعرض ..

وببيت .. وبنين ..

كان يهواها الحزين !

وسدوها سرج مرزوق وصلثوا :

« دم ليلي لا يُطَلُّ ! »

سَبَلُوا الجفنين .. يا صيد القبيله

وخذوا منديل عدنان

خذوا منديله ، شدوا يَدَي ليلي القتيله !

لا تنوحوا .. لسوانا .. عادة الدمع الذليله
لا تنوحوا ..

زهرات الفل والبرقوق ، في الصدر الوديح
هي بشرى للصحارى .. بالربيع !

- ١١ -

هذه يا أيها الإخوان ، ليلي العدنيه
شاءها الله ، فكانت كبلادي العربيه ..

سقطت ليلي الحبيبه

سقطت .. باسم العروبه !

سقطت ليلي .. ولكن

قسماً ! لن تدفنوها

قسماً .. لن يطمس الرمل بلادي العربيه !

من دم القتلى ، سندسقيها . ونحيبها ..

ونعطيها حياة أبدية ..

باسم ليلي ! .. باسم ليلي العدنيه !!

من مفكرة أيوب

جدول أعمال

ساعاتُ الصبحُ أقضيها في النوم
لا حاجة للإفطار اليوم
الجبنة ، في العادات المرذولة
والجوع .. فضيله !
ساعات الظهر أقضيها في المكتب
سأردّ على تسعين جريده

نشرت أقوالاً كاذبةً ..

عن أمي المعبوده !

أسبُ ... مراراً .. لا بأس !

مفيدٌ للصحة أن نغضب

لا داعي لليأس

ما بعد الظهر يناديني التلفون الثرثار

– ما عندك يا حلوة من أخبار ؟

– لن تأتي هذي الليلة .. لا بأس

خيرٌ للصحة أن نجرع .. أكثر من كأس !

ساعات الليل

شعراً موسيقى أخبار

تعليقاتٌ .. أقوالٌ الصحفِ .. أحاديث

جازٌ .. أخبارٌ .. تعليقاتٌ .. حزن ..

شعراً ودُّوار !! ..

عندي من خير الله كثير

عندي اللعناتُ .. اليُتمُّ .. الأحران
عندي الجوعُ .. الدّين .. الغربه
من كل الألوان

عندي - بالجملة - للتصدير !!..

عندي من خير الله كثير
أحكامٌ شتّى ، أوراقٌ رسميه
أكداس قوانينٍ ما خطرت في بال
عندي ما يدهشُ كل الأجيال

بالجملة للتصدير

والربحُ على الله ، وحُسن النيه !!..
قلبي كُمثرأةٌ أحياناً .. أحياناً كتلةٌ قصدير
أحياناً قنبلة يدويه
قلبي بالجملة للتصدير

والربح على الله ، وحسن النيه ..
عندي من خير الله كثير ..

.. للتصدير !! ..

أمشي

مُنتَصِبَ القامة .. أمشي
مرفوعَ الهامة .. أمشي
في كفي .. قصفةُ زيتونٍ وحمامه
وعلى كتفي .. نعشي
وأنا أمشي
قلي قمرٌ أحمر ..
قلي بستان ..
فيه العوسج ، فيه الريحان !
شفتاي .. سماءٌ تمطر
ناراً حيناً حباً أحيان !
وأنا أمشي .. أمشي

مُنْتَصِبَ الْقَامَةِ .. مَرْفُوعَ الْهَامَةِ ..
فِي كَفِي قَصْفَةِ زَيْتُونٍ وَحَمَامَةٍ
وَعَلَى كَتْفِي .. نَعْشِي !! ..

أندلسية

– اللهُ .. اللهُ !!
اللَّحْنُ جَمِيلٌ يَا زَرْيَابُ
اللَّحْنُ جَمِيلٌ .. وَجَدِيدٌ !! ..
سُبْحَانَ الْوَاضِعِ قُدْرَتَهُ فِي خَشْبِ الْعُودِ
الله .. اللهُ ?? ..

– سُبْحَانَ الْوَاضِعِ قُدْرَتَهُ فِينَا
يَا عَبْدَ اللهِ ..

مَنْ عَطَشَ الصَّحْرَاءَ
رَوَيْنَا الدُّنْيَا ..

أعطينا في كرم آيات الأبداع
اللحن جديد واللفظة ، والأيقاع
حسناً يا زرياب

رجل « الغيتار » يدق الباب
فأحمل هذا العود
وتعال نعود

طالت في الشام ، وفي بغداد
أشواق الأحباب ..؟؟
ووراء الباب

رجل « الغيتار » العائد يبكي .. يبكي
وينادي الغيتاب :

غرانادا .. غرانادا أليته
الولد الهارب عادا .. أليته
غرانادا .. غرانادا ..
- الله ..؟؟

من أين

– من أين أتيت؟

بيدي أغمدتُ الخنجرُ

في صدركَ .. في الجنب الأيسر

بيدي . ونسفتُ البيت؟

من أين أتيت؟ ..

– القول مباح؟

– القول مباح؟

– حسناً يا عمي الغالي

من أجيالٍ

يُحكى أن هناك رياح

وهناك لقاح

وهناك – كما يُحكى – بذره

تتسلل .. روحاً في صخره؟

وتشققّ الدرب إلى الشمس
وإذا أغمدت الخنجر
في البذرة ، والصخرة ، والشمس ؟؟ ..
- يحكى أن هناك رياحا
وهناك لقاح
وهناك جذوراً .. لم تمرض باليأس ؟؟ ..

ماذا سأقول

في المكتوب الألف
المبعوث إلى الداعي في مولد صيف
كتبت : أشتاقُ إليك
وأخاف عليك
يا حاملَ همّ الأجيال
فتعال .. تعال ..
يا ولدي !!؟؟

إن أذتَ أتيتُ
يا نوّارةَ قلبي .. سيضيء البيت
فتعال .. تعال .. تعالُ
يا ولدي !...!

* * *

في المكتوب الألف
المبعوث إليها .. في مآتمِ صيف
أكتبُ والبسمة في شفتيَّ
أكتبُ والدمعة في عينيَّ
أكتبُ والغصّة في رئتيَّ :
- يا وردةَ قلبي المذبوحِ
يا روجي ..
يا وشمَ الحب على صدري
يا أعمقَ نبضٍ في شعري

يا تعويذة خطواتي في الدرب المسدود

سأعود إلى حضنك

أبني عليّ

أتزوج .. أنجب ذريته

وأخفف من حزنك

الولد المفقود

يا أمي .. سيعود

لكني .. لن أرجع وحدي يا يمه

لن أرجع ما دام لَداتي ، أشباحاً في ظلمه

لن أرجع ما دام لَداتي ، آثاراً في بيد

ماذا سأقول إذا سألتني أمٌ أمينٍ :

« أين أخوك »

ماذا سأقول لأُم خليلٍ ؟

ماذا سأقول

أحكي للعالم

أحكي للعالم .. أحكي له
عن بيتٍ كسروا قنديلَه
عن فأسٍ قتلت زنبقةً
وحرقيقٍ أودى بجديله
أحكي عن شاةٍ لم تحلب
عن عَجْنَةٍ أمٍ ما خبِزَتْ
عن سطحٍ طينِيٍّ .. أعشَبُ
أحكي للعالم .. أحكي له

* * *

يا بنتَ الجارِ المنسيَّةِ
الدميةُ ، عندي محيَّة ..
الدمية عندي . فتعالِي
في باصِ الرِّيحِ الشرقيِّه ..

حنّا؟ لا أذكر قَسَمَاتِكَ ..
لكنني أشقى .. كي أذكر
في قلبي خفقةُ خطواتك
عصفورٌ .. يدرجُ .. أو ينقرُ
كُنّا .. ما أجلَ ما كنا
يا بنتَ الجار .. ويا حنّا
كُنّا .. فلماذا أَعَيْنُنَا
صارت بالغبية مجبولة ؟
ولماذا صارت أيدينا
بجبال اللعنة مجدولة ؟
أَحكي للعالم .. أَحكي له ..
أَحكي للعالم ..

٥ - ٥ - ٦٨

- موسيقى الصبح .. سخيّفه .
- البنُّ قليلٌ يا ضيف

فلنشرب قهوتنا اليومَ خفيفه .
- دخّن ..

« وإليكم نشرتنا الأولى :

« صرح ليفي إشكول :

« شرع درك هرشتفلس كرشت

« الملك .. يقول :

« برش تفتو حشتر لشندبثل

« أميركا فقدت إحدى قطعِ الأسطول

هدد مكنامارا ..

- ابنُ ال..... مسطول !!.

- اليوم أحرر هذا الخبرا :

أرنستوتشي غيفارا

يبني قمرًا

في أفقٍ ما !! ..

معتاد

اليوم مثيرٌ - كالمعتاد
عدد القتلى في هايفونغ ازداد
في عدنٍ ، قتلوا ستة أولاد
ذكرى النصر على النازية
ذكرى مجزرة بشرية
في « إسرائيل » حداد ..
قائد أركان الجيش .. يُهدد سوريته ..

٧ - ٥ - ٦٧

لا شيء جديد ..

١١ - ٥ - ٦٧

ضميني .

مرّي بيدك على وجهي
أعطيني

قبلة ميلادي
ولتكن الليلة برداً وسلاماً
في نار جيني .
مضميني .. في أتعسِ أعيادي
أعطيني .. قبلة ميلادي
في مآتم عامي الثامن والعشرين
لمن الدعوات ؟
لصديقٍ مات ؟ .
لقريبٍ لم يسألني عن حالي من سنوات
قومي نثر باقاتِ الزهر
في غرفة فقري
في قبري
قومي .. لنارس رقصتنا المحبوبة
السما ، الباكية ، المشبوبة
قومي نشربُ

قومي نصخب

في ضوء الشمع .. وضميني

في الضوء الشاتي

يا حي القاتل سنواتي

يا ماساتي ..

ضميني .. حتى أجمل أعيادي

حتى - ميلادي ..

١٢ - ٥ - ٦٧

كل الأخبار تقول :

أنا ما خاصمتُ الله

فلماذا أدبني بالوجع ؟

حسناً .. فاسمعي أنفخ في الصور

يا لعنة أيوب .. ارتفعي

يا لعنة أيوب .. ثوري

واسمعي أصرخ : يا أيوب ..

لا تخضع للوَجع ..
لا تَجُعب ..

ملاحظة :

سادتي القراء .. الصفحات الباقية من مفكرة أيوب ، غارقة في
« الحبر الأحمر » وتتعدر قراءتها .. فمعدرة !..

الشاعر

الذي قتل في المنفى كتب الي

ذاتَ يومٍ فاجأوني .
دفعوا أمي وأختي جانباً ،
واعتقلوني .

.
كالتماثيل الترابية كانوا
بوجوهٍ فقدت ضوءَ العيونِ
يوم جاءوا فجأةً ..

واعتقلوني ..

.

والذي كان يصلّي

لإله الأرض ، في تربةِ حقلٍ ،

حقلنا الموروث من قبلِ قرونٍ

يومَ جاءوا فجأةً ،

واعتقلوني

وبعيداً .. أخذوني .

.

ومع العتمة في بعض السجونِ

ضفّروا لي الشوكَ ..

لكن .. ظلّ مرفوعاً جيني .

.

وعلى الأوحال والأسلاكِ

جرّوني ، طوالَ الليلِ

لكن ظلّ مرفوعاً جيني .

.

فركوا بالرملِ والملحِ جراحی

وإلى ركنِ كريةِ ركلوني

كانت الأحذيةُ السود الهجينه

من بقايا فرق الإس . إس . ،

في بون اللعنه .

.

كنت بستان جراح

راية حمراء .. منشور كفاح

حين صرّ الباب في بعض السجون

قبل ميلاد الصباح

وبلا رعشة هذب ..

قتلوني .

.

قتلوني ذات يوم
يا أحبائي .. لكن ..
ظلّ مرفوعاً إلى الغرب .. جيني ..

مزامير

« في هذه القصيدة مزج لتجربتين متماثلتين ، تمتد بينها شقة من الزمن
« سحيقة.. ومن مصادفات التاريخ: أن ميدان التجربتين كان واحداً..
« هو بقعتنا هذه من الكرة الأرضية !.. ومن مفارقات التاريخ أن
« الظالم آنذاك هو المظلوم في عصرنا (!!) ، وأن المظلوم آنذاك هو
« الظالم في عصرنا .. وتعميقاً لمראה المفارقة ، أدخل الشاعر في جزء
« كبير من القصيدة ، تعابير وصوراً توراتية ، من المزامير ، ومن سفر
« إشعياء بالذات !..

مجلة الجديد - حيفا - ٥ - ٦ - ٦٧

مزمور الجنرالات

إسمعوا يا آل إسرائيل صوت الأنبياء
واسمعوا يا آل هارون النداء
نُصدر الأمر لكل الملحدين الأشقياء
ولكلّ الطيبين الأتقياء :
إعبدوا أصنام واشنطن ، قوموا واعبدوها :
خالطوا أوثان بونّ القاتله
واجعلوا أبناءكم قربان آي . بي . سي .
وفي القلب احفظوها
باسمها .. دكّوا البيوت الآهله
وأريقوا تحت رجليها الدماء
وعلى أقدام كنعان اسجدوا ، يا آل يا هودا ،
ولا بأس إذا صارت مغانيكم ، صحاري قاحله !
هلّلوا .. هلّلوا !

.

مزمور بقايا الفلسطينيين

من هنا

من مطهر الأحزان في ليل الجريمة .

أيها العالم ، تدعوك العسافير اليتيمه .

من هنا من غزّة الموت ،

ومن جينين ، والقدسِ القديمه ..

أيها العالم ندعوك

فرد الغاز ، والنابالم ، والأيدي الأثيمه !

هللويا ..

.....

ذات يومٍ

كان في غزّة صبر وحنينٌ

وُفلولٌ من أناسٍ طيبين

ذات يومٍ ، كان موال حزين

يشعل النكبة في كل خيام اللاجئين

ذات يومٍ ،

كان في القدس صغار ينشدون :

راجعون .. راجعون .. راجعون !

هللوا

.....

كان في القرميد أعشاشٌ ، وفي الأفقِ سنونو

كان في المنفى قلوب وعيونُ

تحت لفح الشمس .. تحت الريح ..

كانت تتمنى ،

« يا إله المجد ! جربنا طويلا ..

فأعدنا .. »

هللوا .. هللوا

.....

كان يا ما كان ،

وانقضت نسورٌ معدنيه

لم تكن حاملةً من آل صهيون - إلى صهيون -
أفواجَ البقيه .

لم تكن حاملةً لحائط المبكى .. مزامير تقيه .
يا إله المجد .. ماذا حملتْ . ؟

ناراً .. وغازاً .. ودخاناً
ومجاعات .. وصلباناً .. ويطماً .. وهواناً !!
يا إله المجد فاسمع

صوت شعب - يتفجع

يا إله المجد .. يكفيننا قروناً ما حملنا
نحنُ جربنا طويلاً .. - كيف لا تقنعُ ؟ -
جربنا طويلاً .. فأعدنا ..
هللوا .. هللوا .. هللوا ..

مزمور أطفال العالم

يا إله الانتقام !

يا إله الانتقام اظهر .. وردَّ الخيلاء !

رد من يذبح في القدس اليتامى

والشكالى والايامى ..

رد من يظلم ميراثك

من يصلب في القدس السلاما

كيف لا يسمع من كوّن سمعا للبشر ؟

كيف لا يبصر ، من سوّى البصر

يا إله الانتقام

هللوا

شق للفاسق حفرة

رد للماكر مكره !

مزمور احفاد اشعيا

نحن احفاد اشعيا ،

نناديه ،

ننادي وجهه السمع الهلامي ،

الذي يرتج ، من خلف الدموع القانيه !

نحن أحفاد إشعياء نناديه .. غضاباً مجهشين :
يا إشعياءُ الذي أغفى قروننا وقرون !
كيف صارت هذه القرية .. صارت زانيه ؟!
زغلاً فضتُّها صارت ،
على أيدي الطغاة الأغبياءُ
كيف يقضون بعسفٍ لليتيم ؟
كيف لا تُبلِّغهم دعوى الأرامل ؟
يا إشعياءُ المناضل
هللوا

.

رسل السلم هنا يكون حقدأ ومراره
بعد أن حزَّ رؤوسَ الآمنين
أدعياءُ الحق .. أعداءُ الحضاره .
يا إشعياءُ الحزين .
فانهض اليومَ وصحْ في قريةٍ

تهوي على سفح الممالك :
« بعد سبعين ، رعاك الله يا هذي ،
« فليمُعدتِ إلى الأجرة ،
« تزنين مع التجار ، من كل الممالك ؟
.

إنهض اليوم ، وصح في تل أبيب :
« الفَ ويل للذي لا يطلب الربَّ
« ويمضي نحو مصرِ
« حاملاً للشرقِ أعواد الصليب .
يا إشعيا الحبيب .
ذاك وحي جاء من تيماء ، من أرض العرب :
احملوا الماء ولاقوا اللاجئين
أيها الناس :
ووافقوا الهارب الجائع أياماً بنخبه ..
ضمّدوا للمرة الأخرى جراح النازحين

من أمام السيف ولّوا هاربين
ومن القوس الذي شدته للحرب أكف المجرمين

.

يا إشعياء الشجاع
إنهض اليوم لكي يلعب أطفال فلسطين
ولا يخشون أنياب الصلال
ولكي يأمن حملانٌ ، بأجامِ السباع .

.

هللوا ..

.

ثمَّ يُقضى في الأممِ
دون أن يُزهق حق
دون أن يُكتم فمٌ

.

يا إشعياء المناضل .

ثم تغدو سكاكاً كل السيوف
ورماحُ القومِ تنصبُ مناجل
ثم لا ترفعُ سيفاً أمةٌ كما تقاتل .
وصغار القوم لا يدرون ما الحرب وما سفك الدماء
وسيحلو ليهودا وفلسطين الغناء :

هللويا .. هللويا ..

يا إله المجد حاربنا طويلاً وذبجنا .. وذبجنا

وسفحنا دمننا ، دهرأ ، سفحنا

يا إله المجد .

جربنا طويلاً .. واسترحنا ...

هللويا .. هللويا .. هللويا ..

الطفلك الذي ضحك لأمه المقتولة

حَبَابًا فِي سَاحَةِ الدَّارِ ..
وَكِرَكَرَ حِينَ فَاجَأَهَا
جِوَارَ السُّورِ مَطْرُوحِهِ .
وَفَاجَأَ بِضَعِ أَزْهَارِ ،
مَبْعَثَرَةً عَلَى صَدْرِ
جَمِيعِ عِرَاهِ مَفْتُوحِهِ
تَصِيحُ :

« تعال يا ولدي ..
تعال ارضع .
فخفّ لها على أربع
وغرّد ثغرهُ : « أمّاه »
وكرر ، حين لم تسمع ..
وشدّ رداءها ،
ورؤاهُ .. دغدغةً وأرجوحه -
وردّدَ عاتباً أمّ .. لا .

* * *

وظلت في جوار السور مطروحه
وظلت بضعُ أزهارِ
تنزُّ دماً
على صدرٍ جميعُ عراهُ مفتوحه
تصيح : « تعال يا ولدي » ..

الموت يشتهي فتيا

تعبّرُ الريحُ جبيني
والقطارُ

يعبرُ الدارُ ، فينهارُ جدار

بعده يهوي جدار

وجدارٌ بعده يهوي ،

وينهارُ جدار ..

* * *

تعبُ الریحُ جبیني
ویمیدُ البیتُ بالضجةِ ..
آهٍ - أنقذیني .
انني أسقط يا أمي .
تعالی .. أنقذیني .
إنني أغرق في قاع المحيط
وكلاب البحر من حولي
ومن حولي يدور الأخطبوط
وأنا أعلم أن الموت
يا أمي
فتياً يشتهيני .
فتعالی .. واشتريني ..
انقذیني ،
أنقذیني !! ..

ز نابق طز طرية فيروز

- من أين يا صديقه

حملت المزهريه

والنظرة الشقيه

* من القدس العتيقه .

- ومن ترى رأيت

في عتمة القناطر

من شعبنا المهاجر

وما ترى سمعت ؟

* رأيتُ بنتَ عمِّك .

في طاقةٍ حزينه

تبوح للمدينه

بهمةٍ وهمك .

رأيتُ في الشوارعُ

ليلاً من العيونُ

واخوةً يكونُ

وألفَ طفلٍ ضائع .

رأيتُ سائحينُ

وبائعاً يصيح :

من يشتري المسيح

بحفتي طحينُ

رأيتُ في المداخن

عصفورةً جريحه

وطفلةً كسيحه

تبكي على المآذن .

ومرة سمعتُ

مغنياً مهاجر

يُصيحُ : يا ضمائر

أضعتِ يومَ ضعتِ ؟

هناك يا ابن عمي

حملتُ المزهريه

والنظرة الشقيّه

وقصةً عن أمي

عن أمي الضحيّه

- لديّ يا صديقه

زنابق حمراء

ألوانها دماء

من القدس العتيقه

(١) زنبقة حزينه

من دمّ بذت عمّ

وجدتها مذبوحه

في طاقةٍ مفتوحة
تصبح بالمدينه :
قولي لابن عمي !!

(٢) زنبقةٌ بريئة
من مقلةٍ مفقوءه
لكنها تنادي .
أراكِ يا بلادي !

(٣) زنبقةٌ رِيَّانه
من طفلةٍ محروقه
تصبح : يا خليقه
مهلاً ! أنا عطشانه !

(٤) زنبقةٌ شريتها
من بائعٍ مجندلٍ
على سياج منزلٍ
لكنني .. ما بعثتها !

اليك يا صديقه
زنا بقي الحمراء
زنا بقي الدماء
كي تكمل الهدية
ورد .. ومزهرية
من القدس العتيقه !!

ثورة مغني الربابة

غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابة ، ألفَ عام !
مذ أسرَجتُ فرَسي قريشُ ،
وقال قائدنا الهمام :
اليومَ يومُكمو ! فقوموا واتبعوني ،
أيها العرب الكرام
اليومَ يومُكمو ..
وصاح : الى الأمام .. الى الأمام !

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الربابة ، ألف عام
مذقيل : باسم الله والقرآن ،
فامتشقوا الحسام !
ولكزت في شغف جوادي ،
وانطلقت .. لألف عام !
عمرت في شيراز قصرأ
وابتنيت بأصبهان
ردهات معرفة ،
وعدت إلى الحجاز بطيلسان
وعلى دمشق رفعت رايات النهار ، مع الأذان
وجعلت حاضرة الكنانة
في تاج مولانا المعز ، جعلتها أغلى جمانه
وبنيت باسم الله - قرطاجنة العرب العظيمه
وتلوت فاتحتي ، على أنقاض أوروبا القديمه
وبنيت جامعة ، ومكتبة ، ونسقت الحدائق

وهتفت :
يا أحفاد طارق .
كونوا المنائر .. واغسلوا أجفان اوروبا البهيمه .

* * *

غنيتُ مرتجلاً ، وكان الشرقُ يحذر الارتجال
كأنت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال
وأنا أغني ..

وهو يبحث في كهوف الكيمياء
وأنا أغني ..

وهو يرصد بانفعالٍ واشتهاء
نجماً يحومُ على المساء .
كانت أصابعه تجسّ ، وذهنه يلد المحال ..

وسنابكُ الخيل الأصيله .

تطوي المسافات الطويله

وتطال شيئاً لا يطال

وأنا أغني للبطوله

وأشدُّ من همم الرجال

* * *

للشرقِ .. للشرقِ الهُمام
غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابة ألفَ عام .
للزحفِ .. للمُدنِ الجديدةِ .. للحدائقِ .. للسلامِ
غنيتُ في ظلِّ المآذنِ
للمُقلعينِ وللسفائنِ
لقوافلِ التجارِ ، والجندِ البواسلِ ، والمواسمِ ..
غنيتُ - آه - للصبايا
للسنابلِ .. للحمامِ .
غنيتُ أمجادَ الخليفةِ ، والفتوحاتِ السعيدةِ
غنيتُ للتُّرعِ الفتيةِ .. للنوافيرِ الرخامِ ..
لروائعِ الدنيا الجديدةِ .
غنيتُ مرتجلاً على هذي الربابةِ ألفَ عامِ

* * *

يا أمتي .
وسُلبتِ - يوماً ما - جوادكِ والحسام ،
وُطرحتِ - يا ذلّتي - تُطرحتِ
وغابَ وجهكِ في الرغام ..
وغدوتِ - يا ذلّتي - حطام .
في رُسغِكِ الأغلالُ ناهشة ، وفي فمك اللجام ..

* * *

يا أمتي .
وقعدتُ مفجوعاً على أعتاب دارك
أبكي وآكلُ من عُبارك
يا أمتي .
وجمعتُ حواري ما تكاثر من صغارك
أحكي لهم ، عن مجدكِ الماضي ، وأغريهم بشارك !
يا أمتي !
عَدَدتُ أجيالاً على هذه الربابه

كررت أجداد الرسول ، وكل أجداد الصحابه
كررت عُقبةَ - ألفَ مره !
كررتُ طارقَ - ألفَ مره !
ووضعتُ من عندي الكثيرَ ،
كذبتُ في أسفٍ وحسره ..

* * *

« بغداد يا بلد الرشيد »

ماذا تبقى منك ، لم أنزفه للوتر البليد ؟
ماذا تبقى يا طليطة الشقية ، من كلام ؟
ماذا تبقى .. يا كنانة .. يا شام ؟
ماذا تبقى للصباح ..

ودمي تخثر في شراييني : ووجهي مستباح ؟!

* * *

غنيت مرتجلاً على هذي الربابة ألف عام ،
وأعدتُ مفجوعاً ، على هذي الربابة ، ألفَ عام ،

مذ طار من يدك الحسام
وسقطت عن سرج الرياح ، وغاص وجهك في الرغام !
أطفالنا ملئوا البطولات المكررة القديمه
سئموا سروجاً كالحاتٍ ،
صار فارسها الغبار !

عافوا سيوفاً لأكها الزنجار ، والذكرى السقيمه !
كرهوا الرماحَ المشرعاتِ على الجدار !
أطفالنا يكون ، لو فهموا الإذاعات الكثيره
والثرثرات عن المشاريع الكبيرة والصغيره
أطفالنا يكون ، لو فهموا « الأحاديثَ المهمه »
في مجلس الوزراء ، والخطب المثيره
وتشاورَ السفراءِ .. إعداداً .. لمؤتمراتِ قمه !
يا أمتي !

ماذا لديكِ ؟ تكلمي ! ما أنت أمه ؟
عودي ! فقد تعب اللسانُ ، وماتَ قراءُ الجريده

عودي ! مغنيك القديم ، يود تبديل القصيده
يا أمتي .. قومي امنحي هذه الربابه
غير البراعة في الخطاب
لحناً جديداً ..
وامنحي الأجيال .. أمجاداً جديده !

أغنية مشوره حرب

سيداتى ، آنساتى ، سادتى !
سأغنى أغنيه
واغفروا لى .. كلماتى مُزريه ،
وعلى جدران صوتى ،
لم يزل رَجْعُ انفجارِ فائتِ
غير أنى سأغنى الأغنيه
باذلاً فيها قصارى طاقتى

فأعيروني - أذناً مُصغيه !
سيداتي ، آنساتي ، سادتي ،
وطني بستان لوزٍ وأجاصٍ وعِنَبٍ
وأبي كان الملكُ ..
ولأمي الملكة ،

سلطةُ التنظيفِ والطبخِ ، وتكديسِ الحطبِ
وأنا ، كنت وليّ العهد .. أرعى الملكة
أطردُ الوحشَ ، وأغزو الحشراتِ المهلكة
مرت الأعوام ، مرت ..

ثم كان

أن أتتنا ذاتَ يومٍ قبَّعه
تحتها عينان ، من فحمٍ وملحٍ ودخان
ومع القبَّعةِ السوداء ، جاءتنا رساله !! ..
زلزلاتُ أمي ، فأهوت ، كومةً ممتقعہ
وأحالت والدي الشيخ .. حثاله !

سيداتى ثم كان ،
أنى أصبحتُ جندياً جبان
أكرهُ الرشاش ، والزحفَ ، ولو قالوا .. مقدس !
فأنا أفهم ، أن اللوز ، إن يُهمَلْ .. تيبس .
وأنا أفهم ، أن الحشرات
سوف تغزو وطنى المتروك ،
تغزو بالمئات ..
وتخليه جذوعاً نخرات .
آنساتى ، ثم كان
أن نار الجبهةِ اشتدت ، وغطّانا الدخان
ثم مرّت لحظات
سادت الموقفَ فيها الطائرات
وتساقطنا .. تساقطنا .. خفافاً كالذباب
ثم أحسستُ بوخزٍ فى عظامى

وانحلالٍ ، ودوارٍ ، و .. ضباب .
سادتي ، لم أدركم مرّةً من الوقت عليّ
وتحسست المكان
غير أنني لم أجد - آه يديّ
ثم نُبِّئتُ .. بأني
في سبيل الله ،
ضاعت ساقِي اليمنى ، وعيني
وأبي أستشهد - أيضاً في سبيل الله -
لكنّ الحكومه
أدخلت أمّي مستشفى المجاذيب ،
الذي شيدَ لتكريمِ الأمومه .

* * *

سيداتي .. آنساتي .. سادتي
لست فنّاناً عريقاً في الغناء

غير أني ، باذلٌ فيه قصارى طاقتي

واعذروني ،

فأنا في حاجة الأجرِ ،

من أجل طعامي ودوائي ..

مغني الربابة على سطح من الطين

على سطح من الطين
تئنُ ربابةُ المأساةِ ، في كفين من حجرٍ
فتسقطُ أدمعُ القمرِ
ويصعد صوتُ محزونٍ
ينادي الإخوةَ الغيَّابِ ، في دنيا بلا خبَرِ
يناديهم ، مع اللحن الفلسطيني :

* * *

« طلع العِشْبُ عَسْطُوحَكَو .. ويبس العشب
« يللي عهدّ الأرض مرميين
« يا ريت تيجو تطلطلوا عالتين
« وتنجبرو المشحره .. قلام العنب
« يا ريت تيجو ، ترشقو لبيوت
« وتصلحوا لبواب والسده
« وتنشلوا حفنة مي للورده
« وتمشطو عنها وراق التوت »

* * *

« رُدِّي .. ولك يا بنت جارتنا
« صرلي سنين ، وكبرت الغابه
« وكبرت معها ، ووالدي ختير
« وكل ما بحس بكرجة الطابه
« برجع طفيل .. وبلادنا بتزغر !

* * *

« يا ناس ! بردت دلة القهوه
« ومعزب الرحمن واقف للسلام
« بدثو يزغرت عش عالسروه
« ويصيح .. طلثوا يا هلا ! .. برج الحمام !

* * *

غناؤك يا غريب الأهل !
طال ، وطالت الأيام !
وأورقت الرّبابة في يديك
وشاخت الأنغام
فهل ستظل طول العمر محروماً تناديني
مع اللحن الفلسطيني ؟
وهل ستظل طول العمر ،
تشحد عودة هرمت
على سطح من الطين ؟ !

انادي الموت

يحثمُ الحزنُ على قلبي .. كدوريّ مريض
كيامه

روّحتُ من سفرٍ مُضنِّ ، على الأفقِ العريض
كغمامه

قعدت تبكي ، على بابِ المساء
يحثمُ الحزنُ على قلبي .. ويُنغري بالبكاء
غير أن الشمس .. والبركان .. والقتلى

على شطآنِ أنهارِ الدماءِ ،
أبدأً تجذبُ وجهي بالنداءاتِ الخفيه
لمكانِ خلفِ أسوارِ الشقاءِ
إرمي ذاتِ العبادِ !!
إرمي .. أمنحُها من كل قلبي للعبادِ
ثم أنهارُ قريراً ، عبرَ وديانِ الرمادِ
لتُعفّيني .. كما شاءت ،
حماقاتُ الرياحِ الهمجيه .
فأنا يا أمَّ أطفالي الشقيه
أنا لا أنكر مأساتي الطويله
أنا لا أبني سياجاً ، حول أحلامي القتيله
إنني أرفع وجهي للرياحِ
أتحدّأها .. وأعطي في الصباحِ
للمساكينِ ، تراتيلي القليله
أنا لا أنكر مأساتي ، ولا أخفي عذابي

إنني أنزفُ تاريخي ، على ظفري ونابِ
فاغفري لي ،
اغفري لي غلظة البركان .. لو ناديت موتي
طال صلي ..
وعلى جرعة سُمِّ
ينهبُ الأعداءُ لحمي
والأحباءُ .. تقاطيعي وصوتي !!

القديسات الخمس

باختصار ..
يومها كنتُ رجلاً أربعة
من صغار الأنبياء
معنا خمس صبايا
حسناً - خمسُ نساء
حسناً - خمسُ بغايا !

* * *

كانت الليلة زخاتِ مطر
وَبُرُوقاً ورعوداً مفزعه
ومناحاتِ رياحٍ وشجرٍ

* * *

وعلى ضوءِ شموعٍ نذفت ممتقه
كانت الرقصةُ جنازاً ،
وإيداناً بويلاتِ السفر !

* * *

داخ في الغرفةِ خطوُ الراقضين
وهي ، كانت تسكبُ الخمرَ
وتعطي الظامئين ..

ومع الأدمع ، والكُنْيَاك ، واللحنِ الحزينِ
كانت الليلةُ تمضي
وعلى خطوتها تمضي قرون !

* * *

ليلةٌ مرّت .
وأخرى ، بعدها مرت
وأخرى ..
وأفقنا ذات فجر ،
أيقظتنا خضةُ الشارع ، والناس ،
وضوضاء الرياح
أيقظتنا شاحناتُ الجندِ رتلاً إثر رتلٍ
وهدير القاذفاتُ
رائحاتِ غادياتُ
وعلى الرّيّيقِ ، عوت صفارةُ الإنذارِ
في رعبٍ وذلٍّ
فكفرنا ،
وجرعنا كأسنا المرّ ، فخذّرنا الجراح
ثم قلبنا - على أعصابناُ صُحفَ الصباح
أول الأخبار كان :

« أمس مساء ، احتشد جمهور كبير من المدعوين ، في قاعة الخالدين
« على اسم (. . .) في مكان ما من البلاد .. وبينما كانت الجوقة
« الموسيقية تعزف النشيد الوطني ، جرت في الجو المهيّب مراسم
« التكريس ، وأعلنت الخمس : شهيدات قديسات !

تعقيب :

حفلة التكريس كانت ممتعة

ملاحظة هامة :

لم يشاهدها الرجال الأربعة !

التعاويذ المضادة للطائرات

نحنُ في عزِّ الظهيرة ،
نصفُ قرص الشمس يبكي في الزقاق
والدجاجات يولولن ، على وقع البساطير الكبيره
وأبي يحشو رصاصاتِ غيبه
في بقايا بندقيه
بين إلحاحِ نداءات الرفاق :

« راحت البروة^(*) .. يا ويلى على تلك الشقيه
وعلى الليات .. يشد الحناق .

.

كنتُ طفلاً آنذاك

كنتُ أمتص حليب التاسعه

وحليب الفاجعه

كنتُ جدياً حالمَ العينين ،

من حوآلي آلاف الشبّاك

يوم قالت ليَ أمي بارتباك :

« هذه الليلة لا تخلع ثيابك[»]

(*) البروة هي قرية الشاعر محمود درويش صديق سميح القاسم الأثري..
تلك التي أمتحت من على وجه الأرض في عداد المئات من القرى العربية
الفلسطينية الأخرى بعد فترة وجيزة من قيام دولة العدو في فلسطين ،
عام ١٩٤٨ .

« ساعة النوم ،
« ولا تخلع حذاءك !
لم أكن أفهم ما تعنيه بالضبط ،
ولكني بكيت !

.

نحن في ساعات تهويم المساء
نصف قرص القمر المغدور ، يبكي في الزقاق
لم يعد بعد أبي ، والشائعات ،
عن خيانات القيادة
واندفاع الجيش .. لكن للوراء
دفعتنا للبكاء !

.

عسكر « الإنقاذ » خرفان توي للشمال
عسكر « الإنقاذ » يلقون البنادق
في الخنادق ..

وعلى الوحل ،
يزتون النياشينَ وشاراتِ القتالِ
عسكر « الإنقاذ » .. يا عارَ الرجال !
أقبل الفاتحُ يا أبناءَ رامة (*)
أقبل الفاتحُ يا ناسُ ،
فلوذوا بالسلامه ..
ما الذي تجديكمُ الآنَ أناشيدُ الكرامه ؟
صوّبوا كلَ التعاويذِ بوجهِ الطائرات !
ألّبوا الله عليها ،
واقذفوها بالوصايا العشرِ ،
والجفرِ
وآياتِ السماءِ البيّناتِ

.

(*) الرامة هي قرية الشاعر سميح القاسم ، وتقع في قضاء عكا .

كنت طفلاً ، آنذاك ..
عَلِّموني أن مجرى الأرض ، في كَفِّ السَّاءِ
عَلِّموني أنه ، سَبْحَانَهُ ، يُحْيِي وَيُفْنِي مَا يَشَاءُ
عَلِّموني أن أَطِيعَ الأولياءَ
دون أن أسأل : من كانوا ؟
وماذا صنعوا للتعماء ؟!
عَلِّموني الدَّجَلَ ، والرَّقْصَ عَلَى الحَبْلِ ،
وإِذْلالَ النِّسَاءِ
عَلِّموني السِّحْرَ والإِيمَانَ بِالأَشْبَاحِ
والرَّقِيَّةَ والتَّعْزِيمَ ،
والخَوْفَ إِذَا جَاءَ المَسَاءُ !
عَلِّموني مَا يَشَاؤُونَ ، ولم يَسْتَنْبِئُونِي مَا أَشَاءُ
فَرَسُ الخَضِرِ .. كَفِيلٌ بِي
وَحَسْبِي .. الفُقَهَاءُ !!
يَا أَبِي المَهْزُومِ .. يَا أُمِّي الذَّلِيلَةَ !

إنني أقذفُ للشيطانِ ، ما أورثتاني ،

من تعاليم القبيله !

إنني أرفضُها تلك الطقوسَ الهمجيه

إنني اجتثتها من جذرها ،

تلك المراسيمَ الغيبه

إنني أبصقُ أحقادِي وعاري

في وجوه الأولياء الصالحين

انني أركل قاذورات ذليّ وانكساري

للتكايَا والندراويش ،

وأقزامِ الكراسي النابجين !

• • • • •

إنني أصرخُ من قعر جحيمي :

يا وحولاً لصقت في نعلِ تاريخي العظيمِ

إنني أحكم بالموتِ عليكِ

فأعدي كفنًا من جلدِ أنصافِ الرجالِ !
وإذا شئت نقوشًا ، وصليبًا ، ونجومًا ، وهلال
ووصايا وابتهاج
طرزها بيدك !!

من يوميات جوني غيتار

« جوني ، شاب وهمي ، خلقته أغنية قديمة تشدها امرأة
« تعبسة .. ولبراءة جوني في العزف على الغيتار ، أطلقت
« عليه المغنية العاشقة اسم « جوني غيتار » .. وما زالت
« منذ سنوات بعيدة ، تغني لحبيبها « الذي لم يكن له شبه في
« روعة عزفه » .. وجوني ، الذي لم يخلق للحرب ، بل للعب
« والغيتار ، جنده الرئيس الأميركي جونسون وساقه
« إلى فيتنام ..

« وهناك ، في خط النار ، يكتب جوني يومياته .. مناجياً
« فيها حبيبته التي تحصل لقمتها من العمل في مصنع للنابالم ..
« وتنتظر عودة حبيبها جوني .. حبيبها .. جوني غيتار !! ..

- ١ -

في البركةِ الدَكناءِ
حيث التماسيحُ ، وأفعى الماء
يبدأُ يا حبيبتى
دربي إلى خطيئتي ،
فهيني لي الزادَ والثيابَ والغيتارَ ،
ودفترَ الأشعارِ ..

- ٢ -

أغمس غرُوتِي
في الحبر - يا حبيبتى - وأرسم الحداد
على جبيني الشمعُ
ومن خلال الدمع
أواصل الإنشادَ
لحُبِّي المتروكِ في مدينتي

لوَجْهَكَِ المودّعِ المغمورِ بالبكاءِ
كزهرةِ الشتاءِ ..
فليرحمِ الرئيسِ !
ولترحمِ السماءِ !
وجْهَكَِ .. والعودةِ يا حبيبتى !

- ٣ -

مُنِعْتُ من أن أحمل الغيتار
في قلبِ خطِّ النارِ
وحينِ مدَّتْ نعمةٌ ذراعها إليّ
من عالمٍ ينهارِ
بكى على أصابعي ارتعاش
لأن ، يا حبيبتى ، عازفك الشقي
لا يحسن العزف على الرشاش !

- ٤ -

'خنتك في الخيال !
لأنني عَشقتُ يا حبيبتى ،
عشقتُ في الخيال
صبيةً جاءت من الشمال
لم أعرف اسمها
لكنتي بكيتُ يا حبيبتى
لأنني في ساحة القتال
كنت .. عدوَّها !

- ٥ -

في ليلة الميلاد ..
أُمرتُ ، يا حبيبتى ، بالعزف والإنشاد
في قاعةٍ مصدوعةٍ الجدران
ترقص في أاثها عرائسُ النيران ..

في قاعة مفروشة .. باللحم والرماد
وجثث الأولاد ..
أمرت يا حبيبتى !

- ٦ -

كان الصباح رائعاً .. في غابة الكمين
لكنّ جاري « مايك » ظلّ ساهماً حزين
ومايك .. يا حبيبتى ..
مهرج وراقص طروب
ومايك .. زنجي من الجنوب ..
أمس ، أتى أخوه ، في كتيبةٍ جديده
وقال إن أمّه
خلفها في الكوخ ، في ديترويت
أرملةً .. وحيده
وقال إنّ - آه يا حبيبتى -

أباهُ .. مزقوه في مظاهره !!
وظلّ جاري مايك ، ظلّ ساهماً حزين ..
كان الصباحُ رائعاً ، في غابة الكمين
وبائساً صار النهار ، بائساً
في غابة الكمين ..
حين رأيت مايك يهوي ،
أحمرَ الجبين !
واشتعل السكون ..
وفجأةً أحسستُ يا حبيبتى ،
بوخزة في الصدر .. في ناحية اليسار
حيثُ حفظتُ وجهكِ المعبودَ والغيتار
وبعدُ يا حبيبتى ،
أفقتُ في حمالة الجرحى !
فهيشي الدموع والأزهار
لعلها تقول لي - إن عدت حياً -

جئتَ؟ يا مرحى !
أو ، علّتها - إن عدتُ في صندوق ،
عبّأته ذات نهار عملٍ ، في مصنع النابالم
لعلها تكون لي الدموع والأزهار ..
أقارباً .. جاءوا لأخذ جثتي ،
من ساحةِ المطار .

أنا وأنت

لو حَزَّوْنِي مِثْلَ لَيْمُونِهِ
تَبْقِينَ لِي ، فِي الصَّدْرِ اِيْقُونِهِ
تَبْقِينَ لِي ، لَوْ نَتَفَتْ جَسَدِي
أَيْدٍ مِنَ الْفُؤْلَازِ .. مَأْفُونِهِ
لَوْ نَزَّفُوا حَتَّى الْعِظَامِ دَمِي ،
تَبْقِينَ .. فِي الْأَعْصَابِ مَخْزُونِهِ
تَبْقِينَ لِي ، لَوْ فَتَّوْا بَدَنِي

فأصير بعضَ غبارِ زيتونه !
وإذا ولجتِ رِثائِهِمْ نَفْساً
تضحينَ أطيّبَ ما يشمُونَه !
بالشمس ، ضوءَ الشمسِ مُلتحِمٌ
عبثاً .. تُشادُ حواجزُ دونه
أنا أذت .. أذت أنا .. وكل يدٍ
بيني ، وبينك .. الف مجنونه !!

لَا تَطْعِمِينِي

حالت على الدرب القراصيَّه (*)
يا بنت عمي ، يا دمشقيَّه
وأنا ببابكِ جائعٌ .. وأنا
يا بنتَ عمي .. ابن منفيه
لا تسألني عنها ، فقد دُفنت

(*) يشير الشاعر في هذه القصيدة الى الأغنية الشامية الشهيرة :
« طعميتو .. طعماني .. القراصيه » .

في ظل عبهرة رمادية

* * *

وأبي؟.. كفى فالجوع ينهشني
ووجوههم في الشوك مرمية
لا تنكأي جرحي : فقد عبرت
أعوامه . ودماه منسيه

* * *

لن تطعميني !.. آه يا وجمعي !
عادت عذاباتي الجحيمية

* * *

حسناً ، سأوقظهم ، لتطعمني
بيارة في الشط . مسبيه
وأعود .. لا جوع ، ولا ظمأ
يا بنت عمي .. يا دمشقيه !

أيها الهرايس أراه حياً واقتلوني

الجواد العربي

كبيارقِ التسليم ، أيدينا تُلوّح بالمحارمِ
كمدافعِ ملويّةِ الأعناقِ من ذلِّ الهزائمِ
كقلوعِ صاريةٍ حزينه
تبكي ، وفي غرَفِ السفينه
تصطكُ أجنحةُ النوارسِ بالهياكلِ والجماجمِ !

ذكريات بعيدة

من عهد نوحٍ آمنتُ بوجوهنا
من عهد نوحٍ !
رضيت بروّاد القبائل
من عهد نوحٍ !
رضيت بفرغرة الجلاجل
من عهد نوحٍ !
رضيت برنات المعاول
من عهد نوحٍ !
ألفتُ بيوت الشعرِ
والنارَ الكريمةَ ، والربابه
وغداة مرّرت في مشارفها سحابه
قالت : هبوني بيتَ صوّان وشوح !
وخذوا يئابغاً ، وأقماراً ، ومطحنةً ، وغابه

كبرت دوالينا ، وشاخ اللوز
والزيتون صاح : أنا الخلود .
صارت مضاربنا مدائن
صارت مراعيها جنائن
وشتاؤنا ، صارت لياليه المبتخرة المثيره
ميدان راوية الجدود ، عن الجدود ، عن الجدود :
رحنا إلى حلبٍ مَحْمَلَةٌ قوافلنا الطويله
عِنباً وتَفَاحاً ،
وتطريزاً .. إلى البنت الجميله !
« يا سادتي ، وغداً نَقْضِي الليل في قصص البطوله » :

* * *

والداء .. كان الداءُ يا أخوانُ ينخرُ في القرى ،
والجوعُ قاتل .

ذكريات قريبة

ستون ألفاً بين مليون .. وماذا ؟

نحن أهل السيف
مَلَقَى الضيف .. ان جار الزمان ،
يا مرحباً بك .

* * *

لا بأسَ ،
بيتُ الضيقُ 'متَّسعٌ' لألفٍ يا صديق
وَلَدَى ابنِ عمك ، يدخل الغرباء ،
للبيت المشرَّع في الطريق
زادُ الفتي العربيُّ يكفي اثنين ،
فاشبع يا ابن عمي .. يا صديق !
- ستون ألفاً دون مليونٍ ؟ ، ..
- وماذا ؟

(قال راوية صفيق ..)

« بَدَّوْ من الصحراء ،
« أعينهم ثقوبٌ في الرمال

« ماذا إذا عادوا الى تمرِ الجزيرةِ
« والمضاربِ .. والعقاربِ .. والجمال
« بدؤوا من الصحراءِ ،
« قادت شهوةٌ للغزوِ أرجلهم
« إلى وطني المعذب في الشمال .

المار

شفتا حبيبي تقطران دماً وغسلينا وقارا
عينا حبيبي تزحفان وراءَ قنديلِ تواري
رثتا حبيبي نورسان
خفقا على شوكي .. وطارا
ويدا حبيبي بirqانِ
منكسان على الصحارى
يا من رأى شفتي حبيبي
يا من رآه يغيبُ خلفَ النهرِ .. ذلاً وانكسارا

عشرون مزموراً لشاعرِكَ المَعْدَّبِ يا حبيبي
عشرون مزموراً ، موقَّعة على خشب الصليب
صلَّيتُ . صمتُ .. بكيتُ ثرتُ
دعوتُ وجهك من سجوني
ناديتُ حراسي ، وقلت : أراه حياً ، واقتلوني ،
ثوبي تمزَّق بين أنياب الصخور ، وجفَّ حلقي
وتهرأتُ قدماي في الأشواك ، من غرب لشرق ،
ان نمت .. من تعبِ أنام
أو 'جعت' .. فالميسورُ من 'عشبِ الجبال
حسب الفقير من الطعام
وإذا مرضتُ .. أطيبُ من لمساتِ كفك في الخيال
لأعودَ أضرب في الدروب
وأسائل الرعيان والأسرى وقطّاع الطريق :
يا بعضَ أهلِ الله ، هل فيكم صديق ؟
ليُعينَ هذا العاشق المذبوح .. من وطن الصليب ؟ ..

ابن السبيل أنا ،
ألوب على السبيل إلى حبيبي .
أسروه من عشرين عام
نزعوه مني ذات مُعتمةٍ ، وقالوا أن أنام
قالوا أنامُ

ولم أزل سهران .. من عشرين عام
أبكي وأغضبُ في الظلام
وأصيحُ .. من وجعي أصيح :
منذا يردُّ إليّ من منقاهُ محبوبي الجريح ؟
وأصيحُ : يا طيرَ الحمام
خبّره أني ناذر .. لا أستريح
حتى يروّح في سلام .

عودة الى الجواد العربي

كقطوفِ داليةٍ مُرِنحةٍ على هزجِ المواسم ،
كحمامٍ بيضاء ، أيدينا تلوّح بالمحارم ..

لجوادنا العربي ، يصهلُ في معاركه الطويله
ويقول : يا نار الأعاجم
أفنى .. ولا يرتدُّ عرفي
أفنى .. ولكن لستُ أغدُرُ فارسي ، وأخونُ سيفي ،
أنا لم أزل في وجهكِ المجدورِ يا نار الأعاجم
شعباً يدافعُ عن حشاشتهِ .. وتاريخاً يقاوم !

طلب انتساب للحزب

طالب انتساب للحزب

مقدمة

طلب انتساب للحزب

استمراراً في مهمة نشر الأدب الفلسطيني بشقيه في المهجر والأرض المحتلة تبادر « دار العودة » الى اخراج هذه المجموعة للشاعر الفلسطيني الطليعي سميح القاسم .

وقد سبق أن نشر شعر « الأرض المحتلة » ، ولكن هذه القصائد بالذات لم يسبق نشرها لأنها ذات نفس ماركسي ، وكان الذين يحذفون هذه القصائد في البلاد العربية يحتجون

بأن هويتها اليسارية تسيء الى الشاعر المناضل أكثر مما تحسن اليه .

وفي الحقيقة ، فإن هذا الزعم باطل من أساسه ، لأن محاولة إخفاء الهوية السياسية لكاتب يعتبر الكلمة رصاصة ومهنة الأدب كفاحاً ، وينبض كل حرف من حروفه بموقف واضح الدلالة والرؤيا إنما هو عبث شبيه بحركة النعامه .

وإن كان لنا أن نضيف فإننا نقول أن الناشر لا ينبغي أن يتحول الى رقيب على نتاج الفنانين أمام إحساسه بأن بعض السلطات الرسمية ستتخذ موقفاً ما من نتاج الفنان .

إن الناشر والفنان ينبغي ان يقف كل منها ضد إرادة العسف الفكري ، ضد الرقابة والحجز على ذهن المبدع ، وضد تسلط السلطة وممالاتها بشكل من الأشكال . وخاصة عندما تكون السلطة رجعية ، وعندما يكون الرقيب سليل هذا النظام الرجعي .

ونذكر - مع هذا - أن الهوية الماركسية لم تعد كفراً

سياسياً ، ولا إلحاداً قومياً ، وأن الحركات التقدمية في عالم اليوم تستقي فكرها من الماركسية فلسفة حياة ومنهج تفكير . وتكراراً ، فإن الزعم بأن الماركسية تسيء الى الشاعر هو زعم باطل حتى للذين لا يؤمنون بالماركسية ، لأن الماركسية طرحت نفسها على عصرنا كله .

ولقد ذكرنا في تقديمنا لمجموعة قصائد شيوعيون للشاعر توفيق زياد أن « دار العودة » لا تنتمي للفصيلة الحزبية التي ينتمي اليها شعراء الأرض المحتلة ولكنها تلتف مع كل المبدعين والباحثين والمثقفين حول الشعار المجيد المنادي بالحرية الفكرية الكاملة لكل الكتّاب باحثين ومبدعين .

* * *

وقصائد هذا الديوان تنقسم الى قسمين ، نشر الشاعر سميح القاسم أولها في مجموعته « دخان البراكين » الذي طبع في الناصرة في الأرض المحتلة ، والقسم الثاني نشره في كراس بعنوان « ارم » في مطبعة الاتحاد في حيفا من الأرض المحتلة .

قصائد القسم الأول النبرة الحزبية واضحة فيها ، ولكن الحزبية لم تقض على المستوى الفني الذي عرف به سميح القاسم بل أثبتت أن الفن العظيم يستطيع أن يكون ملتزماً الى أبعد الحدود دون أن يتحول الى صراخ سياسي .

وقصائد القسم الثاني قدمته « أم الفحم » تلك القرية الفلسطينية الباسلة : فعلى غلاف الطبعة الأولى كتبت هذه الجملة : « نادي النهضة بأم الفحم يقدم سميح القاسم في ارم » . ونود أن نذكر أن « أم الفحم » كانت وما تزال موطن الحركة الفكرية للمقاومة في فلسطين المحتلة ، ذلك أنها أكبر القرى العربية في الأرض المحتلة ، وفيها كانت البوليسية الصهيونية تمارس أكبر الضغوط لمحو الشخصية العربية وقتلها معنوياً ، وكانت وما تزال مقراً لأكبر الحكام العسكريين الاسرائيليين وأكثرهم عنفاً .

ويبدو أن اختيار اسم « أم الفحم » ووضعه على غلاف مجموعة قصائد « ارم » له دلالة قومية واضحة ، فأم الفحم هي الضمير الفلسطيني المقاوم ، وقصائد سميح القاسم من النسغ

الفلسطيني الحقيقي للضمير الفلسطيني ، واقتران اسم أم الفحم باسم سميح القاسم هو اقتران بين الأرض والانسان وتعبير اضافي عن أن فن الفلسطيني الملتزم هو فن الجماهير الفلسطينية .

وأبرز ما يميز قصائد المجموعتين معاً - غير النفس اليساري - هو الرؤيا القومية الشاملة ، وهي على أية حال رؤيا الانسان الفلسطيني الذي لم يستطع يوماً أن ينسى أنه جزء صغير من الوطن الكبير - رغم كل ما كابده وعاناه - فالقصائد تغني للأسطى سيد في مصر الذي يشيد قلعة الصناعة والسد العالي ، وتغني لمحمد مهدي الجواهري أمير الكلمة الملتزمة ، وتغني لنجيب محفوظ الذي يغرف مادة فنه من نبع الشعب الطيب البسيط .. إنها تثبت أن الأسلاك الشائكة والجدران الصلدة لم تقطع صلة الرحم بين فلسطيني الاحتلال وفلسطيني المهجر بين فلسطيني الاحتلال وعرب الأرض العربية كلهم .

دار العودة - بيروت

احمد سعيد محمدي

طلب انتساب للحزب

« إلى ماير فلتر .. وشيوعيين
لا أعرف أسماءهم من أسيوط واللاذقية
وفولغوغراد ومرسيليا ونيويورك
وازمير ، ومن جميع المدن والقرى
وأكواخ الصفيح والعرائش ..
المتشبهة بكوكبنا - بكرتنا
الأرضية » !.

اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراره !
لم أعد أقوى بأظفاري
على هذي الوجوه المستعاره
هرأت عظم أصابعي ، النتوء الهمجيه
في الوجوه الحجرّيه ،
والأفاعي لم تزل تنسلُّ
من افواه اعداء الحضاره
من تجاويف العيون الجاهليه !

* * *

اعطني مطرقةً .. من منجم الحقد المصفي
علني أنسفُ ما ظلّ من الأصنام
نسفا !

أعطني من قلبك الملعومِ حبه
علني افتحُ مجرى
لدمٍ يصدّمُ صخرًا

كلما همّ - ليلقى في الغد الآتي مصبه !

* * *

اعطني من نارِ عينيك شراره !
علّني احرقُ جيفه
سمّمت حقلي وآباري وريحي
وأحالت قريتي أرض خرافات مخيفه !
أعطني بعض شراره ..
علني أصبح للآتين من خلفي ..
مناره !

* * *

أيها النسر المقاتلُ
أيها الأعصارُ
يا ناهش اطنان السلاسلُ

أيها الملدوغ من جحرين مرات عديده !
اعطني إزميلك المسكوب من صلب المراره
اعطني مطرقة .. لغماً .. شرار
علي أصنع فأساً - من قصيده !

أفكار از دهمت بدون ترتیب

المذلة

ذات يوم ، شيد الأقصى
وعشى الفقراء
كل ليله
يا رفاقي ، ورأيت
ذات يوم فبكيت
كان يستعطي لدى بوابة الأقصى ،

وفي عينيه ، ادركت المذلة !
قتل الثعلب في برج حمامه
سوف ارثيها ، واحمي البرج ، لكن
لست استعجل ميعاد القيامة !



القلق

قمري يخفش في الوحل ،
وفوهات البنادق ..
أعين مسعورة ، ترصده عند المفارق !



عجيبه

أنا في الأسلاك ، مشتاق الى طعم العذوبه
أنا في البركان ، مشتاق الى لمس الرطوبه
كدسوا من حولي القندول .. لكن
حرموني زهرة القندول ، في ارضي الحبيبه
فاسمعوني !
وافهموني !
انني أصنع في الأرض عجيبه !



لو

لو ان في الميدان
سيف ابي ذرٍ ،
ولو لم يفتصب عثمان
قيادة البلاد ، بالحديد والدماء
ما استأسد الثعالب الرومان !

* * *

لو هزنا ان يصنع الاعداء
... .. من حذوة الحصان
ما أصبحت حبيبتى وجهاً من الدخان
وجثة صفراء ،

يزني بها شرادم القرصان !

* * *

لو كان .. ياما كان
ما صار .. ياما صار
فافسحوا لي الدرب ،
اني قادم من خلل الدخان
من خلل الرياح والدموع والأمطار
آت انا ،
احمل في حقيبتي .. خريطة
للسمس والبركان
وصورة الإنسان !



قال وهو ينشج على صدر أمه

سألوني عن التي أنا منها

وهي مني

ربابة ومغني

عندليب وسوسنه

وكتاب

وبلال ومثذنه

وانطلاق

من هراء البيداء ، والخيل والليل

لدنيا .. اسوارها خشعت لي

في حنين الى ولادة طفلي

سألوني .. فما عساي أقول ؟

عزيزي

عزيزي .. ايفان ألكسييفتش اكتوبر

قميصي غارق في الدم ، يا إيفان
ونصل الخنجر المسموم ، ما زال
يحر .. بحر في لحمي
وطاووس الخيام السود والنابالم ، ما زال
يجوب البيت مختالا
ويصبغ ريشه المنقوش ، في دمّي !

جبيني مثقل بالوحل ، يا إيفان
وقلبي غاب أياماً ، وراء وكالة الانباء
وعاد إليّ محمولا مع الجرحى
على حمالة حمراء !

وراياتي التي كانت تمد الريح بالنخوه
مهلة : هلا مرحى ! هلا مرحى !
وتخفق وهي مزهوه

على نبض الملايين التربى الضوء والآلات والقمحا
غدت يا صاحبي إيفان

لقتلانا الوجدناهم .. غدت اكفان !

قميصي غارق في الدم

ووجهي مثقل بالوحل

رراياتي ممزقة ..

ولكني أقول اليوم للأحزان

دعيني الآن يا أمي .. دعيني الآن

فإن يداً تشد يدي ، وتنشلي الى القمه
وتمسح عن جبيني الوحل ،
وفي حب ، وفي رحمه
تضمده جرح خاصرتي
وتغسل قلبي المطعون .. بالإيمان
وتطبع في فمي نجمة
دعيني الآن يا أحزان
أدور على بقايا من حدائق لم تملكها النار
واجمع ضمة سلمت من الأزهار
أزينها بطابع نجم
واعقد حولها شريان
وفي اكتوبر الغالي
اسلمها بريد الدم
ليوصلها إليك هناك .. عبر الليل والقضبان !
صغيراً كنت يا إيفان

صغيراً كنت يوم أفقت مذعورا

على صرخات أمي :

آه - مات أبوك مغدورا

وشدّتني ..

تعال إليّ يا ولدي

فخلف الباب ما زالت

ذئاب الليل .. والغربان !

وصرت معذباً بالسل

تلق من دمي الديدان ..

ومر العام .. تلو العام ،

جبيني قطعة من شمع دير خانة الرهبان

وفي عينيّ مسرجتان مطفأتان

ولبت على رصيف الأرض ،

لبت ممزقاً عريان

وجست معاهد التبشير والأوعاظ والحكمه

ودور رعاية الأيتام
سألت العدل .. لا اللقمة !
فأنكرني مدير وكالة الغوث الخرافيه
ورد الباب في وجهي ،
وتمتم ضاغطاً فكيه :
حسبك يا ابن مسيئة !
ومر العام ، تلو العام ، تلو العام
وفي يوم من الأيام
صحوت على يد مست جبيني الجهم ، في رفق
وصوت معلم جوال
أتى من قمة الشرق
يقول : تعال يا ولدي الشقي .. تعال
فلاء البيت سائبة
ذئاب الليل والغربان
وأنت ميتم ..

أتضيع بين مآدب الأندال !
وحدثني طويلاً ،
عن بلاد الثلج والأطفال
والأزهار والعمال
وعن قصر الشتاء ،
وعن صراع الجوع والأجيال
عن الفولغا ،
ونوتين تهر في أغانيهم ،
خطى الزحف العظيم ،
وقصف اورورا ..
وعن فرح الشكالي يوم عاد بقية الأبطال !
وفرّ الليل مبهورا ..
رفيقي - آه يا إيفان
عميقاً كان صوت معلمي الجوال
وعذباً كان

هي .. مطراً على صحراء
تشرّبه الى الأعماق
قلبي الأسود الصلصال
فأصبح وردة حمراء
وأصبح بعد عقم طال ،
جوهرة .. وكثرة
وعصفوراً ، ومصباحاً على الطرقات !
رفيقي - آه - يا إيفان
وصارت نكبة النكبات
جناحي ثورتي الحمراء ،
باسم حبيبي الإنسان !
بكيت على أبي المغدور في دوار قرينتنا
بكيت على حديقتنا
بكيت على رفاق طفولتي ، في وحشة المنفى
تلوتُ قصائدي الأولى

على جثث الحساسين
ودقت قبضتي باب السماء
ولدت بالدين
رثيت لوائي المدعوك في الطين
هجوت الشوك ،
يغتال الزنابق في بساتيني
سقطت لدى مزار الضوء
أعشى ضائع الخطوه
بلا حول ولا قوه ..
دعوت الأولياء الصالحين
فردت الوديان :
إلهك كان يا هذا .. إلهك كان !
وقهقت السفوح السود
والقمم النحاسيه :
إلهك كان .. يا طرح الأناشيد الحماسيه !

بكيٲ

هجوٲ

ناديٲ

دعوٲ

بكيٲ

صليٲ

وجاء معلمي الجوال

من الفولفا أٲاني ،

من ذري الاورال

من الهند الشقية جاءني

من مصر من لبنان

اٲاني من بلاد الصين

من كوبا .. من الصومال

أٲاني - آه - يا إيفان

وأورق في ضميري الرمل والصوان

وعاد إليّ في الصوتِ
جيني الأول العالي
وقلبي عاد .. مركبة فضائيه
تخط طريق أجيالي
وعادت ملء أجفاني المسافات الربيعيه
وغابات المداخن
والصنوبر ،
والقراصيه !
أجل عادت مع الصوت
رؤى نسلي الذي أقسمت أن يأتي
ووجه الأرض مخلوق من البدء
بصورة سفر تكوينِ
يسمى الاشتراكيه !
وفي البدء
تعوم الارض في الضوء ..

و كيف نشاء
سنرسم صورة الافلاك والامواج والاحياء !
رفيقي - آه يا إيفان الكسييفتش
اتاني الصوت .. صوت الجد اكتوبر
أتاني طيباً .. أخضر
وقال : تعال يا ولدي الشقي .. تعال !
فملء الليل سائبة
ذئاب الليل ، والحيات ، والغربان
وأنت مُيتم ،
أقضيح بين مآدب الاندال
ورحت ادور يا إيفان
ادور على بقايا من حدائق لم تملكها النار
واجمع ضمة سلمت من الأزهار
لأبعثها لبيت الجد اكتوبر
سلاماً يا سواعد اخوتي العمال

سلاماً يا مداخنهم
سلاماً يا منازلهم
سلاماً للجسور الشهل ،
للآلات ،
للأبراج ،
للأزهار ،
للأطفال !
لطهر حدائق العشاق
للأكواخ ، للأحراج
للمدن الزجاجية
سلاماً للسهوب الخضراء
للقطعان
للسفن ..
سلاماً يا نوارس
يا شواطئ

يا أغاني الليل ، ملء شوارع المدن !
أنا .. رغم الجراح النجل في بدني
وفي وطني ،
أشارك .. منشداً للعيد .. عيد العالم الأجل
واجعل جيلاً الدامي
فدى أجيال مستقبل !
أشارك منشداً للعيد ،
عيد الجد اكتوبر :
حبال الضوء ، يا سكي الحديدية
أكون مسافراً ، لو شئت .. الأوجـ
وارقص عارياً ، لو شئت .. في الثلج
واجذب خصر حورية
مدللة ، طفوليه !
حبال الضوء !
يا قدرتي الذي أهوى

ويا رايات أسفاري البطوليه
أكون مسافراً لو شئت ، عبر مخاطر البحر
إلى الأرض الفدائيه
هنالك أنحر الآلام .. أنحرها إلى الأبد
وأستلقي .. إلى الأبد
على أعتاب أفراحي التي كانت خرافيه
جبال الضوء ، شديني إلى القمه
إلى القمه ..
إلى القمه !
إلى شفق ، جراح الأمس في جنبه ملتته
شموساً لا نهائيه !
تزود متحف الآثار ،
بالأحزان ،
والأصفاد ،
والظلمه .

ارم

۱۰۴

تزجية

إلى الأحياء !..
الذين يدأبون على إرم الفاضلة
حُباً ... وأزرا ...
وإلى الموتى !..
الذين يدأبون على بعث إرم الخاطئة ؛
شجباً وزجراً !

س . ١ . ٠

تليين

في الأساطير أن شداد بن عاد عندما بسط سلطانه على الدنيا بأسرها حشد عباقره المخططين ، فنفذوا أمره بتشيد مدينة ذهبية جدرانها مطلية بالمسك والعنبر ، ويحيط بها سور فضي مموه بالذهب ، حيث أصبحت غير مرئية من شدة وهج الضوء المنعكس عنها .

ونهدت المدينة ، مؤلفة من مئة ألف قصر .. أعمدها زبرجد وياقوت ، تجري بينها أنهار حصاها من الجواهر ، وعلى

حافاتها أشجار جنوعها من الذهب ، واوراقها وثمارها من
اللآلئ . وأطلقت بينها شتى الطيور .. تصدح وتغرد ...
غرق أهل هذه المدينة « إرم » في نعمة لا توصف
واستهوتهم شتى ضروب الملذات فغاصوا في الرذائل ، ويوم
أرسل لهم الله من يعظهم لعلهم يرجعون ، تنكروا لله وكفروا
به ، وواصلوا ضلالهم (* فصب عليهم ربك سوط عذاب *)
وصاروا مثلاً وعبرة (ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات
العماد * التي لم يخلق مثلها في البلاد *) .

هذه هي « إرم » التي ورد ذكرها في الأساطير ، وفي
القرآن الكريم ، والتي كتب عنها وألف حولها الكثيرون
من الكتاب والشعراء .. أما « إرم » التي أحلم بها وأكتب
عنها فهي إرم جديدة .. إرم فاضلة .. تحلم بها الإنسانية
جمعا .. وتناضل من أجلها .. مضحية في سبيلها الطويل
الوعر يجسام التضحيات وغواليها .. مؤمنة بأنها البديل الوحيد
وواثقة بأنها البديل الأكيد للعبودية البشرية ، وفنائها الشامل .

إرم الفاضلة

البشرية : إرما .. تريد القافله ؟!

الشاعر : إرما .. على أرض جديده

إرما .. سعيده

إرما .. ولكن فاضله !

البشرية : ماذا لديك ؟!

الشاعر : لدي عن إرم قصيده !

البشرية : فلتسكتوا ..
فلتسكتوا !
وليلق شاعرنا نشيده !!

* * *

البحث عن الجنة

– عبثاً تحاول أن تنام !
قدر عليك السهد والفرع المدمر والظلام
فاهجر فراشك .. ألف صل في فراشك مستثار
ووسادك المحموم أشواك ونار !
سرب من الغربان في أعماقك الشوهاء حام
والليل حولك والعواصف والثلوج فلن تنام
عبثاً تحاول أن تنام
قدر عليك البؤس والألم المبرح والسقام

مأساتك السوداء كانت منذ قال الله : فليكن الوجود
وكان .. ثم بدا له أن يصنع الشمس اللعينة والحياة
فدارت الأجرام في الفلك المقيت ودبت الأحياء
في الآفاق سائبة يعيش ببعضها بعض .. وكنت
لتلتقي في روحك الموبوء آلام الخليقة والشقاء المر من ندم
يغلغل في كيائك كلما أوغلت
في تقليد ما سواك ، بالعقل المعذب والهيام
بشهوة صفراء رائعة البداية مرّة التاريخ
فاجعة الختام !
عبثاً تحاول أن تنام !! ..
فاحمل عظامك وامض في الدرب الطويل
تحفك الأخطار ، جدّد رحلة الأحزان في أرض الضياع
القاحل المشؤوم ،
في بحر الأسى الطامي الذي لا يرحم السفن البريئة تقطع
الأبعاد .. بالقرصان والملاح

والأطفال والشيخ العجوز وغادة عذراء
حاملة بفارسها الجميل .. وزوجة فضلى
وزانية وقديس وانسان يغامر
في سبيل الحق ، يحدجه اللصوص
ويهمسون .. ويرسمون
خططاً يطل ورائها وجه يقهقه ساخراً
عبث حياتكو ! .. جنون !! ..

* * *

سل جدك المجدوب الأعمى
وسل أبويك ، هدهما العذاب وقورست ظهريها
عجلات شيء وأسمه الدهر
الذي لا ينتهي !

سل كل وجه اغبر القسمات يقذفه المدى
في وجهك المكذور .. لا لوثات مجدوب
تغطيه بأكداس الهناء السمج

والفرح المزيف والصفاء الأبله !
سل كل انسان تحدر في كيانك ما تحدر
في كيانه من دم يغلي بنار الله ، بالصحو
المصفى من سلو ضل عن وجه الحقيقة
هل تغلب واستكان ضميره في الوحل
في الدوامة الحمقاء فاستعلى وأفلح
أن ينام ؟!
عبثاً تحاول أن تنام !
فاحمل مصيرك وامض في الليل المولود
عبر ندف الثلج عبر الرعب والريح المخيفة
والوحوش ونكبة الكون المشنج في الظلام !
عبثاً تحاول أن تنام !
عبثاً تحاول أن تنام !! ..
- منذا هنالك ؟ .. أي طيف في الطريق
الموحش الموحول منذا أذت يا شبحا

يقوم ويرتمي في كدرة الأسداف .. لا الأمطار
ترحمه ولا الأشواك والصخر المسنن والرياح ؟
من أنت ؟؟

- صنوك ضارب في الأرض

ودّع أهله قبل الصباح !

ومضى وفي أعماقه الكدراء ينزف

مثل ما في قلبك الدامي وروحك من جراح !

- من أنت ؟؟

انسان تغرّب في طريق الرحلة الصفراء

يزحف نحو أقصى الدرب ، نحو البقعة

السوداء في الأفق المشوّه .. في المجال

المعتم المرهوب ، غلفه السحاب !

- منذا هنالك ؟؟

- لعنة أخرى تلوب على المدى المجهول

مطفأة العيون ، تدب في قلق مميت ،

خائق الجدران ، تسرح في جوانبه الحديدية
سائمات الظلمة النكراء ، تنهشه الأفاعي والذئاب !
وتند عنه ، جريحة الاصداء ، عائرة التمرد ،

صرخة رعناء دامية ،

تمزقها الأعاصير الغبية ثم يلقفها ويبلعها
المدى المظمور في الدم ، في المزابل
في الخرائب ، في الضباب !!

رباه ! أين الدرب ؟! .. ثم يقهقه
اللا درب ، يسخر من فظاظة طينة بلهاء
ينخرها وباء السل والسرطان

ثم تلفها الأوحال في صمت وهيمنة ملوثة ،
وهزء ساحق الأثقال
جنده العذاب !

ويود لو يتوسد الطين المعفن كي ينام
فيضج في اسماعه المكدودة المضناة

صوت راعد : لا ! لن تنام !!

الخطيئة والوثن

- دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيِّعك الرعاة !
وابكي ربيعاً مات .. مات !
وتهبأبي للمسلخ المشؤوم تهدر فيه زاكية الدماء ..
من القرون الخاليات !
من يوم أنشب آدم المغدور في حواء ناباً
يفتذي من لحمه المغبون ينهل من دماه !
ويظل يؤمن أن في صلب الخطيئة هادر

ينبوع أسرار الحياة

ويهز صوت الله أركان الوجود :

- اليوم تفقد جنتي ! فاخرج يرافقتك الشقاء

مدى رحيلك في يباب الأرض ..

خلفك موصل عدني ، وأمسك لن يعود !!

* * *

- دوري مع الأعصار ! يا قطعان ! ضيعة الرعاة !

وابكي ربيعاً مات .. مات !

من يوم شاء الله أن تهوي يدا قايين ،

قاتلتين ، غائصتين في الدم ، في الحياة

ويروح يصرخ من وراء السد

في عسف الطغاة .. الأغبياء من الطغاة

- قايين ! يا قايين ! أين مضت بهابيل خطاه ؟!

إذهب ! يرافقتك الشقاء .. جزاء فعلتك الحرام !

قدر عليك السهد المبرح والسقام

وتند عن أرض الخلود العاهره
صرخات بُقيا اللحم والدم والعظام !
الشلو أقسم لن ينام !
الشلو أقسم .. لن ينام !! ..

* * *

– الرب (راع) !
ما زال يرمقه الملايين الرعاع
يتعبدون ويرفعون له الذبائح والقرايين البريئة ،
يسجدون الليل .. حتى منتهاه
– ماذا وراء الصمت تكتم يا إله ؟!
ويضج أعصار الحقيقة بين أغلال
تصفده بها الأوهام ، غادرة الجموح ، غبيّة التيار
نادمة المصير !

– لا سر في صمت الإله !!
لا شيء غير الجوع والحرمان والطوفان ،

يحتاج القرى السوداء .. يكتسح العبيد
الضاربين بلا وجوه ، يحملون جبال صوآن
على الأكتاف ، داكنة النجيع
يحز فيها النير مذ كانت وتنهشها الضباع !
والرب (راع)

ما زال يعبده الملايين الرعاع ! ..
والمؤمنون الآبقون ، وجوههم للات ترنو
في خنوع أبله ، قطعانهم في الرمل تزحف
.. هاربين من الضياع إلى الضياع !!

* * *

– الليل في النزاع الأخير !
ونسائكم يبكين في صمت مرير
يبكين في جوع وحرمان ، يبوخ الطين
من زفزاتهن البكم ، يحترق الحصير
طالت سنون الجذب . والاهرام تلتهم الرجال !

خوفو يموت .. فشيّدوا قبراً يعيش به الزوال !
وتهبأوا للجوع ، للأوباء ، للقمل السعيد ،
وللسياط ، تتر حانقة بأيدي الثائرين على الفناء
العائشين على الفناء ، الخالدين على الفناء !
لا كانت الأطفال ! حتى ينجب ابن الشمس
طفلاً لا يموت !

هبوا فان الليل في النزاع الأخير
والشمس نصمت . وابنها ، خوفو المدلل
بات في النزاع الأخير .

* * *

يا نمل بابل أن في مولاكم شوقاً
لأسرار السماء !
فتكدسوا قبل الصباح
ستشيّدون سبيل مولاكم لأبواب السماء
بيعوا حلي زوجاتكم

جزوا غدائرهن نجدها حبالاً أو سياطاً
أو مشانق للعصاة الأشقياء
واستسلموا للريح أن هدّت عرائشكم ،
وقصّفت الكروم الخضر ..
إن الله يرزقكم غداً من عنده الخير الكثير !
وإذا استباح الداء آلافاً من الأطفال
فاستلقوا على أعتاب برجكم العتيد ،
وعزّموا ، تحمل نساؤكم توائم ..
ان ربكمو على كلٍّ قدير !!

أبطال الراية

- دعهم ، فان ضلالهم قدر يرافقهم الى اليوم الأخير !
جالد إذا أفلحت ، منتزعاً خطاك من الوحول
الداميات
وعد الى فردوسك المهجور ، للجنات تجري تحتها
الأنهار ، للقصر الكبير
للليل (غوتاما) ! والأعصار (غوتاما) !
يؤول غداً بمشعلك المصير

ستظل في أوهامك البيضاء (نيرفانا) ..
تظل رؤى مقدسة ، إلهاً من أثير
والله ! نحن نشاؤه بفرورنا ،
شيئاً له قسماتنا الشوهاء ترسمه أناياتنا ..
فاهبط من الأبراج ، من شم القباب
وإذا استثير لهيبك القديس من صوت الضمير
وشقيت في ما يحمل الإنسان عن عبء العذاب
فالمس جراح الأرض في رفق ..
ودثر عريها الدامي بأسمال التراب !!

* * *

حطم وصاياك الشقيه !
واسجد مع الكفار للعجل الغبي ، فللسدى
تعطو أمانيك الغبيه
ألواحك الآجر تغري النمل والديدان
والابريز في العجل المدلل يخطف الأبصار

يقذف بالعقول الدكن في دوامة غضبي دجيه !
آنست ناراً ضوأت سيناء ! ثم سمعت
قل .. ماذا سمعت ؟ سمعت صوت الله
يا موسى .. فبشر في البريه !
طوّف قرونًا تحت جناح الليل .. في شفتيك
يهدر صوت يهوه
والمشعل القديس في كفيك ترفعه ،
تذود الدكنة الشوهاء عن كون مشوّه
وغداة يسبك كل شعب ما لديه من الحراب
الى محاريت وترعى الشاة ما بين الذئاب
ماذا يكون ؟؟ ستفتك الشاة الوديعة بالذئاب
وسيدعث الإنسان ملحمة الصراع ،
وآن تشتم المحاريت الدماء ستستحيل إلى حراب
ويزيح قايين القديم جميع أكداس التراب
يزيح قايين القديم جميع أكداس التراب :

فارحم وصاياك الشقيه !

حطم وصاياك الشقيه !!

* * *

- شرف الأقانيم الثلاثة والصليب

شرف الدماء الزاقيات النازقات من الجراح ،

جراح هيكلك الخضيب

شرف الأحبوا بعضكم بعضاً ..

وهذا خبزكم جسدي وخرمكمو دمي الجاري

وفي الناس المسره

والأرض يغمرها السلام .. فلا قتاد غاصب

يودي بزهره

شرف المحبة والخلاص من الخطيئه

شرف التعاليم البريئه

لم يلهم الإنسان معنى الخير ..

لم يثن الغزاة الطامعين البله عن وهم الفتوح !

ورسولك القديس بطرس ، عاد للشك القديم ..
فليس من تلميذك المعهود ،
ليس سوى مسوح
فارحم جراحك يا مسيح !
ما عدت في الإنسان غير حكاية تحكى
عن الرب الجريح !!

* * *

- حرّاء ! هل هجرت حمامتك الوديعة ؟
هل جفتك العنكبوت ؟
حرّاء ! هل دهمت قريش أمان لائذك الكريم ؟
فراح تحت سنابك الكفار
مغدوراً يموت ؟!
عادت (منى) وأبو لهب
عادا .. فما تبت وتب !
والكعبة استخذت منابرها للغو خوارج ،

لا الله يكبح من جماح ضلالهم ، لا الأنبياء
ولا الكتب !

واستشهد الأنصار .. وانهارت مدينتهم ،
وشرعت المساجد للصوم المارقين !

و « الله أكبر » ! لكنة جوفاء

تطلقها نفايات المسوخ التافهين !

فاركب بعيرك يا محمد !

وتعال .. لي في الشمس معبد !!

* * *

– ما جئت بالتنزيل ! لم يفاجئك جبرائيل

في رهط الملائك بالنبوه !

لم تلق وجه الله ! لم تسمع من النيران دعوه !

لم تحي أمواتاً ولم تنهض كسيحاً !

لم تزل برصاً ولم تخلق نبيداً من مياه

لم تجيء بالمعجزات الخارقات

لكن وجهك يا رسول العصر أشرق في ظلام العصر ..
أحلاماً ، وإيماناً وقوه !
وهدير صوتك هز أعماق الخليقه
فاستفاقت جذوة سجنت بأعماق الحياه
فإذا الظلام يسيح في ذعر ، ونور الفجر
يولد في العيون المطفآت
وإذا أنا الإنسان ! أجهر بالصلاة !
وإذا صفاري يشبعون ، ويدرسون ويلعبون !
ومشيئة الرحمن والأقدار
بعض من نفايات القرون !
والأرض بعد العقم أثمار وأزهار وخضره
فاسمع أغاني الثائرين
واشهد نهايات السجون
واهنأ فإننا بأسمك الجبار نجتاز المجره !
واهنأ فإن الشمس تشرق كل يوم ألف مره !!

خير و شئما

تبيضُ أجنحة الغراب !
وتلف أذناً ، من الخزي ، الكلاب !
وتلوب في فزع وفي خجل ، على أرض الرماد المر
أسراب الذباب
وتجف من رعب السؤال ... تجف حنجرة الجواب :
- من أي أعماق البشر
يتفجر الموت الزؤام على البشر !؟

ولأي كهف ينزوي الله المعفّر بالغيبار
وبالدخان وبالشرر ؟
وبأي معراج يلوذ الأنبياء الصالحون
غداة تربد الصّور ؟
بالحظ ؟ بالمقسوم ؟ بالمكتوب في غيب القدر ؟!

* * *

طفل بلا رجل ، بلا عين ، ومخلوق بلا وجه ،
وأشباح من الانس المشوه تستغيث
وتقهقه الأوباء والقحط الخبيث :
- كل الأناث هنا عواقر
كل الرجال هنا معقمة .. فألقوا العبء
عن أكتاف محراث مسافر !
هذا الرماد المر لم ينبت سوى الورد المحجّر
والدم المسود والريح المسمم والخناجر !
وتصك سمع الشمس هممة المصانع

تحت وجه الأرض حبلى بالذخائر
قلبي على العمال ! خوف الجوع .. أيديهم تصوغ الخوف
.. من أجل الصغار .. أكفهم تختط موتاً للصغار !
قلبي على الإنسان ! في قلق الدمار
يسوق أحلام الخليقة للدمار

* * *

وترف أجنحة الأعاصير الملوثة الحقوده
وتشرع الأظفار والأنياب في وجه البراعم ،
غضة الأشواق ، في أحضان مشتلتنا الجديد ..
وتشتهي النيران خضرتنا الجديده !
وتصدع الآفاق جلجلة الملايين المدوية المریده :
- أیظل ؟!
- لا .. لا .. لن یظل إلهنا !
- ونظل ؟!
لا .. یا طفلنا الموعود ! .. لن نبقى عبیده !!

فوراء سور العصر خلّفنا شعائره البليده !
ووراء سور العصر خلّفنا كهوف الموت
موحشة معذبة .. وفتنا الليل والأسلاك
والأنقاض والقتلى ونصب المجد
في الأرض البعيده !
واجتاز موكبنا مخاضات الدم الكبرى
إلى شطآن ... جنتنا السعيده !!

بطاقات الى ميادين المعركة

الى بول روبسن

من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي
ويرفرق في قلبي
عصفورا .. أسمر .. منفيا
من أقصى أطراف الدنيا
ينهل غناؤك في بيتي

يا أعمق صوت
ينهل غناؤك في قلبي
يا أقصى لافتة في الدرب
يا فاضح جور الإنسان على الإنسان
من أقصى أطراف الدنيا
« بالله خذوا أمني للبيت » (*)
« كي لا تشهد موتي ! »
وتهوم في عينيا
أشباح الكوكلو كس كلان
يلهون بصلبك في الميدان
يلهون بصلي في الميدان
وأفئق على ضربة طبل
ويعود إلى قلبي الإيمان !!

(*) من أغاني روبسن .

إلى فيدل كاسترو

قدماً .. قدماً .. في هذا الدرب !
يا حاطم أغلال الشعب
قدماً .. يا أول شعله
في عتمة أمريكا المحتلة
قدماً .. ما دامت في البيت
أشتات الأوباش الفاشست
قدماً .. الفجر وقضبان السكر
أسلحة ليست تقهر
يا غوث الجزر المنهوبه
وعزاء الأم المنكوبه
رايات القرصان

ستفوص إلى القيعان .. إلى القيعان
شهداء .. مخضبة .. مغلوبه
باسم الحرية والإنسان
قدماً .. قدماً .. يا شعباً في كوبا
ما عاد مسيحاً مصلوباً !!

* * *

إلى جان بول سارتر

أطلقها .. ناراً .. في وجه الأعداء
أطلقها .. كلمتك الحمراء
ما دام على الدنيا باستيل
ما دامت قضبان .. وسياط .. ودماء
يا أنبل قنديل
في عتمة باريس العمياء
أطلقها .. من أعماق أعماق الإنسان
كلمتك المغروسة في وهران
في هافانا .. في هارلم .. في كل مكان
كلمتك المورقة الخضراء
أطلقها !

ما زال على الدنيا باستيل !
ما زالت قضبان وسياط ودماء !
أطلقها ! أطلقها !!
من قوس النصر المحمول
فوق رقاب الأحرار الشهداء !

* * *

إلى نجيب محفوظ

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة
ماتوا .. لم تصحبهم كلمة
فالفصحى والأوراق المصقولة والإنشاء
والحبر الغالي والأقلام الفضية
كانت مسيئة
يلهو بمفاتنها النبلاء ..
والناس البسطاء

عاشوا .. لم تصحبهم كلمة
ماتوا .. لم تصحبهم كلمة
فاغترف من أعماق البئر العذراء
واسق العامل والفران وأطفال الحارة

فالناس ظماء
اكتب عن شحذ الهمة
اكتب عن أحلام الأمة
طوبى للحرف الشامخ في الليل عناره
والعار لأبراج العاج المنهارة
وسبايا النقاء !!

* * *

إلى كريستوف غبانيا

ما زال طويل الأظفار
ما زالت عيناه تقذف حمم النار
ما زالت تحميه دجيه
في قلب الأدغال الإفريقيه
في قلب الأدغال الإفريقيه
ما زال يزلزلنا .. حقدأ .. لا رعبا
الوحش القاتل لومومبا
ودماء الكونغو ما زالت .. في كل طريق
وصلاة الكونغو ما زالت .. والليل عميق
فارفع شعلتك المشبويه
وأضئ للأم المحبويه

فالدرب طويل دون ضياء

والدرب قصير ما دامت

في الموكب رايتك الحمراء

فارفعها ولتخفق أبداً

في الدرب على جثث الشهداء

الدرب قصير !

الدرب .. قصير !!

* * *

إلى ثوار فيتكونغ

أسمعها .. تهدر .. ملء دمي
أسمعها ! في الوديان ، على الغابات ، على القمم
أسمع صرخات الأحرار ، وقهقهة الرشاش
أسمع غارات الفاشست الأوباش
وأصبح .. أصبح .. بلا صوت :
« الموت لآلهة الموت » !!
وأحس بكفي تتقلص
وأغيب لبرهه
وأحس كأني أتربص
بذئاب الغزو على أرض الجبهه
وأصبُّ على الأشباح النار .. وأبكي !! :
« مَنْ يجرع في بارات نيويورك الوسكي ؟ »

« مَنْ يلقى في المقهى حلوه ؟ »
« مَنْ ينشد في الشارع غنوه ؟ »
« مَنْ يحرث في أمريكا ؟ مَنْ يزرع ؟ »
« من يحرث في فيتنام ويزرع ؟ »
« مَنْ يبقى في المصنع ؟ »
مَنْ يبقى؟؟

يا آلهة الموت امتحني في أمريكا ..
يا آلهة الموت المحقى !!

وتجلجل ملء دمي
في الوديان .. على الغابات
غارات الفاشست الأشرار
وأصبح .. أصبح .. بلاء فمي :
« الموت لآلهة الموت ! »

وصباح النصر يشع على أعينكم
يا ثوار فييتكونغ الأحرار !!

* * *

إلى اوري ديفز

في كفي دفء من كفك !
في قلبي صوتك : « إني في صفك ! »
في ذهني وجهك .. ذات لقاء
وهتافكم : « إني معكم يا اخوتي الشرفاء »
« معكم .. معكم .. في وجه الأعداء ! »
في ذهني قامتك المنتصبه
وملامحك المكتئبه
وشعار النقمه
والخيمه
والشرطي القاسي .. والسجن الأقسى
لا ! .. لن أنسى !

ولقاؤك لي خلف الأسلاك
والبسمة .. تسكبها في قلبي شفتاك
وهتافك : « لا تحزن ! لا تحزن ! يا صاحب ! »
و « أحلف أن تحكي للناس هتافك »
« إني سأواظب »
« سأواظب ! »
لا .. لن أنسى !
يا جرح الأعداء الأقسى
يا جرح الأعداء
وصديق الشرفاء
قسماً بالجرح الواحد
في ماضي شعبينا الخالد
قسماً بالشمس
معاً .. سنفك من الأسر الدامي .. الشمس !!

* * *

الى الأسطى سيد

يا اسطى سيد !
ابن .. وشيد
شيدلى السدّ العالى
شيدلك
أطفىء ظمأ الغيظ الغالى
وامنحنا .. وامنح أهلك
كوباً من ماء
وخضاراً .. وزهوراً .. وضياء
يا اسطى سيد
أزف الموعد
والقرية في الصحراء العطشى تحلم

والبذرة في الثم الصابر تحلم
فادفن أشلاء القمقم
وابن .. وشيد
يا اسطى سيد
باسم ضحايا الأهرام وباسم الأطفال
ابن السد العالي !
يا صانع حلم الأجيال !!

* * *

الى محمد مهدي الجواهري

عفواً ! يا عملاق الكلمة
إن شابت ألفاظي عجمه
عفواً فجراحي قاتلة
والظلمة ، تخنقني ، الظلمه
عفواً ! أن أقلق منفياً
منفي شاطره همه
لهفان .. يد إليك يداً
حمراء تلوح في العتمه
ويصيح: «صباح العزة يا نسرأ سيعود إلى القمه!»

يا حتف زبانية لصوا
من أيدي الفقراء اللقمه
وانهاروا عنها منفوشاً
في وحل الأحقاب الجهمه
في صوتك روعة تاريخ
وبيارق نصر ملتته
فاقذفه على البغي شواظاً
واسكبه ضياء الأمم
أنا (جعفر) في أرض أخرى
يمتص فم الطاغى دمه
فاعذر أن دوت كلماتي
جشاء ، ممزقة الرحمه
أغريب وجهاً ولساناً
ويداً .. لا يهدر بالنقمه !

* * *

الطريق

أبدأ على هذا الطريق !!
راياتنا بصر الضير .. وصوتنا أمل الغريق
أبدأ .. جحيم عدونا .. أبدأ .. نعيم للصديق
بضلوع موتانا نثير الخصب في الأرض اليباب
بدمائنا نسقي جنينا .. في التراب
ونزد حقلًا .. شاخ فيه الجذع .. في شرح الشباب
ونصب في نبض المصانع ..
للمريسي .. والحقائب .. والثياب
نبض القلوب المؤمنات ..
نبض القلوب المؤمنات .. بكل أقداس الحياة !!

* * *

أبدأ على هذا الطريق !

نذوي فدى أشواق سنبله على وعد العطاء !
ونصيح من فرح غزير الدمع .. في عرس الفداء
أبدأ .. على هذا الطريق !

شرف السواقي .. انها تقنى فدى النهر العميق !!
والنهر يجري دافقاً .. يجري ويكتسح السدود
وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
ف هناك .. كانت ثورة كبرى .. وكانت بور سعيد
وهناك شيخ ميت .. وهناك ميلاد جديد
وهناك ناس أصدقاء

صنعوا الحياة .. ونسقوا خضر الجنائن في الجليد
وهناك منجم أنبياء

جلدوا القياصرة الطفغة الأغبياء

وترمدوا .. لتعيش فوق رمادهم شعل الضياء !

* * *

وانظر إلى الأفق البعيد .. انظر إلى الأفق البعيد
ف هناك .. في أعماق أفريقيا الجوارى والعبيد
فجر .. يمر بكفه فوق الجباه الشاحبات
ويصب فيها النور والدم .. والحياة !
وهناك .. في أعماق أمريكا الجريمة والتمزق والضياع
طبل .. يدق بلا انقطاع
لدينة تشرى .. وزنجى يباع !
وهناك .. في الأفق القريب .. هناك في الأفق البعيد
ليست تتم الأرض دورتها بلا نصر جديد
فاحمل لواءك .. وامض .. في هذا الطريق ..
أبدأ .. على .. هذا .. الطريق !!
شرف السواقى .. انها تبنى .. فدى النهر العميق ..

في انتظار طائر الوعد

في انتظار طائر الرعد

أطوارات من مدن بعيدة

- ١ -

يا رائحين إلى حلب
معكم حبيبي راح
ليعيد خاتمة الغضب
في جثة السفاح

يا رائحين إلى عدن
معكم حبيبي راح

ليعيد لي وجه الوطن
ونهاية الأشباح ..

يا رائحين ، وخلفكم
عيننا فتى سهران
ما زال يرصد طيفكم
قمرأ على أسوان ..

قلبي تفتت ، والتقى
في روضكم .. وردة
عودوا بها .. والملتقى
في ساحة العوده !

- ٢ -

يحيثون ليلاً ، يحيثون
فاستيقظوا استيقظوا
واحرسوا القرية الخائفه

يحيئون ليلاً ،
من الغرب .. في مسرب العاصفه
أظافرهم من بقايا السلاسل
وأسنانهم من شظايا القنابل
يحيئون من عتمة الأعصر السالفه
يحيئون ، قلت ، على عربات قديمه
تئن بأثقالها الخيل .. خيل الجريمه
« يحيئون ليلاً »

فهاتوا الهراوات .. هاتوا المشاعل
« من الغرب » قلت لكم ، فافهموني
وألقوا المسابح للنار ،
ألقوا غبار القرون
وقوهوا نقاتل !

- ٣ -

جعلتني ابنها من قرون

أرضعتني البقاء
دفقت في عروقي الدماء
وهي شاءت فكنت
كما آمنت أن أكون
وهي شاءت . فكان الكتاب
نعمة في يدي
وهي شاءت .. فكان الشتاء السخي
وانتهى العدو خلف السراب !
لحمها أم ترابي يقاوي الجراح ؟
صخرها وجدوع الشجر
أم عظامي أنا .. تحت حدّ السلاح ؟
حسناً .. لا مفرّ
انني حامل دمها المستباح
ودمي المستباح
حملته .. وأنا معاً في خطر
فالكفاح .. الكفاح

قومي اشهدينى . صاعداً كالريح ، من كهفي الذليل
قومي اشهدينى عينيّ ، مصباحين في الليل الطويل
قومي فإني قادم .. جيلاً على آثار جيل
رثي تمجُّ غليلها الدامي ، تباركاً من غليل
ويدي على الرشاش ضاغطة .. ووجهي في الدخيل
قومي اشهدينى صاعداً ، تيار جامحة أكل
قدمي على الأفعى ، وثغري بين أزهار الحقول
آتِ أنا .. آتِ .. يضيء حنين أعوام سبيلي
آتِ لأحصد حنطتي ، وأعيد ترتيب الفصول
آتِ .. قفي بالباب يا أمي ، مباركة دخولي
ترفٌ لديك العيش .. أرضى منه بالنزر القليل
وإذا قُلتُ لديك يا أمي .. فيا ترف القليل

.

قومي اشهدينى نازفاً في الباب .. جذلان الوصول
أرثي دمائي منشداً : سيلي .. وصلتُ الباب سيلي !

مقطوعة الضفائر
في الوحل ، يا حبيبتى ،
في الشوك ، في الحفائر
مقطوعة الوريد ، يا حبيبتى ،
مقلوعة الأظافر !
ولم يزل جبينك المناره
في عتمة الضمائر
ولم يزل صوتك يا حبيبتى
فضيحة القاتل .. بعد ليلة الخناجر ..
ولم أزل أنتظر الأشاره
لأشعل [المجامر
لأنني ما زلت يا حبيبتى
أؤمن في فجيعتي
بالضوء .. بالإنسان .. بالحضاره !

- ٦ -

مرّوا على بابي مع الليل
مرّوا وما دقّوا
ويلي إذا لم يرجعوا ، ويلي
سُميتني الشوقُ !
مرّوا ، وكنتُ وراء نافذتي
جرحاً على خشبه
لم يسألوا أغراب ناحيتي :
يا ناس ! من صلبه ؟

كانوا ثلاثة فتية .. قدموا
من فجر بغداد
كبروا ، وقالت أمهم لهمو
باركت أولادي !

ومضوا .. وفي أحداقهم وهجُ
من شعلة الماضي

رصدوا به درباً لأنقاضي
ومع الدجى .. ولجوا !

.

كانوا ثلاثة فتية ، عبروا
ليلاً على بابي
جاءوا وفي أعناقهم خبر
من عند أحبائي

عبروا .. ثلاثة فتية عبروا
وثلاث طلقات
وحطام صيحات

صاح الأول : « ويلاه ! صار عدوًنا القمرُ »
صاح الثاني : « لا تدر في دمعاً .. سننتصرُ »
وأكمل الثالث : « في نسلنا .. في الموعد الآتي ! »

مرّوا على بابي مع الليل
مروا .. وما دقتوا
ويلي إذا لم يرجعوا .. ويلي
سيميتني الشوق !

- ٧ -

قفوا جميعاً .. جميعاً .. واستعيدوني
فقد 'خطفت' ... وأبواب الردى دوني
قفوا جميعاً .. فرغم النصل ، في رثتي
لا انحلّ قلبي ، ولا جفت شراييني
دمي عليكم ، إذا ما متّ مغترباً
أقول : ناديت .. لكن لم يلبّوني

- ٨ -

وحدك الليلة للرقص ، ووحدني للهدوء
وحدك الليلة ،

غبي في زحام الضوء والأعلام ،
حتى الفجر غبي
وأنا .. وحدي للإيمان ، في ظلّ صليبي
صامتاً . هياتُ جرحي للوضوء !
وحدك الليلة ،
تدعوك ميادين المدينة
آه .. تدعوك .. فقومي واستحييلي
نجمة فيها ، وميلي
كيف شاءتْك زنود الراقصين
واتركيني ،
أضفر الشوك على بعض التواريخ الهجينه
وأغني للبساتين الحزينه
في زمان القحط ، موالي الحزين !
وحدك الليلة ،
من شارع عبديثيل (عبدالله)

في زفة هورا
عبر ساحات نزار ومضراً
آه - ساحات نزار ومضراً
واغفري لي الصمت والقلب الكسيراً
انها ليلة ذكرى .. وعبر !

ملاحظة : هذه الأصوات مهداة إلى عمال تنظيف الشوارع في
مدينة عدن .

الرعب

حين تغيب الشمس ، قالوا ، أغيب
في حجرة من وطن !
أحرم ، قالوا ، من عناق الهموم
بيني وبين القمر
يرعبهم ، أعلم ، بث الضجر
بيني وبين النجوم
يرعبهم لمسي جذوع الشجر !
.

وفي مغيب الشمس ، قالوا أغيب
في حجرتي يا وطن
قالوا أكون الغريب
وأنت ملء البدن
فمن ترى يحمل عبر الزمن ،
في قلبه ، وجهك هذا الحبيب
ومن مغنتك .. من ؟
غيري أنا .. يا وطن !؟

البيت الأخير في القصيدة

صعدوا السلم ..
أسمع وقع الخطوات المشبوهه
أبصر تحت معاطفهم
عنوان المنزل ، والفوهه
صعدوا السلم ..
همسوا ،
ثانيهم يتقدم

يعقف سبأته ، ينقر بابي .

• • • • •

• • • • •

– ويلك يا هذا .. عكّرت الصمت

ويلك .. نفّرت الصوره ،

عن آخر بيت !

الخفافيش

الخفافيش على نافذتي ،
تمتصّ صوتي
الخفافيش على مدخل بيتي
والخفافيش وراء الصحف ،
في بعض الزوايا
تتقصى خطواتي
والتفاتي

والخفافيش على المقعد ،
في الشارع خلفي ..
وعلى واجهة الكتب وسيقان الصبايا ،
كيف دارت نظراتي !

.

الخفافيش على شرفة جاري
والخفافيش جهازاً ما ، خبيء في جدار
والخفافيش على وشك انتحار

.

انني أحفر درباً للنهار !

قصة الفيجن

يوم يمتُ المدينه
أجهشت مغلوبه أمي الحزينه
وبلا حول ولا ،
لمت ثيابي في الحقيه
وعلى صدري شكّت يدها
قصة فيجن ،
يدها - آه الحبيه !

* * *

نصف عمري مرّ ، جوّالا ، ولكن
من مدينه
لمدينه
لم أعد أذكر كم بدّلت فيها
من ثياب وحقائب
لم أعد أذكر في أرض العجائب
لم أعد .. لكنني أذكر ، أذكر
رغم أحزاني اللعينه
قصفة الفيجن .. يا أمي الحزينه
انها .. في رثتي ، ذكرى !
وفي عينيّ .. زينه !!

١٩٦٧/٨/١٨

طائر الرعد

هذا زمان الشدّ يا زيم
هذا زمان الشدّ والارخاء
هذا زمان السدّ والتأميم
والتصنيع والرخاء
والموت بالألوف في سيناء
هذا زمان الصبر في الألم
لا بأس يا زيم
لا بأس .. اني أنشق الرياح
وطائر الرعد .. على القمم !

الى القمة

أندحرج يا جبل الأحزان
أندحرج مطعوناً عريان
أندحرجُ ..
من أقسى السفح إلى القمة
وأنا .. أمّه !

القطار العائد من الصعيد

على نبضات قلبي . آه . كانت تنبض العجلات
على نبضات قلبي . آه
وقلبي كان يا أسوان : واحدة من الورشات
دواليباً وصيحات وجرافات
وقلبي كان ،
دفقة ترعة أخرى على الغيطان
وكان قطار بعد الظهر محموماً
ومهموماً

وكان يغص فلاحين من شيب ومن شبان

وكان يغص بالعيال والنسوان

وقلي كان ، آه ، يغص بالأحزان

ويا « قطر » الصعيد سمعتُ في حيفا

زغاريد البنات ونخوة الجدعان

وفي حيفا

رأيت جبينك المشجوج يا زهران

رأيتك عند حد الغيط جسراً يا صلاح حسين

وصدرك يحمل الشاره

وبستُ زهيرة البرقوق في صدرك

وفي حيفا

حلفتُ بغابة الحلفاء

والميثاق والانسان :

حرام أن تنام العين عن نارك

ويا « قطر » الصعيد ، سمعتُ موالا

ولن أنساه

ولن أنسى الفق الغنّاه

« يا مسافر القاهرة سلم على الغالي

وقل له عليت جباهنا بسدنا العالي

وقل له ازاي تسيب يا أبو البلد بلدك

وازاي تسبيني وأنا ما كملش موالى ؟ »

وعبر نوافذ الموال

ترأت يا قطار الكادحين حدائق الأجيال

ترأت دفقة الماوية العذراء في الكشبان

وآلاف المداخن ؛ والمراكب ، والمعاهد ،

والمراعي ، والعيون السود ، والأغصان

وعبر نوافذ الموال

ترأى عالم ،

لا خوف فيه على غد الأطفال !

الجمهور

عندما تهدر العاصفه
أيّ عين تراك
يا جبين الملاك
صاعداً في طريق الرؤى الراحفه ؟

تجاوز

عندما تهدر العاصفه
وأنا عبرها بـيرقُ
في يد المارد
أغلق الباب في وجه أوجاعك السالفه
أغلق الباب يا والدي
واغفري كل ما كان يا أم
واستبدلي الأمس بالعاطفه

تناسخ

وُلدتُ في اليونان
وهاجرتُ بي أسرتي ، من صولة الطغيان
ليلاً إلى الهند ،
وألقت رحلها عامين في السودان
وكان يا ما كان
أن ساقها الجوع إلى إيران
ويوم أن كبرتُ

زوّجني أبي ،
راعية شقراء من لبنان
وختها في الصين
وبعتها بحفنة من مال
للحاكم المندوب عن صاحبة الجلالة
في مصر والصومال
حاربتُ في البلقان
قتلتُ في كوبا
قتلتُ في المكسيك
نفتتُ مخفوراً إلى نيبال
شربتُ في الطريق من آبار كردستان
ويوم أن ولدت من جديد
حفرت في مناجم الأورال
.....
واليوم أشهر السلاح

في وجه الاستعمار والعدوان
في قمم الجبال
في البحر . في الوديان . في الأدغال

.

لذا ، فان بصقت

لفوق أو لتحت

أعلم أن بصقتي

تصيبني في لحيتي !

أبناء الهرب

في ليلة الزفاف
ساقوه للحرب ،
ومرّت .. خمسة عجاف
ويوم أن عاد على حمالة حمراء
لاقاه في الميناء
أبناءؤه الثلاثة !

كلمة الصعود

من ملكوت طحالبك السوداء
يا بئراً جفت من عشرين
أصعد بالماء
باسم الأسلاف المفجوعين
والأحفاد الموعودين ..
من ملكوت طحالبك السوداء
يا قوس النصر المهدوم

أصعد في عربات الأنواء
وفمي جرس ملفوم
هل تسمع يا ملكوت الأشجار المقلوعه
ما زالت في رأسي أصداء سنابك
تصطك ببابك
يا ملكوت الأبواب المخلوعه
والجدران المصدوعه
فامنحني حتى الموت القدره
واكشف لي أسرار شبابك
ومتى حلت في الفكره
زمتني . زمتني بطحالبك السوداء
وامنحني القدره ، حتى أصعد ..

لشمس أريحا

حين تميل الشمس
مكسورة الظهر
أقول : كنا أمس
في أول الدهر !
حين تميل الشمس
يا أم أولادي
أقول : كنا أمس

في أسفل الوادي
أمي على الدرب
محلولة الشعر
تقول : يا ربي
متى تميل الشمس
مكسورة الظهر ؟

فأليمة

أدور في الخرائب
الدم في عيني ،
والحيات في حقائي
أنصب لي مائدةً مفتخره
تحت سماء قنطره
وأكتب الدعوات بالعظام
والتوقيع بالعقارب

وفي بريد المجره
أدعو إلى وليمي
سكان ألف مقبره !

بعدها

وُلدتُ مثل حبة الرمان
ورحتُ أنمر في الجهات الست
ويوم أغدو توأماً للكرة الأرضيه
أضيءُ بالحقيقه
وأمسح الدموع عن عينيك يا صديقه
وبعدها ،
لا بأس ان وجدت مقتولاً
على مقاعد الحديقه ..

نعرف القصة

في المطارات وُلدنا .
نعرف القصة ،
لكن .. لن نموت
في الموانئ !

نخلة الساحة

آه ، غنيتُ ، وطالت ، آه يا أمي ، الأغاني
آه . نديت مواويلي ،
بدمع ودماء وعرق
آه .. كيف انهار صوتي واحترق
في ثوان ؟!
نخلة الساحة نادني مرارا
آه يا أمي ،

وقالت لي مرارا :
« أنا لا أعطي ثمارا
لانفعالات الأغاني ..
أنا لا أعطي - إذا ما هزّ جذعي ساعدان ! »
آه يا أمي ،
وواصلتُ الأغاني !!
طال - آه - طال يا أمي غنائي
كان مشحونا بنار الأنبياء
كان أحيانا ،
وأحيانا .. حزينا كالمساء !
كان - آه - كان يا أمي ، غنائي
بعضه ضحل كوجه الصيف ،
والبعض عميق كالشتاء !
فلماذا تغدر الريح انفعالات الأغاني
في ثوان

وتذريها .. فقاعات هواء !؟

نخلة الساحة

قالت لي .. مرارا ومرارا

علمتني نخلة الساحة

يا أمي الحبيبه ..

أن أهزّ الآن أعماق العروبه

ان أهزّ الجذع ،

إن شئتُ ثمارا !!

أعرف من أين

وجع المزمار البلدي
قولوا .. من أين ؟
ليلي يا ليلي يا عين
آه يا ولدي !
وجع المزمار البلدي
من حلوه
فارسها غاب ،

ومن يومين
عاد جواده
والدم يسح على الصهوه
فلمن ستزغرد مزهوه ..
وتصب القهوة ؟
يا بيتاً مال عماده
يا قمرأ ينشج في شرفه
ويضيء وجوه الأطفال ،
جثث الأطفال المرمية في أرض الغرفه
ويعيد الموالم
عن نسر فقأت عينيه
قبرة مسمومه !
أعرف من أين ،
وجع المزمار البلدي
يا قصرأ مهجورا

ترقص في ردهته البومه
يا شاعر شعب ، في شفتيه
مرثاة ملغومه
يا شبريات تقطع في رثتين
يا سرطاناً ينهش في كبد
أعرف من أين ،
وجع المزمار البلدي
أعرف .. أعرف !

أنا وأنت

زنبقتان في الثلوج ..
وجمرتان في الرماد ..
ونورسان يحملان بالخليج ،
أنا وأنت .. يا حبيبتى !

* * *

وبعد ساعة من الزمان
ستفرغ الشمس من الرقاد

وتهدر الثلوج
جارفة زنبقتين . للمروج !

* * *

وبعد ساعة من الزمان ،
ستفرغ الريح من الرقاد
وتجرف الرماد
والجمرتان .. تصبحان نجمتين ،
لا تسأليني : كيف ؟ - يا حبيبتى - وأين ؟
وبعد ساعة من الزمان ،
يموت في السفائن الضجيج
والنورسان .. يمضيان ، يمضيان ..
ويحلمان .. يحلمان بالخليج !!

برلين تستعيد شعرها

بالصمت يا برلين أعلن حبنا ،

أم بالبكاء !

وأنا أقبل كفك التعبى ،

وأركع في خشوع

لجلال تمثال ،

تكاد تسح من شطآن عينيه الدموع

تمثال أمّ ودعت أبناءها قبل الصباح

ومضوا ،
وما عادوا ..
وعاد الليل مكسور الجناح
بالصمت يا برلين أعلن حيننا
أم بالبكاء
وأنا أداعب شعر طفل
ضاحك في ظل ورده
وأرد في لغتي ،
أرد على المودة بالموده
للعابرين من الظلام إلى الضياء
والمّ أزهار الغناء
من مصنع
وصمود جندي
وعاملة
وساحه ..

بالصمت أعلن حبنا أم بالبكاء

ويدي تمرّ على جدارٍ

شاب من أهوال أمس

وثقوبه المعشوشبات

احداق من سقطوا ،

وليل الرايح يخنق كل شمس !

.

خلي لنا جسراً ،

تهدم ظهره تحت القنابل

ودعي التماثيل التي انكسرت

وأنقاض المنازل

برلين ! خليها على طلل الجريمة

لافتات

لتشير الأجيال : مرّوا هنا ،

من ليل هتلر

لصباح قلمان ..
من هنا مرّوا ،
على جسر مدمر

.

أني لألحهم .. هناك !
في بون ، ألحهم .. هناك !
ايتام هتلر

ينسجون الوهم
والثوب المقلّم .. والشباك
اني لأبصرهم يزيحون التراب
عن جثة الوحش الممزق
بالأظافر والحرايب

كي ينفخوا فيها الحياة
وأصيح : « مات الوحش مات ! »
وتشق قبر الموت أصوات بعيدة :

يا سور برلين الجديده
في الموت ، بايعناك ،
سكيناً على أعناق أعداء الحياة

.

ربتي الشيوعيون شرك ،
طيبوه ودلوه ،

ربتوه .. بالفرح المقدس

والمرارة ، والصمود

لا كي يجز غدائره

متحضرون برايره !

برلين !

لا لن ينسجوا من شرك المبعوث ،

أغطية الجنود

عين الشيوعيين ساهرة

وأمسك لن يعود !

برلين !
يا أختي التي عادت إليّ من الفناء
بعد اللقاء على الدموع ،
لنا على فرح لقاء !!

تعالى لنرسم معا قوس قزح

نازلاً كنتُ : على سلم أحزان الهزيمة
نازلاً .. يتصني موت بطيء
صارخاً في وجه أحزاني القديمه :
أحرقيني ! أحرقيني .. لأضيء !
لم أكن وحدي ،
ووحدي كنت ، في العتمة وحدي
راكعاً .. أبكي ، أصلي ، أتطهر

جبهتي قطعة شمع فوق زندي
وفمي .. ناي مكسر ..
كان صدري ردهة ،
كانت ملايين مئة
سجداً في ردهتي ..
كانت عيوناً مطفأه !
وأستوى المارق والقديس
في الجرح الجديد
وأستوى المارق والقديس
في العار الجديد
وأستوى المارق والقديس
يا أرض .. فميدي
واغفري لي ، نازلاً يمتصني الموت البطيء
واغفري لي صرختي للنار في ذل سجودي :
أحرقيني .. أحرقيني لأضيء
.

نازلاً كنت ،
وكان الحزن مرساتي الوحيد
يوم ناديت من الشط البعيد
يوم ضمدت جبيني بقصيده
عن مزاميري وأسواق العبيد
من تكونين ؟
أختا نسيتهما
ليلة الهجرة أمي ، في السرير
ثم باعوها لريح ، حملتها
عبر باب الليل .. للمنفى الكبير ؟
من تكونين ؟
أجيبيني .. أجيبني !
أي أخت ، بين آلاف السبايا
عرفت وجهي ، ونادت : يا حبيبي !
فتلقتها يدايا ؟

أغمضي عينيك من عار الهزيمة
أغمضي عينيك .. وابكي ، واحضنيني
ودعيني أشرب الدمع .. دعيني
يبدست حنجرتي ريح الهزيمة
و كأننا منذ عشرين التقينا
و كأننا ما افترقنا
و كأننا ما احترقنا
شباك الحب يديه بيدينا ..
وتحدثنا عن الغربية والسجن الكبير
عن أغانينا لفجر في الزمن
وانحسار الليل عن وجه الوطن
وتحدثنا عن الكوخ الصغير
بين أحراج الجبل ..
.
وستأتيني بطفله

ونسَميها « طلل »
وستأتيني بدوريّ وفلته
وبديوان غزل !

.

قلت لي - أذكر - .

من أي قرار

صوتك المشحون حزناً وغضب

قلتُ يا حبيّ ، من زحف التتار

وانكسارات العرب !

قلت لي : في أي أرض حجريه

بذرتك الريح من عشرين عام

قلتُ : في ظل دواليك السبيّه

وعلى أنقاض أبراج الحمام !

قلتُ : في صوتك نار وثنيتّه

قلتُ : حتى تلد الريح الغمام

جعلوا جرحي دواة ، ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيته
وأغني للسلام !

.

وبكىنا

مثل طفلين غريبين ، بكينا
الحمام الزاجل الناظر في الأقفاص ، يبكي ..
والحمام الزاجل العائد في الأقفاص

. . . يبكي

ارفعي عينيك !

أحزان الهزيمة

غيمة تنثرها هبة ريح

ارفعي عينيك ، فالأمُّ الرحيمه

لم تزل تنجب ، والأفق فسيح

ارفعي عينيك ،

من عشرين عام

وأنا أرمم عينيك ، على جدران سجني
وإذا حال الظلام
بين عينيّ وعينيك ،
على جدران سجني
يتراءى وجهك المعبود
في وهمي ؛
فأبكي .. وأغني
نحن يا غاليتي من واديين
كل واد يتبناه شبح
فتعالى .. لنحيل الشبحين
غيمة يشرها قوس قزح !
.
وسآتيك بطفله
ونسميها « طلل »
وسآتيك بدوريّ وفلته
وبديوان غزل !!

أعدكم بأن تراثوا جياداً نفائفة

« .. وقالوا ليقم إسماعيل وليذهب
إلى الشرق ، ويكون له بيت هناك
في الصحراء ، فليس هنا بيت
لاسماعيل .. » .

من قديم الزمان
أسرجوا الصافنات الجياد
وارتأوا أن يكون العنان

في مهب الرياح
وارتأوا أن يغرّوا الرماح
خلف خلف المكان
من قديم الزمان !
قيل : كانوا سُعاة ،
في بريد الإله
لم يكونوا غزاة ، ككل الغزاة ..
وأنا أيها السادة التافهون
طاهر ، طاهر من رياء القضاء
ومسوح السماء
فليقل من يشاء :
« انهم فاتحون
انهم غاصبون ! »
القواميس والكتب قالت لنا :
بنو جامعه !

والقواميس والكتب قالت لنا :
صنعوا رافعه !

والقواميس والكتب قالت لنا :
لم يذلوا جباه

فاغفروا لي إذن أيها السادة التافهون
واسمحوا لي إذن
أن أُعيد الحساب
وأُعيد الزمن

ناصعاً .. ناصعاً من قشور الغياب
« جسدي ينمو على كل الجهات
فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! «
السجلات ، كل السجلات
يا سادتي التافهين

زورت . زورت . زورت ..

من سنين !
وأنا أتهم
وأنا أنتقم
للجياذ الحزينه
من توارينكم
والصكوك الهجينه !
كان لي .. كان بيت على رابيه
كان من صخر هذي الجبال
كان من خشب السنديان
كان .. يا ناس .. كان
واقعا رائعا كالخيال !
فاتركوني إذن أستعيد الحساب
أؤثر الموت ، أو هدمُ هذا الجدار
عن وجوه فراخي الصغار
أؤثر الموت ، أو أغسل كل الغبار

عن يدي زوجتي الراعيه !
واتركوني أصلي قليلاً ،
لآباء لمي ..

لآباء وجهي وصوتي ..

لآباء كينونتي الباقيه

واتركوني أصلي قليلاً

لزيتونة واعيه

واتركوني أصلي قليلاً

على قدمي داليه

وعلى ما تبقى لجيل الخيام

من ركام القرى الباردة

وعلى ريشة صامده

بين انقاض برج الحمام !

« جسدي ينمو على كل الجهات

فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وأتي ؟ »

حين قيل : احذروا العاصفه

كنتُ مستسلماً للنعاس

حين قيل : انقضى كل شيء

لم أجد لي ملاذاً ،

سوى دمة .. دمة ناشفه !

وسروج الجياد الحزينه

في سلال النفايات ،

أو في حوانيت حي السياحه

من ضواحي المدينه !

حين قيل : انقضى كل شيء

كانت المئذنه

شارب الله ، تحت النعال الغريبه

ودفعتُ الضريبه !

فلممرات .. مرصودة كلها ..

والجسور التي درزت ضفة النهر
بالضفة الثانية

كلها - آه - مهدومة - كلها !

والمخاضات .. ملغومة كلها !

أنقذوني من المدن الخاويه !

والقرى الخاويه !

أنقذوني . انهضوا ،

أنقذوا متعباً من عناء السفر

أنقذوني من الصور القانيه

ضمدوا جبهي الداميه

وارفعوني إلى الشمس والريح

يا أخوتي .. أني أحتضر !

إنني .. أختنق

إنني .. أحترق

في حطام البراويز ،

في تُتف الخارطه
ودمي سائل .. سائل ..
لا تقولوا : انتحر !
أنها طعنة الظهر
في الليلة الخان فيها القمر !
مَنْ دليلي إلى قريتي النائيه ؟
مَنْ معيدي إلى بيت جدي القديم ؟
مَنْ معيدي إلى صدر أمي الرحيم ؟
صدر والدتي الغاليه !
من معيدي إليها
أغمر الوجه في راحتها
أمسح الدمع عن مقلتها
من معيدي إليها
آه .. والدتي الغاليه !
لم يزل وجهها .. لم يزل

شاحباً . شاحباً . خلف شباكها

لم تزل واقفه

شمعة راجفه

في أنتظار ابنها الغائب

عله يكسر الزرقة القاسيه

من مطل على الرابيه !

فيرد لها لحظةً .. لحظة صافيه

من ردى عمرها الذاهب !

من معيدي الى زوجتي الراعيه ؟

كي أعيد إليها القطيع الذي مزقته القنابل

يوم كان الجنود البواسل

قد أتموا اكتساح المعازل

يوم أن .. لم يعد من يقاتل !!

« جسدي ينمو على كل الجهات

فاشهدوني ..

ها أنا أنفض أكفاني ، وآتي ! «

أغسلوا الدمع عن وجهكم والغبار

يا فراخي الصغار

افتحوا نبعة السر ،

حلوا جميع الشباك

واستحموا هناك !

اصلحوا الباب والسلم ،

استرجعوا العنزة الشارده

هيثوا النورج ،

السكة ،

الموقد ،

المائدة !

أرشقوا الدار - ما ظلّ منها -

ارفعوا السروة الهاويه

رهموا الحوش والبئر

واسقوا مشاتلنا الداويه

انني عائد ،

اكسرُ الزرقة القاسيه

من مطل على الرابيه !

انني عائد ،

والجياذ التي هزمتها السجلاّت والقاذفات

عائده ،

انني عائد .. والجياذ ،

عائده ،

من مطاوي الخيانات والدعوة الفاسده

وأنا واعد يا فراخي الصغار

وأعد ، أن تكون الجياذ التي تسرجون

مثلما تشتهون ..

حرّة الأصل والفصل ،

نفّاثه .. صامده ..

وأنا واعد أن تكون

خالده ..

خالده ..

خالده !!

وقع خطم في دهليز الموت

- ١ -

وقع خطيَّ في دهليز الموت

لفظ وصراخ

- ويلك .. آآخ !

- أهرب .. من هذا الباب

- أدخل . أسرع في هذا السرداب

ركض وشجاراً في أقبية الموت

قتلى : سبعون
أسرى : تسعون
أكثر من تسعين جريح
الصمت الصمت
يا عربات الريح
- قف ! من أذت ؟
وأردّ أخوك سميح
ويدويّ الصوت
يظل يدويّ الصوت
يظل الصوت
وقع خطي في دهليز الموت

- ٢ -

غاص في الليل ..
وجهه طاقة الشمس للخلاص

وعلى حين غرّه
شقق الليل ،
عندما غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأمه
غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأخوته
غاص في صدره الرصاص
لا تقولوا لأمه
لا تقولوا لأخوته
واتركوني لهمه
واتركوني لجثته
جثة أنت أم جبل
ذل في صدره الرصاص
آه يا راية الخلاص
أنت جسري إلى الأمل

ضمت الريح وجهه
وهو ملقى على التراب
نازفاً .. نازفاً ..
وفي ساقه مخلب وناب
قالت الريح : من تكون
أيها الأسمر الجميل
ردّ في وجهه السكون :
أنا تاربخك القليل .

في هـ حزيران

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي
أرجعنا للموت حقايبه الدبلوماسيه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
جرّدتنا الريح الغربيه
من كل الأوسمة المطليه

بدماء الأطفال وعار الأنقاض

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
طار جميع القتلى للأمم المتحدة
واشتركوا بالجلسة غير العاديه

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
أبصرنا كل وجوه الكرة الأرضيه

في الخامس ،

من شهر حزيران الماضي ،
ظلت آبار النفط العربيه
ظلت تتدفق عبر الأرض العربيه
لبلاد الريح الغربيه

في الخامس ،
من شهر حزيران الماضي ،
لا أبكي !
لا أضحك !

دوين جوان وكاهنة النار

سيفي . قفّازي . قُبّعتي .

وقناعي الأسود .

والساعة . والمعطف .

في الفجر أودّعُها

وأوزّعُها

بين صغار الفرسان الآتين على درب الأشواق

ورثاء الدمّ الصاحب

رواد صغار العشاق

وأوزع كلّ خليلاتي

إلا كاهنة النار !

معها سأظلُّ إلى الدهر الآتي

ومعي ستظلُّ .. إلى يوم استشهادي

.. فوق الأسوار !

جوعي قاتل

ودمي .. خمرٌ وسنابل

فتعالى يا حبي الأعلى

والأعلى

يا كاهنة الدار

نبحث عن موت لائق

في ميدانٍ لائق

نبحث عن طعنة حب لائقة

بالمحبوبة والعاشق
نبعث عن ميتةٍ حُبِّ
في معركة كبرى .. فوق الأسوار !

مساءً واحمد فقط

تستطيعون هذا المساء
أن تكونوا الذي لا أكون
وتشاءوا الذي لا أشاء
تستطيعون أن تضحكوا
من وقوفي على رابيه
عاريا .. عاريا ..
واحتقان البكاء
في سرايين وجهي المضاء

بالرؤى الداميه
تستطيعون يا سادتي
مخلي بعته في المزاد
بعته .. من قرون
واشريت الرقاد
في ظلال النخيل الحزين
تستطيعون يا سادتي ،
بصماتي غدت كلها اليوم معروفة
في محطات بوليسكم كلها
وكلاب الأثر
أتقنتُ كلها
مهنة الركض خلفي ،
وفن اكتشافي ، طريحا
على زهرةٍ أو حجر
نازفاً .. نازفاً .. أحتضر
تستطيعون هذا المساء

أن تحزّوا رقاب الشجر
لتنالوا أقاصي الثمر
تستطيعون يا سادتي
ان تحيلوا القمر
مخبراً تافهاً ،

والجبل ..
خائناً أو بطل !
لمساء فقط ..

تستطيعون يا سادتي
أن تكونوا الذي لا أكون
وتشاءوا الذي لا أشاء
فأنا ، زهرة ، سنبله
مرّةً ،

وأنا مرّةً .. قبله
وعروقي أنابيب نפט وماء
وجدير أنا بالبقاء ..

المهموم التي أثقلت كاهلي في الطفولة
مسختني حجر
وأقتحامي وعور الرؤى المستحيله
شدني .. شدني كالوتر
فاسمعوا صرختي في الرياح
واشهدوا عودتي في المطر !!

في انتظار طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس
ويكون أن يأتي
بعد انتحار القحط في صوتي
شيء .. روائعه بلا حد
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !
لا بدءاً أن يأتي
فلقد بلغناهما ،
بلغنا قمة الموت !!

دمي على كفي

دعمی علم کفیی

★ قد أتت الساعة ليتمجد ابن الإنسان .

★ الحقّ الحقّ أقول لكم إن لم تقع حبة الخنطة في الأرض ،
وتمت ، فهي تبقى وحدها . ولكن إن ماتت فهي تأتي
بثمر كثير .

★ هذه وصيتي أن تحبّوا بعضكم بعضاً كما أحببتكم . ليس
لأحدٍ حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل
أحبائه .

★ إن كانوا قد اضطهدوني فسيضطهدونكم . وإن كانوا
حفظوا كلامي فسيحفظون كلامكم .

السيد المسيح

خطاب في سوق البطالة

ربما أفقد - ما شئت - معاشي
ربما أعرض للبيع ثيابي وفراشي
ربما أعمل حجاراً .. وعتالاً .. وكناسَ شوارع ..
ربما أبحث ، في روثِ المواشي ، عن حبوب
ربما أأخذ .. عرياناً .. وجائع ..
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !! ..

* * *

ربما تسلبني آخرَ شبرٍ من ترابي
ربما تُطعمُ للسجنِ شبابي
ربما تسطو على ميراثِ جدي ..
من أثاثٍ .. وأوانٍ .. وخواصٍ ..
ربما تُحرقُ أشعاري وكُتبي
ربما تُطعم لحمي للكلابِ
ربما تبقى على قرينتنا كابوسَ رعبِ
يا عدو الشمس .. لكن .. لن أساوم ..
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم !! ..

* * *

ربما تُطفئ في ليليَّ شعله
ربما أُحرم من أمِّي قبله
ربما يَستمُ شعبي وأبي ، طفلٌ ، وطفله
ربما تغنم من ناطور أحزاني غفله
ربما زَيِّفَ تاريخي جبانٌ ، وخرافي مؤلِّه
ربما تحرمُ أطفالي يومَ العيد بدله

ربما تخدع أصحابي بوجهٍ مستعار
ربما ترفع من حولي جداراً وجداراً وجدار
ربما تصلب أيامي على رؤيا مذهلة !
يا عدو الشمس ، لكن ، لن أساوم
وإلى آخر نبض في عروقي .. سأقاوم
يا عدو الشمس ..
في الميناءِ زيناتٌ ، وتلويحٌ بشائر ..
وزغاريد ، وبهجه
وهتافاتٌ ، وضجه
والأناشيدُ الحماسيةُ وهجٌ في الحناجر
وعلى الأفقِ شرع ..
يتحدى الريح .. واللُّججُ .. ويجتاز المخاطر ..
إنها عودةٌ يُوليسيز
من بحر الضياع ..
عودةُ الشمس ، وإنساني المهاجر

ولعينها ، وعينه .. يمينا .. لن أساوم ..

والى آخر نبضٍ في عروقي ..

سأقاوم ..

سأقاوم ..

سأقاوم !! ..

اشربوا

بعضُ الأغاني صرخةٌ لا تُطربُ
فإذا استفزّتكم أغانيٌ اغضبوا
يا منشئين على خرائب منزلي
تحت الخرائب نقمةٌ تتقلبُ
إن كان جذعي للفؤوس ضحيةً
جذري إله في الثرى يتأهبُ

* * *

هذا أنا ! عريانُ إلاَّ من غدٍ
أرتاح في أفيائه أو أصلبُ
ولأجل عينيه وأعينِ إخوتي
أمشي.. وأُعطي الدرب ما يتطلب
هذا أنا .. أسرجت كل متاعي
ودمي على كفي يغني.. فاشربوا !

قميصنا البالي

ستطول غيبته ،
وبردُ الغرب ، يُحكى ، لا يطاق
يا أمّه فتفقّدي كل الحقائق
ودعيه رهن ذراع صاحب
هاتي له الشال الذي حيّكته
بين انتظار صغيرك الغالي وهممةِ الوجاق
ستطول غيبته ، وبرد الغرب ، يُحكى ، لا يطاق

يا أمّهُ أُرِفَ الرّحيل
إياك أن تَنسِي جراب الصوف .. في حَمَى العناق
وتجلّدي ، فصغيرك الغالي يعذبه العويل
مذ مات والده .. يعذبه العويل
بوابة الميناء مُشرّعة
ومُشرّعة مُناديلُ الرفاق
يا أمّهُ لوذي ببعض البيت .. وابكي باحتراق
لن تبغني الميناء
فالمرتمم لا يأسى لأحزان الفراق
والصحب والجيران والأحباب كثر .. فاتركه
يا أمّهُ .. وقبيل خطوته الأخيره
في هذه الأرض الضريه
ستشمه رثتا أخيه
وتشمه ما شئت ..
عنك .. تشمه رثتا أخيه

* * *

مذ قال : إني راحلٌ !
ما ذقتِ من حزنِ طعامِ
وبكيتِ طولَ الليلِ .. في صمتِ
محدقةً بتابوتِ الظلامِ
وتغضنَ الوجهُ الجليلُ
كبرتِ في الساعاتِ أعواماً ،
هرمتِ

انهار قلبك في الرغامِ
وتيبستِ شفتاكِ !

يا ربي .. لمن ربيتهُ عشرينَ عامٍ ؟
أسمعتِ يا ربي .. لمن ربيتهُ عشرينَ عامٍ ؟
لم تفهمي ضرباته .. تهوي فيرتجُ الجدارُ
لم تفهمي صرخاته ..
أمأهُ إن بقاءنا في هذه الأرضِ انتحارُ !
السوسُ في كُتبي .. وفي قلبي يُغَيِّمُ الاحتضارُ

أُمِّي ! طَحَنَتُ الْمَاءَ فِي الْمَقْهَى
وَمَسَحَتُ كُلَّ مَوَائِدِ الْمَلْهَى
وَطَرِدْتُ مِنْ بَابٍ إِلَى بَابٍ
وَتَهَرَّاتُ نَعْلِي وَأَثْوَابِي
وَشْتِمَتُ فِي صَلْفٍ
وَطُعِنْتُ فِي شَرَفِي
وَحُمِلْتُ مَخْمُورًا عَلَى أَكْتافِ أَصْحَابِي
وَبَكَيْتُ فِي ذُلِّ وَعَارٍ
وَمَكَاتِبُ الْعَمَلِ انْتِظَارٍ
وانتظار .. وانتظار .. وانتظار ..
ومدخن السيجار يلفظني بنظرة الاحتقار
أُمَاهُ :
إِنِّي رَاحِلٌ
رَأْسِي يُصَدِّعُهَا الدَّوَارُ
أَنَا رَاحِلٌ

والسلُّ والطوفانُ بعدي والحريق
أنا لن أطيق

* * *

حمل المهاجر ما يريد

ومضى ..

فسبحان الذي يُعطي البنين ويستعيد

وبكيتٍ طولَ الليلِ في صمتٍ

مُحدقةً بتابوتِ الظلام

لم تفهمي .. وصغيرك الغالي

لم يدر أن قميصه البالي

ما دام يخفق في رياح الحزن والشده

ستظل تخفق راية العوده

فخذني أخاه وافهميه

أنَّ المذلةَ أنْ يبيع ثرى أبيه

وافهميه

أن اختلاج الروح في البذره

أقوى من الصخره

وجذورنا في رَحْمِ هذي الأرض ممتدّه

وقميصنا البالي

ما دام يخفق في رياح الحزن والشده

ستظل تخفق راية العوده

ستظل تخفق راية العوده !! ..

ليد ظلت تقاوم

بركة دكناؤ في قلبي
وفي وجهي سحابه
ونجميع ساخن
يصرخ في وحشة غابه
وعلى قارعة الدرب وعاءات نحاس
أيقظت بضع رصاصات
وأقت في جفون الإخوة القتلى النعاس

وعلى روث المواشي
بُقَعَّ حمر
وفي الدوّار تعديدُ ما تم :
كفر قاسم
كفر قاسم
وزهراتٌ من البرقوق في صدر امرأه
وعيون مطفأه
وعويل غارق في رهبة المأساة عائم !
وأنا ريشة نسر
في مهبّ الحزن والغیظِ
إله لا يساوم !

* * *

يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
ما بَكَيتُ !
قلت : فوجٌ آخرٌ يمضي

ومن بيتٍ لبيتٍ
رحت أروي نبأ الغلة في العام الجديد
ومن المذيع ، أنباء عن العام المجيد :
« مصر بركانٌ .. وكل الشعب يحمي بور سعيد
« أيها الإخوة .. والنصر أكيد
يوم قالوا : سقطوا قتلى وجرحى
صحتُ والأدمع في عينيَّ : مرحى
ألفَ مرحى !!
يوم قالوا .. ما بكيت
ومضت بضعة أيام على عيد الضحايا
وأتيتُ
وتلقاني بنوكِ البسطاء
وتلونا الفاتحة
وعلى أعين أطفالك
يا ام العيون الجارحة

يبس النهر وماتت في أغانيَّ الحائم
وأنا يا كفر قاسم
أنا لا أنشد للموت .. ولكن
ليد ظلت تقاوم !

* * *

سيدي ! .. يا واهب النار لقلب وجديله
سيدي ! .. يا ساكب الزيت
على موقد أحزاني الطويله
سيدي ! .. دعني أهنتك على يوم البطوله
عش لعدل لا يضاهاى
أيها القيصرِ عش
ثمن الحسين .. قرش
أنت يا مولاي رحمنٌ رحيم
والذي يغضب من عدلك يا مولاي
شيطان رجيم

والذي يحزن مخدوع .. ومن
ينزف الأدمع ، مَوْتورٌ لثيم
سيدي يا قيصر العصر الجليل
كل ما قلناه يا هذا قليل
والذي في القلب .. في القلب
ومن جيل لجيل
والى أن يبعث النهر
وتشدو في أغانيَّ الحمائم
أملأُ الدنيا هتافاً لا يساوم :
كفر قاسم .. كفر قاسم .. كفر قاسم !! ..
دمك المهدودُ ما زال ..
وما زلنا نقاوم !

إليك هناك حيث تموت

رسالتك التي اجتازت إليَّ الليلَ والأسلاكَ
رسالتك التي حطَّت على بابي .. جناحَ ملاك
لماذا؟ حين فضَّتها يداي ..

تنفَّضتْ أشواك

على وجهي وفي قلبي؟

رسالتك التي انتشلتك من مستنقعِ الغربه

وردت لي طفولتنا

من القيعانِ .. قيعانِ الأسي الصلبيه
وردت لي براءتنا
وردت لي أناشيدَ الصباحِ وغرفةَ الدرسِ
وشيطنةَ المساءِ .. وساحةَ القريةِ
وصوتَ أبيكَ يزجرنا : كفى لليوم يا أولاد !
وأُمَّك في تساؤلها : وكيف سميح ؟
فترشفُ أُميَ القهوه
وتهتفُ جدَّ مزهوه :
باذن الله .. ممتازٌ ! .. وكيف فؤاد ؟
- كصاحبه ! إلهي يحرسُ الإثنينُ
من الإهمالِ والحسَّادِ
ومن صائبةٍ بالعين !

* * *

رسالتك التي رفَّت على جرحي
كعصفور تفلتت من سجونِ الحزنِ والحرمانِ

ورافقَ نجمةَ الصبحِ
لماذا حينَ فضَّتها يدايَ .. تَنفَّضتُ أشواكُ
على وجهي .. وفي قلبي ؟

* * *

« أخي الغالي »
كتبتَ إليَّ مزهُوًّا .. « أخي الغالي » !
تحياتي وأشواقي
تطيرُ إليك من بيروتُ
إليك هناك .. حيثُ تموتُ
فدى الباقي من التافهٍ من ميراثك الباقي
تحياتي وأشواقي
أنا أصبحتُ إنساناً جديداً .. غيرَ ما تعهدتُ
ختمتُ دراستي العليا .. ونلتُ شهادةَ المعهدِ
وأصبحَ مكتبي أكبرُ
وصار اسمي هنا أشهرُ

وإي صاحبة شقراء .. جدتها فرنسيه
وأخرى جدتها قواد الفتوحات الصليبيه
ومثل بقية الأسياد
تربض في فناء الدار .. فارهة خصوصيه
أخي الغالي !

لماذا أنت لا تأتي إلى بيروت
وتترك جرحك الممقوت
وتهجر وجهك المغموس في الوحل
وتنسى عيشة الذل
فحقلك لم يكن أرحب من حقلي
وبيتك لم يكن أجمل من بيتي
لماذا أنت لا تأتي ؟!

أخي الغالي !
تحياتي وأشواقي
إليك هناك في المستنقع الباقي !

* * *

رسالتك التي أجازت إليَّ الليل والأسلاك
رسالتك التي حطت على بابي .. جناح ملاك
أتعلم ؟

حين فضتها يداي تنفّضت أشواك
على وجهي .. وفي قلبي !
أخي الغالي !

إليك هناك في بيروت
إليك هناك .. حيث تموت

كزنبقة بلا جذر
كنهر ضيّع المنبع
كأغنية بلا مطلع
كعاصفة بلا عمر

إليك هناك حيث تموت كالشمس الخريفية
بأكفان حريره

إليك هناك .. يا جرحي ويا عاري

ويا ساكبَ ماء الوجه في ناري
إليكَ إليكَ من قلبي المقاومِ جائعاً عاري
تحياتي وأشواقِي
ولعنة بيتك الباقي !!

الجواد الجامع

ركبتُ جوادكَ الجامعُ
ويَمَّتُ القفارَ الجردُ ، في إثرِ المدى السائحُ
وحيداً في زحام الأرضِ
إلا من أخي الحرفِ
وجزتُ البيدَ
محروماً من الجرأةِ .. محروماً من الخوفِ
فكيف أعودُ ؟ كيف أعودُ ؟ يا معبودي الجارحُ

وأنتَ حرارةُ المهازِ والسوطِ
وأنتَ وشاحيَ الملتفِ من كتفي إلى ابطني
وأنتَ الزادُ .. كلُّ الزادِ
وأنتِ .. وصيةُ الميعادِ

* * *

— « هنا باريس »
— « هنا بيروت » ..
— « هنا موسكو »

* * *

وألكزُ ، جامحَ الأحزان ، صدرَ جوادِكِ الجامحِ
وفي سَغبي وفي ظمأِي
أغذُّ السيرَ ... يا معبودي الجارحِ !

* * *

يميناً أيُّها المولى
يميناً أيُّها الجاعلُ من أشواكنا 'فلا'

يمينا لن نبيع الجرح
مها ساومت مديه
ولن تبقى شقيقتنا
طوال الدهر... مسيه !

* * *

- « هنا عمان » ..
- « هنا روما » ..
- « هنا بغداد » ..

* * *

.. فكيف نفر؟ كيف نفر من منبتنا الأرضي؟
وكيف نبيع للنسيان أجيالاً من البغض؟
وكيف؟ وكيف؟ لن نهدأ
وملء عيوننا المرفأ
ونار جبيننا المشجوج لن تطفأ
بغير ضمادك الرحمن .. يا ايقاع أحرفنا
ويا رؤيا تلهفنا

ويا تاريخنا المنهوب
يا قاتلنا المحبوب
يا موطننا الجارح
فحتى الموت .. حتى الموت
يبقى فارسُ الأحرانِ
عبد جوادِكَ الجامحِ !

على قلعة الإمبراطور

ربما ترفض بعض الصحف من شعري قصيده !
ربما يشجب نقادي استعاراتٍ جديده
ربما يطرح قرائي الجريده !

– ما الذي يُخفيه في هذي الرموز
« فارسٌ يفترع الشمس تقاويه عجوز
وإلهٌ وثنيٌ .. وبغايا طاهرات ..
ما الذي تخفيه هذي الكلمات !؟

* * *

ربما تكسد في الأسواق كُتني !
ربما ينقلب الأنصارُ أعداءً . وقد يَنْفُضُ مني الكفَّ صحبي
ربما أبقى وحيداً ..

أنا والحزن ودربي !
ربما .. لكنني أقسم بالحرف الملبّي
بكيانٍ من صنيعي .. صار ربي .. صار ربي
أن أسوق النارَ من كل طريقٍ
واذريك رماداً عن حريقي !

* * *

أيها الرب الترابيُّ الذي يخشى عبده ..
نقمتي عنك بعیده !
فتنعم أيها الربُّ الترابيُّ .. تنعم !
تحت نعليك مفاتيحُ لأسواقٍ نخاسه
تحت نعليك حماقاتُ سياسه !

و - دع الاسماء ! - مطروحٌ على الأرضِ

فقد مات مُسَمِّمٌ !

أيها الرب .. فكُنْ ما شئتَ .. واحكم وتحكّم !

كَلِمَةُ الإِيمَانِ فِي رُومَا جَرِيمِهِ !

آه يَا مِصْرَ أُوزَيْرِيسِ .. فِي مِصْرِ الْقَدِيمَةِ !!

* * *

أيهذا الأمبرطور الإلهيُّ .. أسمعُ ؟

صوتَ حُبْلَى تَتَوَجَّعُ !

صوتَ قَمَقَمٍ

يَتَحَطَّمُ ! ..

صوتَ رُؤْيَا وَإِرَادِهِ ..

أيها الوحش الخرافيُّ المَقْنَعُ

ان فِي الشَّمْسِ مَخَاضاً .. فَتَطْلَعُ

نَقْمَتِي لَيْسَتْ بَعِيدَهُ

رَغْمَ بَعْضِ الصَّحْفِ .. وَالنَّقَادِ .. وَالقُرَاءِ مَا عَادَتْ بَعِيدَهُ

أيها المأمون .. فاسمع !
صوتَ رؤيا و اراده
وزغاريد ولاده ..
فالحمام الزاجل المنفيُّ .. لا ينسى بلاده !!

أعلنها

ما دامت لي من أرضي اشبارُ !

ما دامت لي زيتونه ..

ليمونه .. !

بئر .. وشجيرة صُبَّار ..

ما دامت لي ذكرى

مكتبة صغرى

صورة جدِّ مرحوم .. وجدار

ما دامت في بلدي كلمات عربية ..

وأغانٍ شعبية !

ما دامت مخطوطة اشعار

وحكايا عنتره العبسي ..

وحروب الدعوة في أرض الرومان وفي أرض الفرس

ما دامت لي عيناى

ما دامت لي شفتاي

ويداي !

ما دامت لي .. نفسي !

أعلنها في وجه الأعداء ! ..

أعلنها .. حرباً شعواء

باسم الأحرار الشرفاء

عملاً... طلاباً .. شعراء ..

أعلنها .. وليشبع من خبز العار

الجوف الجبناء .. وأعداء الشمس

ما زالت لي .. نفسي ..

وستبقى لي .. نفسي !

وستبقى كلماتي .. خبزاً وسلاحاً .. في أيدي الثوار !!

طفر قريش

وداعاً يا ذوي القربى !
وداعاً .. والجراح النُّجْلُ
في قلبي مضاضتها
طوال العمر .. في قلبي مضاضتها
ونفسي - والرواسي الشمُّ عزَّتْها -
تخفُّ بنكبة النكبات
من قطرٍ إلى قطرٍ

تراودُ في مغاليتك الدجى

لمحاً من الفجرِ !

ونفسي .. يا ذوي القربى

ينازعها - وان شيدتُ 'ملكَ الله في الغربه -

ينازعها حنينُ السفر للأوبه

ونفسي - رغم دهر البين

رغم الريح والمنفى

ورغم مرارة التشريد ،

تدرك .. تدرك الدربا !! ..

الأرض من بعدي

وغداةُ ينقش عمريَ الأخضر
في الشاهد المرمر
قلبي يقول - فَعَفُوَ كَمْ - في الشاهد المرمر
أيفوز بعدي فارسٌ أقوى
فيصيرُ مَنْ تهوى
وأصيرُ ذكري .. ثم ، لا أذكرُ ؟

* * *

أرضي التي .. بعظام أجدادي
قلبتُها .. وجبَلتُ أولادي
أرضي التي دلت تربتها
ورعيت طول العمر حنطتها
أرضي التي ..
أصيرُ مَنْ تهوى ؟
وأصيرُ ذكري .. ثم لا أذكر !!

* * *

يا بيتنا الباقي
يا بيتنا المعبد
يا مَنْ على عتباته أسجدُ
وأشم طيبَ حذاء مَنْ شَيّد !
يا باب بيتي .. مشرعاً لتؤمك الدنيا
يا غرفتي العليا
يا مهد أولِ كلمةٍ أنشد
أنتم شهودي في محبتها

انتم .. غداة تغوص كفاهِ بِفَعْلَتِهَا
أنتم .. فيا مينائيَ الأوحد
أيصيرَ مَنْ تهوى
وأصيرَ ذكري .. ثم لا أذكرُ ؟!

* * *

مَنْ رَكَّزَ الصخراتِ في السفحِ ؟
مَنْ رافقَ النجمه ؟
مَنْ علّمَ النسمة
لمساتِها السمحاتِ للدوحِ
مَنْ .. غيرُ جدي الطيبِ السمعِ ؟

* * *

مَنْ عوّدَ السهله
ان تُكثِرَ الغله
مَنْ غيرُ عمي الكهلِ ، والوالد
مَنْ جايلَ النصباتِ في الخله
مَنْ عاينَ الأعشاشِ في زيتوننا الخالد ؟

مَن حَزَّ أَسْمَاءَ الْأَقَارِبِ ... وَاحِداً .. وَاحِدًا
فِي كُلِّ جَذَعٍ مِنْ جَذُوعِ كَرُومِنَا مَارِدٍ
مِنْ غَيْرِ هَذَا الْعَاشِقِ الْعَابِدِ ؟

* * *

وَيَصِيرُ مَن تَهْوَى ؟
وَأَصِيرُ ذَكَرِي .. ثُمَّ لَا أُذَكِّرُ !؟

* * *

يَا أَجْمَلَ النَّبْضَاتِ فِي قَلْبِي
يَا مَنْ نَعَمْتُ لَدَيْكَ بِالْحُبِّ !
أَتَرَايَ أَشْقَى فَيْكَ بِالْبَغْضِ ؟
رَدِي عَلَى ابْنِكَ ..
إِبْنِكَ الْمَفْجُوعِ .. يَا أَرْضِي !؟

لو يَصْدُقُ الكلام !
وتحمل الريح .. ولو سلام
من نائر في الشرق
لثائرين يشتلون النور في الظلام
لثائرين إخوة .. لا فرق
في النيل .. في الكونغو .. وفي فيتنام !

* * *

لو تصدق الأحلام !
وفجأة .. يكون لي جناح
وأمتطي مَرَكَبَةَ الرياح
وفجأة .. أخطئ في الكمين قبل معركة
أقفز من جذع .. إلى جذع .. إلى خندق
يشدني تحفُّزٌ للمحَّةِ .. لحركة
في قبضة قبلة .. وقبضة للمدفع الرشاش
وإصبعي . تشنُّجٌ وهفَّةٌ لضغطةٍ على الزناد
لموسم .. من بعده مواسم الحصاد .
من بعده .. شقشقة الفراخ في العِشاش !

* * *

لو تصدق الصلاة !
يا اخوتي الأحياء ، في افريقيا في آسيا
يا اخوتي الأموات في معركة الحياة
لو يصدق الرجاء
وعند طلة الضياء

نسمع عن خلاصكم من لعنة الدماء
لكنكم .. يا أصدقائي ، تكتبون
يا إخوتي ! بالدم تكتبون
تاريخكم ونشرة الأنباء !

* * *

لو تصدق الـ...

عَفْوَك يا ألوية

تنسجها مغازل الفداء

عفوك يا الأمُّ التي صارت بلا زوج ، بلا أبناء

عفوك يا جحافلاً أشلاء

ما خَلَدَتْ نُصَبٌ لها ذكرى ، ولا أسماء

عفوك يا أكواخ صيَّادين

أبوابها في قبضة الريح .. وفي مطلقها

ما فتئت ترقب النساء !

على الزنودِ صبيَّةٌ عُرَاة

طعامهم !! ..

– الويل للغزاة ! –

* * *

يا خطوة لا تعرف الرجوع

يا ثورة لا تعرف الخنوع !

سيصدق الكلام !

ستصدق الأحلام !

ستصدق الصلاة !!

دفقة الأجيال

تراشَقْنَا بهُجْرِ اللفظِ أعواماً على أعوام
نهرنا السائلَ المحروم
قهرنا أتعس الأيتام
ودسنا زهرةَ الأزهارِ .. دسناها
وفتناها
مدمّاةً .. معرّاةً .. على الطرقاتِ
فيا قمرأ من الفوسفورِ
أغفى تحته الأموات

تمرّغٌ في تراب الحزن
واشرب نخب من يحيونَ أطلالاً بدون حياة
ويا أجداد جيل الجرح
تربعم قرونأ في عروش الذلّ والحرمآن
وأنستم مسابحكم رماحَ الفتح
وخيلَ الفرس والرومان
فلا تبكوا على ما كان
وهاتوا دفة السفنِ التي تندبها الشطان
قراصنةُ البحار الكثرُ لا تغفي لهم عينٌ
ولا يقوى على الانواء .. غير شجاعة الرّبان !
فهااتوا دفة الأجيال .. هاتوا دفة الأجيال
ولا تبكوا إذا سلنا دماً
في يابس الوديان !
فإنّ زناًبقاً حمراء
نخبأةً لنا في الرمل .. لا تنمو بدون دماء !

وإن القمح والزيتون والرمان
تظل رؤى بلا جدوى
إذا لم يُخصب الشهداء

* * *

وهجر اللفظ أعواماً على أعوام
ونهر السائل المحروم
وقهر الأخوة الأيتام
خناجرٌ ..
في أكفّ الليل والأحزان والأعداء !

من المدينة

هذه نبرتي .. وهذي ذراعي
وثيابي .. وأحرفي .. ومتاعي
هذه خطوتي كما حفظتها
دربُ بيتي ورددها المراعي
وأغانيّ لم تزل مثما كانت
تدوّي في كرمنا الملتاع

* * *

لا زحامُ المدينة امتص شكلي
وشعوري .. ولا ليالي الضياع

زئبقٌ وجهي الحزين وقلبي
زئبقٌ في دوامة الأوجاع

تتلقاني المقاهي غريباً
وغريباً أنسلُّ خلف صداعي

وغريب عني فراشي .. غريبٌ
وغريب عني صدى المذيع

وطعامي وقهوتي ودروبي
أيُّ ليلٍ .. وأيُّ جُبِّ أفاع

* * *

عشاً تحفر الرياح جيني
عشاً ينهش اللهب نخاعي

هذه نبرتي وهذي ذراعي
وثيابي .. وأحرفي .. ومتاعي
أنا باق .. باق أنا حيث أمضي
لم أٌبدل ملاحِي بقنّاع !

واحدًا تِلَوَّ واحد ..
يسقط الميِّتون تباعاً
فاحرسي يا بلادي الشراعا
عائدٌ فارس الريح عائد !

* * *

قطرةً تِلَوَّ قطره ..
يمطر الدمع فوق الصحاري

فابشري باخضرار
يا سهوب الرؤى المكفهرة

* * *

كان أمساً مقيتاً
داسنا باحتقار وولى
وغداً لن نبينا
مِرْقاً تذرِع الأرض وهناً وذلاً
قسماً .. جذرنا لن يموتا !
قسماً .. دمنا لن يُطلاَّ !!

هكذا

مثما تُغرس في الصحراء نخله
مثما تطبع أُمي في جيني الجهمِ قبله
مثما يُلقي أبي عنه العباءه
وُيهجِّي لأخي درسَ القراءه
مثما تطرح عنها خُوذَ الحربِ كتيبه
مثما تنهض ساق القمح في الأرض الجديبه
مثما تبسم للعاشق نجمه
مثما تمسحُ وجهَ العاملِ المجددِ نسمة

مثلاً يشمخ بين الغيم مصنع
مثلاً يُنشد بعض الصحب مطلع
مثلاً يبسم في ودِّ غريبٍ لغريب
مثلاً يرجع عصفور إلى العش الحبيب
مثلاً يحمل تلميذٌ حقيبته
مثلاً تعرف صحراء خصوبه
هكذا تنبض في قلبي العروبه !

الى القارة الجبولة

من أين يبلغك الطريق؟!
من أين أحياء شيكاغو الفقيره؟
من أين تبلغ جذوتي
ليكون ميلاد الحريق؟
يا ناطحات السحب! يا أكداس أكواخ حقيره!
مدّي يدك من الظلام..
فإن رايتنا الكبيره
أبدأ.. يشع حينها لمجاهل الليل العميق

وإن رايتنا الكبيره
أبدأ .. شرع للغريق !!

* * *

من أين تبلغك العواصف ؟
يا مسرح « الجزبند » . في نيورك !
فالزنجي .. جوعان .. وخائف ..
وذئاب « كوكلوس كلان » ملء الغاب
.. والتيار جارف !
وفرائص « التمثال » راجفة
وقلب الليل راجف
والريح جامدة
وموج البحر .. واقف !

* * *

من أين تبلغك الرسالة ؟
من أين .. يا واشنطن السماء ..
تحت ضجيج آله

من أين ؟
في فيتنام مذبحته ، وأنتِ تصدّرين
كعكاً .. وأدويةً .. إلى القمر الحزين !!
وتكنّسين على دم الجرحى .. الزبالة ..
من أين .. تبلغك الرسالة ؟!

* * *

يا ذرّاً أبراهام !
صوتي جفّ من لفح النداءِ !
والريح أتعبها لوائي !
يا ذرّاً أبراهام ..
فانفض مرمر التاريخ
وانهدّ .. للسماءِ !
واسطع .. على زمر المجوس الأغبياءِ
واحقن - تضجّ الأرض ! - انهار الدماءِ !

البيت الهزين

قامرتُ في ملهى السنينُ
وخسرتُ جوهرتي الفريدةَ في مزاد الآخريين
وبكيتُ في أسفٍ .. وأخفيت الدموع
ودفنتُ في صمتٍ أزاميري
وأبنتُ الربيع
ورجعتُ للبيت الحزين
أبكي على جدرانهِ .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

وهناك .. من خلف السياج
خفتت إليّ نشائد الموتى
وأطفأت السراج
فصرتُ من لهب العيون
نوراً .. وصحتُ : أنا هنا يا مشعل المتمردين

* * *

وغداة رفّت رايتي الحمراء في وهج المعارك
وهتفتُ : بارك خطوتي للفجر ..
يا تاريخُ بارك
غاصت بظهري حربةٌ من أصدقائي الخاذلين
فرجعت للبيت الحزين
أبكي على جدرانهِ .. وأبوح بالسر الهجين !

* * *

واغرورقت عيناكِ
في الأفق المحنّي بالدماءِ
وانهارَ نجم من سمائي

وتألب الأبطال من حولي
وحدقت العيون
آلاف .. آلاف العيون
وتدحرجت 'خوذ' على قلبي وهمم لاجئون
ففسلت من وحل الهزيمة راية الحرف الطعين
وخرجت للدرب المعبد بالجمام والعظام
وهتفت بالجثث المعفرة الطريجة في الرغام
باسم الحياة .. الى الأمام !
الى الأمام .. الى الأمام ..
وحلفت .. بالسر الهجين
لا لن أعود .. فألف عفوك .. أيها البيت الحزين !!

أختي صنعاء

لا يعبر بالشباك مساء
إلا وتطل من الأفق العين الكحلاء
عين الحرّة
بذت الثوره
إختي .. اختي صنعاء !

* * *

لا يعبر بالشباك صباح
إلا وتطلّ من الأفق المعبود جراح

جرح في صدر صعيديٍّ أسمر
جرح في صدر حديديٍّ أسمر
وجراح في صدر تعزِّ السمراء
فلتشرّب زنبقة الحريه
في سفح الجبل الأحمر
لتسيل ربيعاً .. في عطش الصحراء
صحرائي العربيه !

* * *

لا تعبر بالشباك الريح
إلا ويصبح
في قلبي .. شوقٌ ، فوق الشوقِ !
لأُضمِّدَ زند جريح
وأضم الرشاش الى صدري .. آه
يا أروع زحف نحو الشرق !

* * *

رغم الأبعاد المرصوده
ودروبي المسدوده
رغم الأنباء المشؤومه
عن قتلى .. قتلى .. قتلى
رغم البومه
ومشائق ملء العتمة من حولي تتدلى
أومن .. أومن .. أومن :
يمني المعبود
سيعود سعيد
فكهوف الشاي الأسود والقهوة والقات
صارت ثكنات
ورجالي .. من أسيوط .. وبور سعيد
كثر .. كثر .. والنصر أكيد !!

الى جميع الرجال الأنيقين في هيئة الأمم المتحدة

أيها السادة من كل مكان !
رَبَطَات العنق في عز الظهره
والنقشات المثيره
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟
أيها السادة من كل مكان !
نبتَ الطحلبُ في قلبي

وغطى كل جدران الزجاج
واللقاءات الكثيره
والخطابات الخطيره
والجواسيس .. وأقوال البغايا .. واللجاج
ما الذي تجديه في هذا الزمان ؟

* * *

أيها السادة
خلوا قمر القرد كما شاء يدور ..
وتعالوا
إنني أفقد للدنيا الجسور
ودمي اصفر
وقلبي انهار في وحل النذور
أيها السادة من كل مكان !

ليكن عاريَ طاعونا .. وحزني أفعوان
أيها الأحذية اللامعة السوداء من كل مكان
نقمتي أكبر من صوتي .. والعصر جبان
وأنا .. مالي يدان !!

من هنا تبعثر النسور

مكتبة البيت القديمة :

كنتُ تلميذاً .. وكان
في دمائي أفعوان
علموني .. أنني صفر وضيع علموني
أنني خرقةٌ عارٍ وهوان ..
ولدٌ .. خلفه الأعراب في بيد الزمان !
علموني

ان أخاف النور .. ان أخفض للنارِ جيني !
كنتُ مغلوباً .. وكان
في دمائي أفعوان
أرقص « السمبا » على إيقاع أحزاني .. وابكي
وأبي يجهل أني ..

اشتري تبغاً بمصروفي ووسكي
ويدي تمتدُّ في الليل إلى مكتبة البيت القديم ،
وإلى الصبح أسوح
بين شطآن الجروح
جرحيّ الأول : من بغداد ..
من بغدادنا الملتهبة !

حيث ماء النهر مزرق بجبر المكتبه
حيث صارت جثث الكتب جسوراً ..
عبرها تعدو سرايا .. وتولي مركبه !
جرحيّ الآخرُ : من ليلةِ رقّ

سجنتُ شمسَ دمشقي !
جرحيَ الثالثُ : من كفَّ جبانه
طعنت قلبَ الكِنانه
جرحيَ الرابعُ ، والعاشرُ ، والخمسون ،
من فأسٍ لئيمه
حفرت ! في جزعنا ألفَ جريمه !

* * *

ويمر الليلُ تلو الليل ..
في مكتبة البيت القديمه !
وعلى زُرقة أجفاني تنمو
خضرةُ الماضي الرحيمه !
روعةٌ تعقب روعه
وفتوحات مُشعه
بدويٌّ .. شغل العالم حذقاً ومهاره
فعلومٌ .. وفنونٌ وحضاره

مدنٌ تنهضُ في البيدِ العصيه
ومناراتٌ عوالِ
تبسطُ الضوءَ على مُلكِ الليالي
وتغنيُّ في المسافاتِ القصيه
فإذا المأتمُّ عرسٌ .. والمرائي مهرجان
وإذا التلميذُ بالأمسِ .. سرايا عنفوان
تحملُ الغابرَ - للحاضرِ - للقادمِ من عمر الزمان
وتغني : كان .. كان
في دمائي أفعوان
أصبح اليوم حمامه
حملتُ قصفه زيتون .. وطارت .
في بلاد الله .. جبريلاً .. بشيراً بالسلامه !!

آن للغارس أن يترجل !

القطاراتُ الحزينه
تذرعُ الليل .. وتستنزفُ أحزاني الدفينه

ومن الميناء ، يستتجدُ تعديدُ سفينه :
زوجة البحار .. خاتته اللعينه !
ويدوي الليل بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
ويدمني الصراخ !
ما الذي أفعل في هذي المدينة ؟
أفتحُ المدياع .. كالعادة في كل الليالي
أم كلثوم .. تغني : « إنها قصة حي » .
وأغني : إنها قصة حزني !
وأغني .. وأغني .. وأغني ..
أم كلثوم اطمئني
يصبح الحزنُ - متى غنيت - حزين ، اطمئني !

* * *

ويدوي الليل بالصرخة : آ .. آ .. خ ..
فأشل الضوء في كهفي ..
ألم المعطف البالي على جلدي وأمضي ..

أرسم الشارع للشارع في ليل المدينة
تارةً أعدو .. وطوراً أشتبي أنثى ثمينه
ولديّ لافتهٍ .. تقضم أعصابي الضغينه ،
شارعُ « الحمراء » أمسى لفظه أخرى ، غريبه
ساحةُ « المنصور » أمست لفظه أخرى غريبه
فأنادي : أرجعوا لي .. آه .. أسمائي الحبيبه !
والمدى يصدي : الحبيبه
وتردُّ الضحكة الأخرى : سيعتادُ صليبه !!
وأنادي .. ودمي أحقاد مرجل :
آن للفارس يا أعداءه أن يترجّل ..
آن للفارس يا أحبابه أن يترجّل !

أقواس نصر

شيدوا أقواس نصر
وانثروا طاقات زهر

أيها الإخوةُ .. للآتي الجليل !
هو من تاريخنا الغابر وافد
يهبُ النهر روافد
ويغطي رُبْعنا الخالي، خوفاً وعنب
وبيوتاً .. وصفاراً .. وطرب .
عانقَ الشاطيءَ مدُّ
وهو آتٍ .. فاستعدّوا !
جمّعوا سُفّاً نخيل
أيها الإخوة .. للآتي الجليل
بردى فيه تلاقى والفرات
والتقى عاصٍ ونيل !

* * *

أيُّ إيقاع سنابِكٍ !!
صوتهُ .. أيُّ عوَالٍ سمهراتٍ فواتك

أي مؤال اعتزاز ..
يوقظ الحالم في مصر ، ويهتاجُ شأماً وحجاز
صوته .. أيُّ عواصف !
تحملُ النعمة للقادم ، من نعمة سالف !
ويداه .. أي خصبٍ وبيوتٍ وفبارك
أي كُتبٍ ومدارس ..
أيُّ إيقاظٍ ثراثٍ وفرادس !!

* * *

أيها الناسُ ، تعالوا !
ولنبارك ..
ضاعفوا الإنتاج في قطرٍ ، وفي قطرٍ علا سدٌ جديد ،
كل يوم ، أيها الاخوة ، عيد !
فلنبارك ..
ولنشارك !

أيها الناس ، تعالوا !
جمّعوا سُعْفَ نَخِيلِ
شَيِّدُوا أَقْوَامَ نَصْرٍ
وانثروا طاقات زهر
وانثروا الرايات ، للآتي الجليل !!

وطن

وماذا ؟

حين ، في وطني

يموتُ يجوعه الدوريُّ

منفياً ، بلا كفن !

وتتخم من طعام الله

تتخم دودةُ الدمن !!

* * *

وماذا ؟
والحقول الصفراء
لا تعطي لصاحبها
سوى ذكرى متاعبها
وبدققُ خيرها الموفور
في أمراء غاصبها ؟

* * *

وماذا ؟
والينابيعُ القديمةُ
ردها الاسمنتُ
وأنساها مجاريها
فإن نادى مناديا
تصيح بوجهه : من أنت ؟!
وماذا ؟
حين صار اللوزُ والزيتونُ أخشابا

تزين مداخل الحانات
وأنصابا

يمتع عُريُّها الأبهاء والبارات
ويحمل بعضها السواح
لآخر آخر الدنيا
وتبقى دون عينيا
وريقات وأخطابا !

* * *

وماذا ؟!

حين ، شعبي صار
مهزلة لبعض الناس
ووجهي صفقة صغرى
يتيه برفضها نخاس !

* * *

وماذا؟!

والفضاءُ الجذبُ ، أقمارٌ صناعية

وفي الطرقات شحاذٌ ، وقبُعة

وأغنية خريفية !!

تعالِي يا رياح الشرق

إن جذورنا حيَّة !!

الى حارس فنار عكا

ملئت شباكُ الصيد الانتظارُ
يا حارس الفنار
والقارب المهجور
غطت رمالُ الشطِّ دفتته
وجنبهُ المكسور
وكاد أن يورق -
مجدافهُ المظمور !

يا حارس الفنار
انقذْ حبال الجار
من قسوة الأمواج والأمطار
تهرّأتْ يا صاحبي .. تهرّأتْ
والجار
غداً يعود ضاحكاً ...

للصيد والفنار !!

هت المطوت

- طوال الليل غنيت !

طوال الليل .. لم يشعر بك الموتى
طوال الليل .. غصَّ البيت أشباحاً
وفض بكاراة العتمة في عنفٍ قطار الصبح
ومرَّ ببابك المعقود فوق الجرح

ونادى :

« آن أن تُغفي في صمت .. وترتاحا !

« كفى تنبش في الأجداث .. تستحضر أرواحا !
وناديت :

« صباح الخير يا أمي » .. وصلّيتَ
لرائحة الحليب ونكهة القهوة
ومرّت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفر
« غداً .. أقسم .. لن أسهر ! »

* * *

وعاد الليل من منفاه .. عاد الليل
وعدت .. وثرغرك المحروم لم يبتلّ
- أتبكي !؟

- ناقلاتُ النفط ما زالت على البحرِ
وجدي لم يزل يقرأ ديواناً من الشعرِ
- أتبكي !؟

- عسكر السلطان في الساحه
وأمي تحت أرجلهم !.. ألا تفهمُ ؟.. مقتوله !

وجدني يضغط الشمس على 'تباك' أرجيله
ألا تفهم؟ .. مقتوله !!
وأهوى رأسك المشجوج في كفيك
ولكني .. أجل .. أبصرت شيئاً شع في عينيك !

* * *

لقيطَ الليل .. من أنت ؟!
— أنا ابنُ الشمس .. والاعصار .. والموجهُ
أنا ابن الساعد المقتول .. واللولب .. والضجج
أنا المتمرد الدامي .. فلا لن أعبد الصمتَ !
— ومن علمك الثورةَ !
— عسف القيدُ
— ومن ألهمك المصباح ؟
— فجر الغد !
— وما ماضيكَ
— كُتِبَ "جمّة" .. والتمر .. والشمسُ

وغارُ الوحي .. والتكبيرُ .. والدعوه
وسيفُ الله .. والرومانُ .. والفرسُ
و (بسم الله) .. والثروه !
- وما الحاضرُ ؟

ميراثُ الدم المهدور في الماضي !
ووشمٌ من قلاع المجد ..
وجذرٌ .. لم يزل يمتدُّ ..
عميقاً .. تحت أنقاضه !
وطاقيّةٌ إخفاءٍ وجينٌ في بساطِ الريح
وآلاف العيون الزرق .. والعُجمّة في لفظي
وكنزٌ من شروح الفقه .. والأنساب .. والوعظ
ولحنٌ ، ينزف الايقاع في كأسه .. ويعطي الروحُ
- وهل تعرف درب الغد ؟!
- عبر الصخر .. عبر الشوك .. حتى الورد
- وهل ... ؟

– أو من أن الشمس لا تستر !

* * *

ومرت كفك الصفراء .. فوق جبينك الأصفر
وصاح الجرح في عينيك .. صاح الألم الأكبر
أنا أقسمت ! يا شعبي ! .. أنا أقسمت
أن أسهر طول الليل .. أن أسهر طول العمر ..
أن أسهر حتى الموت
أنا أقسمت أن أسهر !!

في القطار

- ١ -

مفرزة من الغبار

تصرعها الريح من نافذة القطار

ويسقط الذباب فوق قهوتي

كما هو في قرיתי

أحبة خانهم النهار !

- ٢ -

تلولبت جثته وانهار
في مقعدي .. مسافر غريب
ودب في أجفانه دوار
فنام ، لم تقلقه أوهام ولا أفكار
وهزّ خيط الصمت خاطر كئيب
ما أصعب العيش بلا حبيب
وما أمرّ رحلة بلا صديق
ما أطول الطريق !

- ٣ -

المرأة الحسنة
لا ترفع الوجه عن الكتاب
وشفتا صاحبها .. سرب من الذباب

يلتق جلد عنقها .. سرب من الذباب
يا قبلة بلا دماء
تمرغي في شهوة التراب !

- ٤ -

عيناك من نحاس
يا ذئبة تفترس النعاس
وتوقد الإغراء في مجامر الرجال
عيناك جثتان
تلوثان عزة الأكفان
عيناك إعصار من الشمال
فورته مزيقة من مقلع الجليد
لكن لي ناري ، وإعصاري ، وما أريد
فحاذري يا .. كلمة تقال !

- ٥ -

دوسوا على المقاعد الوثيرة
وزقزقوا في فرح .. يا شاطيء الجزيره
قواربُ الآباء نصف غارقة
لكس في حقولهم براعماً صغيره
وفي جنين الأرض لم يزل
حنين أم وامقه ! -
فرفر فوا مشاعلاً في ليها العضال
غنّوا ، وضجّوا ، واهزموا كابوس صاعقه
يا إخوتي الأطفال !

- ٦ -

حث الخطى يا لولب القطار
غيش وجوره الأرض من حولي .. ففي دمي

عاصفة ، لا تعرف القرار !
جدي هنا في مسرب ،
أختي هنا في مشتل ،
عمي هنا في حضان بياره
شعبي هنا يتلو وراء الثور والمحراث أشعاره
شعبي هنا ، دم على أشواك صباره
سل هذه الأشجار أخباره !
حث الخطى يا لولب القطار
حث الخطى ، فالشمس ، في انتظار !!

الميلاد

قروناً يا أبي تاجرت بالأطياب والخزّ
قروناً يا أبي غامرت حتى عدت بالكنز
حميت الماء من أجلي حميت الماء
وصدت التمر في واحاتك الخضراء
عرفت الله في حرّاء
هدمت اللّات في مكة
وجبت الأرض تُخصبها .. من الصحراء

وعدت إليّ من شيراز
بالديباج ، والنهوند ، والخبز
صغيراً كان تاريخي .. وكان بعمره عزي
وأنتَ تعبتَ ، أنتَ شقيتَ .. حتى عدتَ بالكنز !

* * *

قروناً يا أبي .. وانهدّ منك الكاهل المتعبُ
وغاص العباء تحت رمال حقل النكبة المجدب
وناداني فراخي الزغب ..
- لا ماءً ، ولا شجرُ
ولا فتحٌ ، ولا جابٍ ، ولا عمرُ
فلا تغضب !

ولا تعتب !
إذا أغلقت أبوابي بوجه الأمس
إذا أبدلت أثوابي .. وغادرت الرحاب الدمس
وان ودعت أزهارِي

وان قبلت نصب الرمس
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

أبي .. لا كتبنا الملقاة تحت نعال هولاكو
ولا فردوسنا المردود فردوساً إلى أهله

ولا خيل الصليبيين

ولا ذكرى صلاح الدين

ولا جندينا المجهول في حطين

تشدُّ خطايَ للانقراض ، للمنفى

فمن حي لأطفالي

أشيدُ مصانعاً كبرى

وأرتق معطفي البالي

وأبني مسكناً حلواً .. وأخلق جنة خضرا

ومن حي لأحفادي

أصادق أنبل الأصحاب

واتقن في مدارسهم علوم الطب والأحياء والذره
وأرفع رايتي الحره
وأجمع حولها الأحياب
فلا تغضب
ولا تعتب

إذا قبلتُ نصبُ الرمسِ
لآخر مرة في العمر .. نصب الرمس

* * *

وداعاً يا أبي الغالي ! وداعاً يا صديق الأمس
فإن أكفَّ أصحابي تدق الباب
وصوت الآلة الحسناء يدعونا
لنبدأ رحلة الأجيال .. قبل الشمس

مرثية بدر شاكر السياب

من سبلَ في الغربيةِ جفنيه ؟
من شد بمنديلِ الأمواتِ يديه
من ودّع آخرَ قطرةِ زيت ؟
من خطَّ وصيته قبل الموت ؟
من صلّى يا ناس ، عليه ؟

* * *

مات غريباً يا بغداد
قنديلُ الأحزانِ المُشعلُ في مأساتك

فليُنْجِبْ أحرارُكْ أولاد
يلهون بلا أحزان
في الضوء الغامرِ ساحاتِكْ
واذكر يا دجلةُ انسان
سالت من دمه قطراتٌ ، في دفقاتكْ !

* * *

يا بعضَ الإخوة .. يا بدرُ !
أغلق في وجهي بابك
واهجر أحبابك
لا لوم على أيوبِ العصرِ !
يا بدرُ !
بالكلمةِ أحلفُ ، بالحبِّ
أن أروي طول حياتي أخبارك
أن أحفظ أشعارك
عن غيب !!

على أكتاف أشعاري

بلا عينين ، يا هذا ؟ .. بلا شفيتين ؟!
بلا قلب نبيلِ النبضِ .. يذكر حبه الأول ؟
فقل لي أينَ .. قل لي أينَ ؟
جدوري شدَّها ماض .. وشدَّ الجذعَ مستقبل ؟
أنا عاهدتُ - حتى الموت - أطفالي وآلهتي
وأنت تريد معصيتي
كفى ، يا أتفه الأوثانِ .. لن أقبلُ !!

* * *

لمن هذي السياط الحمرُ .. والأغلال .. والبارود ؟
لنسر القمة المفؤود ؟
لدوريّ يجوب الأرض منفيّاً ؟
ويحكي بين كل الناس عن فردوسه المفقود ؟
لحرف عوّد الأحزانَ أن تغلي ..
وقلب الصخرِ أن يأسى ؟
أنا .. يا بابي المغلق !
على مر الليالي السود
أحسُّ بنكبتى أعمق !
أحسُّ بنكبتى أقسى ..
أحسُّ بأحرفي .. شوقاً لأن تُحرق
وأن تُغرق !
وأن تُحيي ، وأن تُزهق !
أنا عاهدت - حق الموت - أطفالي ، وآهتي
وأنت تريد معصيتي

وأن أنسى !

كفى يا أطفه الأوثان .. لن أنسى !!

* * *

إلهَ اليُتمِ ، والأحزانِ ، والتشريدِ .. لا تغضب !

إذا ما دمّعت عيناك جوفَ دخانِ أشعاري

فمنا .. جثث الأحياب !

ومنا .. الكُتُبُ ، والأغصان ، والأثواب !

ومن ساحاتنا .. الحفرة !!

ومنك .. النفط والجمره !!

إلهَ الحرب ، فلتغضب !

إذا ما دمّعت عيناك جوفَ دخانِ أشعاري

فمن يُتَمي ، ومن حزني ، ومن جوعي ومن عاري

يَشِبُّ لهيبُ أشعاري

ولن أتعب !

طوالَ العمرِ ، لن أتعب !

من الجرح الذي عمّدت في مجراه أوتاري

فقال : اشرب .. !

ووزّعَ لونَ راياتٍ ، ووزّعَ لونَ أزهارٍ !!

أنا عاهدت - حتى الموت - أطفالي وآلتي

ولن يحظى بمعصيتي

رئيسٌ ، عن رماد البعل .. يلهث خلف مركبتي !

يشد خناقَه صوتي

ويعصر قلبه صوتي

ويقتله .. بلا موت !

شروق الشمس !

محمولاً ، على اكتاف أشعاري !!

فدُمٌ للشعب .. يا صوتي !

ودُمٌ للبعل .. دُمٌ سيفاً من النار !

هوارية العار

« افتتاحية »

سلطانُ - أرضي أمس - يذرع بهوه الفخمَ الرهيب
وعلى أكفِّ إمامه
أطباقُ « ألماسِ » وإبريزِ وفضه !

« السادن »

مولاي يمثل الجميع
الخزي .. والدم .. والدموع

والعبد ، عن كَرَمٍ ، يبيح السيدَ المعبود أرضه
ويبيحه ، ان شاء عِرْضَه ؟

هذي صكوكُ الذلِّ .. وقَعها القطيع
وتهافت الخصيان ، فامنحهم فتات المائده
واغفر لمن ماتوا على درب الرياح العائده !

أكفانهم مِرْق البيارق
وقبورهم وحل الخنادق
إغفر لهم ! فالوغد أوزيريس ! ضلّهم

بمرشات الحروف الحاقده !

- مولاي ! يا الإسكندر العصري

يا باري الغيوم الواعده !

أمطر على الأتباع يا قوتا ..

ونيراناً ، على زمر الفلول الجاحده !

هذا الزمان ، كما تشاء

ورهنَ شهوتِكَ الفلَكُ

والخصب في كفيك
يا تموزنا !.. والمجد لك ..

« العبيد »

المجد لك !
المجد لك !!

« أوزيريس »

عبر القرون الدامسات ، وعبرَ طوفانِ الدماء
عبر المذلة ، والخيانة ، والشقاء
عبر الكوارث والمخاطر
عبر المسافات السحيقة ، عبر آلاف المجازر
عبر انكسار الرافدين ،
وعبر أحزان الجزائر

عدنا ..
وملء قلوبنا ، وهج النبوةِ والفداء
عدنا .. وملء شفاها ،
تسيحة الأفق المكبل .. للضياء
عدنا ..
فإما للزوايا الدكن .. يا شعبي !
وإما للواء !!

« الشاعر »

غيرَ اللواءِ الحر لا نترسمُ
وبغيرِ صكِّ جراحنا لا نقسمُ
ولغيرِ قدسِ الشعبِ لسنا ننحني
وبغيرِ وحي الشعبِ لا نتكلمُ
فلتشربِ الراياتُ نخبَ جراحنا
كأساً يفيض على جوانبها الدم !

« السلطان »

باسمي !

أعدو النّطعَ للصوتِ الغريبِ على فنائي
ولِيُصلبِ المتمرّدون على مشيئتيَ الوحيدِ !
ولتُحشدِ الأسلاكِ ..

والجوعِ المذلّ ..

وعُدّةِ الموتِ المریده !

وليسحقّ الأوباشُ - أوباشُ العقيدِ

أنا صانعُ التاريخِ كيفُ أشاءُ

حرّ في عبيدي .. في إمائي !!

« السادن »

مولايَ ! مولايَ المُطاعِ

الآبقون التافهون .. فمٌ يصيح .. ولا ذراع
ألَّب عليهم حسرةَ المنفى وأوباءَ السجون
واجعل ضمادَ جراحهم ملحاً وكبريتاً وطين
واضرب بقدرتك الجليله
لذرى جباههم على نعليك ، خاشعة ذليله
وإذا أمرتَ .. فإنني سوطٌ ، ومقصلةٌ ، وسيفٌ
وإذا أمرتَ .. فإنني لعناتِ جاحمةٍ وبيله
لا تسأل الأخطاب : من أيّ الجذوعِ ؟
ولا تعفُ !!

« العبيد »

— ما شئتَ لك

ما شئتَ لك !

« أوزيريس »

مستنقعات الصمتِ للديدان .. فليقنعْ بصمته
مَنْ باع للشيطانِ جذوتهُ ، وخان عهود بيته
مستنقعات الصمت للديدان ..

والقَمَمُ العَصِيَّةُ

للشمسِ ، والبصرِ الجَسُورِ !

فتهيئي للقائنا .. يا واحة الله القصية

نبتت برغم الرياح .. أجنحة النسور !

وقلوبنا عادت غنيه !

وجذورنا ظلت قويه !

عدنا ! رجالَ الأرض ! إن شحَّتْ ، وإن كانت سخيهِ !

« الشاعر »

قسماً بأطلالِ لنا تتكلمُ

وبصحوةٍ تبني الزمانَ وتهدمُ

قسماً بمن أهووا ، وآخر شهقة

منهم بميدان الفداء : تقدموا

قسماً بأعراس الجراح وفجرها

غير اللواء الحرّ .. لا نترسّم !

حوارية مع رجل يكرهني

- روما احترقت يا مجنون!
- * روما أبقى من نيرون!
- روما لن تفهم أشعارك
- * روما تحفظها عن غيب
- روما ستقطع أوتاراك
- * ألحاني تصعد من قلبي
- في صوتك ذل التاريخ

- * في صوتي غيظ الصاروخ
- الدربُ طويل
* لن أتعبُ
- يا هوذا بأعكَّ
* لن أُصلبُ
- أجدادي احترقوا في « أشقتس » (*)
* قلبي معهم .. فانزع من جلدي الأسلاك !
- وجراح الأمس ؟
* دعها وصمة عارٍ .. في وجه السفاح هناك !
- ماذا في كفك
* حفنة قمح
- ماذا في صدرك
* صورة جرح

(*) اشقتس ، هو المعتقل النازي الشهير الذي كان اليهود يحرقون فيه .

- في وجهك لون البفض
* في وجهي لون الأرض
- فاسبك سيفك محراثا
* لم تترك لي من أرضي ميراثا
- يا مجرم !
* لم أسرق .. لم أقتل .. لم أظلم !
- يا عربي يا!
يا هذا .. يشفيك الرب
يا هذا جرب طعم الحب
يا هذا ،
أفسح للشمس الدرب !

ومجيداً في ليلة رأس السنة

الناس

كثراً من حولي ، كثراً

سوداً ، بيضاً ، صفراً

من كل الأجناس !

والموسيقى

أسراب من كل طيور الله

الفالس .. رفوف سنونو

السما . . نقلة دُوريّ

داخت من رجليه غصونُ

والحجل الكارج في السهلِ

باسو دوبيلي !

* * *

الناس

كثراً من حولي ،

يُحكى أنّ الليلةَ عيد

عام يتوارى في الظلّ

ويُطلّ جديدٌ .

والناس ،

جاؤوا من كل الأجناس

جاؤوا ، أرديةً مكويّةً

تتدلى من أطراف وجوه شمعيّة

جاؤوا . . بسماّتُ المومياءات

في الشمع الشاحب محفوره
والضحكات ،
رَجْعُ الأجراس المكسوره
يأتي من خلف الغابات
من خلف الأسلاك وأفران الغازات

* * *

– « هاتوا الوسكي !
– هاتوا صفارات العيد » .. وأبكي !
ماذا أفعل في هذي الشلة ؟
ماذا ؟ أنتظر القبله !
في منتصف الليله ؟!

* * *

أسلاكي ، ما زالت
وخيامي ، ما زالت
ودمي .. يستصرخ في الطرقات !

ما أفعل هذي الليلة ؟
قدماي مسمرتان على المصطبة الثلوجه
والدمع المطر في خلدي
يسقط في حلقي .. حباتٍ من بَرَدٍ !
ويدي انهارت
فوق المائدةِ المأى .. مفلوجه !.

* * *

منتصف الليلة ..
الضوء انشَلَّ ، وماتت كل الشمعات
وعلت في العتمة كركرة الضحكات :
- هاتي القبلة !
- « هاتي القبلة »
وانهارَ على شفتي رفات !
- أيتها العاهرة النذله
أيدي القتلى

تعلو وتندقُ .. تندقُ توأبيتَ الظلمات
عاد الأموات
عاد .. الأموات !
وتواری عامٌ في الظلِّ
وأطلَّ جديدٌ ،
فالليلةَ .. هذي الليلةَ .. عيد !
وأنا أهوى ، وأجيد
في زفةِ أحبائي ، ومواسمِ أهلي
رقصاتِ الشعراويةِ ، والهورا ، والباسودوبلي !

المأخذ الأول

وُلدتُ على يَدَيِ كرمه
فخُذُ من ضَرَعِهَا قطره
إذا أَفَلحتَ .. خُذ قطره
فقد علمتُ عنقودي متى يكره
ويعطي المقتري اسمه !

* * *

حفرتُ اسمي على القمه
حفرتُ اسمي وتاريخي

فقبّل نعلَ شمروخي
وروادُ أختيَ النجمه !

* * *

بنيتُ لعزتيَ صخره
فحوّ لها اذا أفلحتَ ..
حوّ لها الى حفره !
دعِ المنجلُ !
فبين سنابلي أفعى
لغيرِ الحاصدِ الأول
تعلّم نأبها اللسعا !

* * *

يجلدي .. أيها المخدوعُ لن تدفأ
أعدِ جلدي !
أنا ، والشمس ، والمرفأ
على وعد !

وصوتي .. قاهرُ الإيقاعِ .. لا يُطفأ !

* * *

نفضتُ الحزنَ عن وجهي

نفضتُ الليلَ من قلبي

وسكيني محدة ، ولا أخشى

عواء الذئب في دربي

فهل تغشى ؟

سبيلَ الموت .. هل تغشى ؟

أنا شعبي ،

يدٌ للسلم أبسطها ..

وأقبضُ في يدِ نعشا !!

يا قمرنا المغدور

طلعوا من الوادي الحزين
من شاطئ الفولاذ والدم والمراكب والجنون
طلعوا من الأكواخ واللغة الغريبه
من عالم القرميد والريح الكثيبه
وتسلقوا السفح المهين
عبر الأراضي البور والذكرى وآلاف العيون
وتصايحوا بضجيج قافلة شريده :

لا تغمدوا الأوتاد ! إن حدودنا ظلت بعيدة !

* * *

ماضيك تُثقله الأناشيد الرتيبة
وزهورك الحمراء يابسة .. وعزتك الكئيبة
ماتت من الجوع اللعين
ماذا تريد ؟ امتصت الرعيانَ أوطانٌ جديدة
وأنا أموت هنا .. أموتُ وما لديَّ سوى قصيده
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين !

* * *

إن غازلتك سحابة بيضاء .. دعها في أمان
وإذا بكت دعها فإن الأرض ما زالت حبيبه
وأنا غرزت أظافري الحمراء في قلب الزمان
وهتفت من أعماق أعماقي : موانئنا قربه !
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين ! ..

* * *

في الكتبِ أشياءٌ عجيبة
وربابة الأعمى تكذبها .. وآثار المضافة والزريبه
وصدى أبي سامي وآلاف الحكايات الرهيبه
يا أيها المغدور من عام وراء الأربعين
يا أيها المتروك مشجوجَ الجبين
شبابهُ الراعي تعود ! فلا تملَّ من الحنين
والكادحون من الصباح الى المساء
الطيبون الأوفياء
والخاملون من الكسالى واللصوص المارقين
إني أحس دبيبهم
في جبتي إني أحس دبيبهم ..
يدوي ، وفي مجرى الدماء !
يا أيها المتروكُ مشجوجَ الجبين
أقول : صاروا لاجئين ؟
ستقول : كانوا لاجئين !
ستقول : كانوا .. لاجئين !!

الأعلام

أنزِلوا الأعلام عن شَمِّ القلاع !
أنزِلوا مهزلةَ الألوانِ عن شَمِّ القلاع
واغسلوها بدموع الأمهات
والصبايا الواهات ..
بعد أن ودَّعن أحبباً ،
مضوا للحربِ آمالاً .. وعادوا .. ذكريات !

* * *

إغسلوها .. علّها تبيضُ ، تبيضُ .. وترقدُ شعاعا
أو شعاعا

ينقذ الأحياء من نكبة ميناءٍ وحيدٍ يتداعى !

* * *

من قرون .. لم تزل .. في كل باب

راهباتُ الشكل

يبكين لدى الفجر .. يسائلن الغياب

ويُغنين .. يهددن جراحاً لا تنام :

أيها الغائب عن أهلك ، طوّلت الغيابا

أيها الغائب ، ما زلنا حيناً وارتقابا

أيها الـ ...

خبره يا طير الحمام !

* * *

لمن الرايات .. ملء الأفق .. في كل طريق ؟!

ولمن تشبع من حنطتنا أفعى الحريق ؟!

ولمن ننزف أمطار الدموع ؟
ولمن نعري ونحفى ونجوع ؟
ولمن تزحف تحت الليل أكداس الرقيق ؟
أيُّ تنينٍ خرافيٍّ الأولهه
سملَ الأعينَ في تاريخنا .. أدمى وجوهه !!

* * *

يا يتامى فقدوا في يتمهم طعم الحياة !
يا صغار الأنبياء !
يا رؤاةً حفظوا كل أساطير السماء ..
شيّدوا البرجَ .. فقد نادى الإله
وبكى « نوح » على الطوفانِ .. طوفانِ الدماء !!

أزور يلسن الجديد

أنا والسيول المستميتة ..
مُذ كانت الأمطار والأحزان والشمس العنيدة
نحيا على جرف النفايات المقيته
ونُعدُّ للعِندِ العالمَ الجديدَ !

* * *

أنا والسيول المستميتة
في سفرة لا تنتهي .. حتى نعيد إلى الحداثق
حسونها المنفيَّ .. والجذر المترمَّدَ في الحرائق !

حتى يشبّ اللوز والزيتون والتفاح
في جرح الحنادق !
ويرمّم الانسان أنقاض المدارس والمصانع
وتفجّر الألغام أنهاراً ..
وتخضرّ المزارع !

* * *

أنا والسيول المستميتة
يا زوجتي إيزيس .. آلهة مريده
لن تنتهي في مسلخ القرصان أشلاءً شتية !

* * *

ما كان منا أمس يا إيزيس .. أحلام شهيد
في الأرض نبعثها غداً ..
دنيا منورةً .. جديدة !!

نناديك

نناديك .. من آخر الآخرة !
فمدَّ يديك

لقعر جهنمنا الكافره ..
وخذنا إليك !

نناديك ، والبحر دوامة
بدون قرار

وبعض شراعٍ يحسرج في اللجّ :
أين الفرار ؟!

ننادي . وفي جذع تاريخنا

تحزُّ الجريمه

فهلاًّ أجرتَ من الفأسِ .. فأسِ العدوِّ القديمه

جذوراً طواها رماد الهزيمه !

نناديكِ .. والأرضُ تسألُ :

من أنتَ ؟ من أنتَ .. من ؟

فاطلقِ جوادكَ من 'قممِ الأمسِ ..

واطورِ الزمن !!

سينر اما

- ١ -

في الغرفة الأخرى ، ثياب امرأةٍ ورجلٍ
تبعثرت .. كأننا في عجلٍ
وهمسٌ موسيقى .. وبعضٌ جملٍ
ورفٍّ في الشباك طائرٌ عجيب
قال : أنا المحبوب والحبيب !
ثم اختفى .. ولم يقل .. لم يقل
متى يحين أجلي !

- ٢ -

لم يتركوا لي مطلقاً يُقال !
لم يدعوا لمقلتي جمال
ويضحكون حين يسمعونني
أراود الرياحَ أنَ تحمِلَ لي الجبال
القدماء الميتون .. من يعيدني
إلى عصور مجدهم ولو لحظة ..
لا كنتَ يا خيال !

- ٣ -

في وحدتي آذَنُ للأحزان
أن تنفضَ الرماد عن لواعجي
وتطرد الدخان .

وفي بصيص جنوتي يبرز للعيان
حسابُ إنسانيتي .. بلا خداع
فتقرع الأجراس في قلبي بلا انقطاع
لم يمّتِ الانسانُ في قرارتي ..
لم يمّتِ الانسان !!

لمن أعطيك

لمن أعطيك يا حيي .. لمن أعطيك
ويا شعراً الهوى قل لي .. لمن أهديك ؟
لمن ؟ والأرض قاسية .. بلا قلب
لمن ؟ والشوك أكداس على دربي
لمن أعطيك ، يا حيي !

* * *

أتذكر طفلة الماضي .. وألواناً من اللهب
ونبع الظل .. والنخبأ

ونحن هناك ، لا نفتأ
ندوخ بلعبنا الحلوى
وراء السور .. بين اللوز والرمان والسرو
أتذكر زرقة العينين والبسمه
وشُقرة شعرها المنعوف للنسمه
وقبُلَّتْهَا على خدي
وعضَّتْهَا على زندي
وشكواها الى أبويّ .. أني طائش .. أزعز !
أتذكر أنت ؟ هل تذكر ؟

* * *

وفي يوم من الأيام
صفرتُ لطفلي الحلوه
فجاءتني على مهلٍ .. بلا ضحك .. بلا نشوه
وقالت لي ، بدون سلام :
أتفهم ؟ إن أهبي لم تعد تسمع

وإن ناديتَ بعدَ اليوم ، فالشباك لن يُفتح
تركتُ اللهُوَ يا أبله ..
لأني .. لم أعد طفله !!
فقل لي يا جريحَ القلب .. يا حي لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكر رنةَ الجرسِ
وعهد الكُتُبِ والزملاءِ .. والحلوه
تجيء بثوبها الكاكي .. بلا حرسِ !
أتذكر حصة التاريخ .. والاسْتاذ يشْتبهُ
فينهانا بإصبعه ،

عن اللفات والبسات ..
ويزجرنا : كفى انتبهوا ..
كفى .. انتبهوا !
وفي يوم من الأيام
تلفتنا .. فزلزلنا خواء المقعد الغالي

ومرّ الدرس .. مرّ الدرسُ مشلولاً .. ببطء العام
ولم نفهم سوى أحلام !
وما كدنا نلمّ الكتب .. حتى كنت أرقبها
وعبر الشرفة الزرقاء .. أشرق وجه والدها
وأشرق وجه خالتها ، وجدتها ، وعمتها
وبعد سجاثرٍ كثيرٍ .. وبعد الحزن واللهفه
أطلت حلوة الشرفه !
وراحت ، خوفَ عينِ الأهل والجيران ،
تحديقاً في ماخوذه ..
أنا .. ما عدت .. تلميذه ..

* * *

فقل لي يا حزين الوجه .. يا حيي .. لمن أعطيك ؟

* * *

أتذكر حلوة المكتب ؟
أجبيء مبكراً للشغل .. كي أحظى بصحبتها

لبضع دقائقٍ .. أحظى بصحبتها
أشاركها أغاني الصبح .. أشربُ بعضَ قهوتها
ومن فنجانها .. أحكي لها أسرارَ سيرتها
كما شاء الهوى .. أنني أنا تاريخَ قصتها !
فتضحك حلوة المكتبُ
وتفهم .. أنني .. مُعجبُ
وتضغط كفتيَ الحرَّى براحتها
وفي أعماق عينيها
أحسُّ بكل رغبتها !

* * *

وفي يوم من الأيام
حملتُ الشوقَ زوَّاده
وجئتُ مبكراً للشغل .. كالعادة !
ولم تستقبل الحسنة شوقي بابتسامتها
وماتت ، قبل مولدها ، بقايا من تحيَّتها

و حين اشتدَّ بي غيظي
تعثرَ ثغرُها المحموم ، في لفظٍ بلا لفظٍ :
إليكَ سوايَ العوبه ..
فإني اليوم .. مخطوبه !!

* * *

أتذكرُ أذت .. هل تذكرُ
أتشعرُ أنني أكبرُ ،
وأني بتُّ أخشى الشيب والوحده
فماذا بعدَ سرِّ الخوف .. ما بعده ؟!
كفاني في الهوى جهلا
فإني لم أعد طفلا
وقل لي يا عميق الجرح ، يا حي ، لمن أعطيك ؟
لمن .. يا متعي أعطيك ؟!

في ذكرى المعتصم

المبشر

إذا حدثتَ يا هذا فبشرْ قاتلاً بالقتل !
وبشر سارقاً أرضَ الجياعِ وقمَحهم .. بالمحل
وبشر هاتكَ الأعراض .. بالعارِ
وبشر ملحداً بالشمس .. أن سيؤولُ للنارِ
وبشر قاهرَ الأيتامِ .. بالذلِّ
وبشر من يغلُّ الحرَّ .. بالغلِّ

وقل للناسِ .. قل للناس ، إن الليل لا يبقى
وقل للبحر إن هناك من يأسى على الفرقى
وقل للعقل إن هناك من يهزأ بالحمقى
وقل لِنَبُوخَذَ المأفون
إن الحرُّ لا يستمرىء الرِّقا
وطُف في الأرض .. طف فيها ، وبشر جَدِيهَا الخائف
بأن الذئب مرتعد الفرائص .. راجفٌ .. راجف !
فسيف النار مبعوثٌ .. وإيلياً
وصوت الله .. كيف نشاؤه يأتي
ويملاً .. يملأ الدنيا !!

الزوجة

دفعتُ مآثري مهراً !
وحطمتُ الصخور الصمَّ كي أبني لها قصرًا
ومن صحرائي الكبرى

خلقت حلوة الحلوات ، ألف حديقة خضرا
وفجّرت العيونَ الزرقَ في البیداء
ودجّنت الجبالَ الشم والأنواء
وروّضت الرمال على هوى الأزهار والانداء
وعوّدت السواقي الموجَ ألاّ تؤذي العطرا
ولم أسرج جیاد الغزو یا « بابل »
ولم أخدعك .. لم أغدرك یا « بابل »
وما علّقتُ في بابي لواء الغدر والباطل
فما لحبیبتي تُسبى
وما لعواصفِ غضبى
تفرّعُ جنّتی الوسنى .. تُهدّمُ سوريَ الآمن
ومن مستنقع الأحزان تدفع ماءها الآسن
يُمزّق شملَ أطياري
ويخنق طیبَ أزھاري
وما للشمس يزجرها غمامُ الحقدِ عن داري

وما للحاكم التتريّ لا يأسى لأطفالي
ويجلدني بسوطِ الغدرِ والقسوة
ويخطف زوجتي الحلوه
يدوس مشاتلي الخضراء
ويؤذي النار في الأهرام
وما للليل لا يفهم
بأن الشمس لا تلجم
وأن المارد الجبار سوف يهشم القمم
وما لنبوخذ المافون لا يقنع
بأن جذورنا في الأرض راسخة .. ولن تقلع
وأن مشيئة الإنسان لا تهزم !
وأن مشيئة الإنسان لا تذوي .. ولا تهزم
وأني أكره الأخرى
وأعشق ، أعشق الدنيا
وأني شئت أن أحيأ ! .. وأن أحيأ !

الضوء

معي أنتِ !

معي في القلب ، في العينين ، في الصوتِ
معي من رعشة الميلاد .. حتى رعشة الموتِ
معي أنتِ ،

فماذا لو همزتُ الريحُ من أفقٍ الى أفقٍ
وماذا لو عصرتُ الشمسُ فوق مشاتل الشرقِ
وماذا لو زجرتُ الذئبُ

عن شاتي وعن بنتي ؟

أيرجمني صغار الجار ؟

أينخطف زوجتي عِليجُ يعافُ قراءةَ الأشعار ؟

وتحصدُ ما زرعتُ النارُ ؟!

* * *

لأجلكِ .. أسرجُ الأحزانَ

من أرضٍ إلى أرضٍ
لأجلِكِ .. أركبُ الأهوالَ
من بحرٍ إلى بحرٍ
لأجلِكِ .. أمنحُ الكلماتِ للغيرِ
وسوفُ أظلُّ أمنحها .. موقعةً على نبضي
لأجلِكِ .. يا منزعتي عن البغضِ !
وسوفُ يظل

سوفُ يظلُ مصباحي بلا زيتِ
فضوءِ العمرِ ، أن تبقي معي أنتِ ..
معي أنتِ ..

مدينة الردة

سأكسر قلبها الصلصال !
وأمرغ وجهها المشبوه .. في الأوحال !
سأخذها - بلا رحمة

وأقذفها - بلا رحمة
وأجعلها - من الأمثال !
لتفهمَ أنني النسرُ الذي يهزأ بالقمة !

* * *

سأنثر دربها شوكا !
وأحجار مسنّنةً ، وحيّاتٍ ، وأشباحا !
وأترع جرحها قاراً وأملاحا
لتصبحَ قصةً تُحكى
عن العبد الذي يجرؤ أن يلتمس الشكا !
سأحرقُ في قراراتها
إلهَ الزيفِ ، والخذلانَ والشّركا !
لتفهمَ أن من يُلقي حصى الإلحادِ في بئري
سأصلبه على شعري
وأتركه ، لبعض الطير .. أتركه بلا قبرٍ !!

آخر الجرحى

أعدنا اليوم حملتنا على الأسوار
ولكننا ارتمينا عندها قتلى
وعز جلاله المولى
أعاد الطير خائبةً الى الأوكار
وسلم من نيوب الموت .. سلم آخر الجرحى
ليخفقَ صوتُه المخضوبُ بالدمّ :
هلا ! مرحى !
هلا ! مرحى !
ويُطلقها على سهمٍ
الى أختٍ وراء السور مسبيّة
يدنّسُ طهرها المنهوب هولاً كو ،
وعُصبتُه التتاريّة

* * *

هلا يا أختَه .. مرحى
فماذا يقبلُ الأضحى
سوى قربانِ أمتِنَا ، وحملتِها البطوليَّة ؟!

* * *

أعدنا اليوم حملتَنَا على الأسوار
وقبل الصبح قبل الصبحُ
يُعيد صفارنا الجملة
وتعرف دربها شعله
وتأكل من تشاء النار
وقبل الصبح .. قبل الصبح يا آلهة الظلمه
ستعرف وجهها أُمَّة
ويملاً جفنها ضوءٌ يعجّل موعداً الأنوار !

يوسف

أقصُّ لكم خياماً .. أيها الأحبابُ
من جلدي

وحول مضارب الأحران
أسقي بالدموع الحمر
كل شتائل الورد

وإن هبت عليّ الريح ..
أسألها !

وإن عادت .. أحمّلها ..
وأحرص أن أحدثها
ولو ظلت بلا ردّ

سلاماً .. أيها الأحياب
يا إخوان .. يا جيران .. يا أصحاب
سلاماً !

كيف أنتم في فصول الحرّ والبرد
وكيف الحال
على الأطفال ؟
وكيف رفاقنا الموتى ؟

هل اعتادوا وراء السور

طول الليل .. والصمتا ؟

وكيف إمامنا يعقوب ؟ -

تُرى ما زال - يا ناري على عُكَّازةِ الوجدِ

يدٌ .. من طولِ صمتِ الشَّكلِ

لاصقةٌ على الخدِّ

وأخرى .. في قميصِ الدمِّ

غائصةٌ بلا حدٍّ !؟

* * *

أحبائي ! أحبائي !

إذا حنَّت عليَّ الريح

وقالت مرةً : ماذا يريد سميح ؟

وشاءت أن تزودكم بأنبائي ..

فمروا لي بخيمةِ شيخنا يعقوب

وقولوا : إنني من بعد لثم يديه عن بُعدِ

أُبَشِّرُهُ .. أُبَشِّرُهُ ..

بعودة يوسف المحبوب !

فإن الله والانسان ..

في الدنيا .. على وَعَدِ !!

الرسول والعيد

لبسنا أجمل الأثواب

وفتحننا نوافذنا .. وشرعنا لك الأبواب

رشقنا الدار

فرشنا الأرض بالأزهار

وألفنا الأناشيدا

وأعلنا قدومك يا حبيب حياتنا عيدا

فلا تخفِضْ لنا وجهاً .. ولا تُثْقِلْ لنا جيدا

ولا تحرمْ محاجرنا من الأنوار

ولا تحرم مساكننا من الأمطار

فأنت ربيعنا المفقود
وأنت صباحنا الموعود
نذرتنا في قرون القيظ والأحزان .. من أجلك
فَطَوَّفَ في صحارينا
وأغدق فوقها الموفورَ من ظلك
فإنك منذ بدء الليل فجرٌ في أغانينا
وإنك يا ابن لهفتنا .. عزاءٌ في مآسينا
رضينا باسمك التشريد والحرمان والبيدا
وأعلنا قدمك يا حبيب حياتنا عيدا
فلا تخفِضْ لنا وجهاً .. ولا تثقِلْ لنا جيذا !!

الجسر

سأعبر جسرَكَ المشؤوم .. يا تيار أحزاني !
سأعبره بلا خوفٍ ، لشط العالم الثاني
فإن نداء أطفالي
وراء الأفقِ إعصارٌ يزلزلي

لآتيهم .. على أنقاض أجيالٍ وأجيال
وإن نداء أجدادي
وراء خطاي يدفعني
وريح الحزنِ والأشواق تحملني
إلى فردوسي الغالي
وعبر ضباب أبعادي
منارات تضيء الدرب
وتلهمني أغاني الحب
وأبتهً ، وأفراحاً .. لأعيادي
ومن تاريخ خذلاني وأمجادي
يدٌ مخضوبةٌ تمتد
وصوت هازم كالرعد
شجاعٌ .. صارمٌ الايقاع .. يصرخ بي :
تخيّر أيها العربي :
طريقُ العارِ مفتوحٌ لكل زمان

ودربُ المجد ! .. هل تفهم ؟ .. درب المجد !
فخذ من أدمعي ما شئت
سأوقد مشعلي بدمي
وأصبغ رايتي بدمي
سأفقدُ لقمتي الشهواءَ ، أحفى ، أشتهي ، أعري
وأملأ معدتي .. شعرا !
فقد أقسمت .. قد أقسمت
بالميلاد في أعماق انساني !
سأعبر جسرَكَ المشؤومَ !
يا تيار أحزاني
سأعبره .. سأعبره ..
لشط العالم الثاني !!

الصعود الثاني

لِيَهْنَأُ أَصْدِقَاءُ السُّوءِ !
لِيَهْنَأُ كُلُّ مَنْ يَجْتَرُّ زَيْفَ الْعَالَمِ الْمَوْبُوءِ

ليهنأ قاتلٌ وَغَدٌ .. يشيَعُ جثةَ المقتول
ليهنأ توأمُ العنقاء .. وابنُ الغول
فإن طريقنا الممتدُ
إلى أروع ما في الغدُ
يجوب مفاوز الميراث من مولدنا الماضي
ويصعد .. عبر أنقاضِ
يقبَلُ كل نصب المجد بين مقابر الأجداد
ويتركها .. بلا ميعاد !
فعُمر الليل .. راح هباء
وأغفت في رفوف الكُتُبِ .. كل وثائق الأنباء
وعمر الشمس .. أشرعةً بلا ميناء
ومهرٌ هنيئةٍ منه .. جميعُ قصائد الشعراء
فماذا يطلب المشلولُ ، والمجذوبُ ، والأعمى ؟
وماذا يطلب السرطان والجدرىُّ والحمى ؟ ..

* * *

قصائدنا ..

مَوْقَعَةٌ عَلَى الْفُولَازِ وَالْأَخْشَابِ وَالصَّخْرِ .

وَأَمْتَنَا ..

تَحْتُ الزَّحْفِ ..

مَا زَالَتْ تَحْتُ الزَّحْفِ .. لِلْفَجْرِ !

فَإِنْ كُنَّا .. رَمَادَ النَّارِ !

وَإِنْ كُنَّا ..

دَمًا حَنَىٰ بِنُودًا ظَلَلَتْ أَحْرَارُ !

وَإِنْ رَصَفَتْ جَمَاجِمُنَا

طَرِيقَ النَّصْرِ لِلثَّوَارِ

لِيَهْنَأَ أَصْدِقَاءُ السُّوءِ !

لِيَهْنَأَ .. كُلُّ مَنْ يَجْتَرُّ عَارَ الْعَالَمِ الْمَوْبُوءِ

فَإِنْ طَرِيقُنَا يَمْتَدُّ

عَلَى الْأَلْغَامِ وَالْإِسْلَاءِ وَالْأَنْقَاضِ وَالصَّبَارِ

يَظَلُّ طَرِيقُنَا يَمْتَدُّ ..

إِلَى أَرْوَعِ فِي الْغَدِ !!

الوحدة الكبرى

كفى ! لن نقبل العذر !

إذا لم تُمطر الأحران

إلى أن تُخصب الكثبان

ويؤتي التمرَ موفورا ..

نخيل الوحدة الكبرى !

كفى لن نقبل العذر !

إذا لم تغدُ غاباتِ مداخنتنا

وإن لم تغدُ ميناءَ شواطئنا

وإن لم تغدُ جناتِ مرابعنا

يُعيّد في مباحجها

أهالي الوحدة الكبرى !

كفى لن نقبل العذرا !

فقد طالت أمانينا

ولم تهدأ أغانينا

وضحيننا الملايينا

قرايينا ..

فدىً للوحدة الكبرى !

كفى .. لن نقبل العذرا !

وميلٌ مدارج التاريخ

أفواجٌ من الشهداء

وميلٌ مدارج التاريخ

خيل خانها الفرسان

وفرسانٌ بلا خيل

وراياتٌ بلا شجعان

وميلٌ مدارج التاريخ

ما أوصى به الأمواتُ للأحياء !

فإننا نُسَلِّمُ الشعلة

وميثاقَ السنى العائد

لكفِّ الرائدِ .. الرائدِ

ولسنا نطفئ الغله

بغير الوحدة الكبرى
وكوثر عدنها الخالد
فمدّوا الكف للكفّ
وضموا الصف للصفّ
وشدّوا ، أيها الأحباب
شدّوا الساق والساعد !
لنبي بيتنا المنشود ..
بيت الوحدة الكبرى !!

معتصاه !

أتسمعنا .. نهزُّ الكون ، من أقصاه ؟
أتسمعنا .. إلى أقصاه !
نبوح بكل ما نلقاه ،
نبوح ، زوابعاً حيناً ، وحيناً ، آه !
أتسمعنا نحاورهم :

– أبقى الله في منفاه؟!
ونصرخ من قرار الليل
معتصاه! معتصاه!
أتبصر فأسنا المكدود؟
يشج مغالق الأسداف، عن إشراقنا الموعود؟
وينقش في صخور الحزن
لافتةً من النارِ
تشير.. وراء سور الليل، والحرمانِ، والعارِ!
الى فردوسنا المفقود؟!
فوحّدْ خطونا في الدرب!
وشدّ القلب نحو القلب!
وعاهدنا على الصبرِ
وساندنا.. الى النصرِ
أو القبرِ!!
فقد طالت سنونُ الجوع والفقير!

وطالت لهفة الصحراء ..
للأنهار .. والأشجار .. والآلات .. والأطفال
وطالت صرخة الأجيال للأجيال !
معتصماه ! معتصماه ! معتصماه !!

يفجينى ايفتشنكو

رسالة قد تصل الى الشاعر السوفياتي

« في حديث جرى بين ايفتشنكو
والأديبة العربية عايدة مطرجي ادريس،
ونشرته مجلة « الآداب » البيروتية ، قال
ايفتوشنكو انه لا يعرف الحقيقة عن
القضية الفلسطينية ومأساة اللاجئين » .

— الشاعر —

بالمقالات الطويلة

والصور

والبراويز الموشاة وإتقان الخبر

عرفتني بك يا المنشد في أرض البطولة

صحف الغرب الصقيله

والجميله ..

عرفتني بك .. ماذا ؟

عرفتني بك ، مسخاً ملّ أعباء السفر

في المخاضات النبيله

وعلى أجفانه ران الضجر

فمضى يبحث في كهف الحضارات الهزيله

عن لفاقات خدر

عرفتني بك .. ماذا ؟

عرفتني بك ، خائن !

يضمر الحقد - لموسكو وبنيتها - والضغائن !

مكذا أقبلَ من شاطئنا الغربيِّ صوتكُ
فاحتقرتكُ !

* * *

والتقينا بعد حين ،
أنا ، والغرب ، وأشعارك ،
فإنجابتُ ظنون ،

وعرفتُكُ

واحترمتكُ

يا شقيقي في الجراحات من الماضي الحزين
وشقيقي في كفاح اليوم

والمستقبل الخصب ، بما فوق الظنون !

يا شقيقاً ما رأيتك ..

ألف عفوٍ ..

أحسنَ الغرب طويلاً

لعبة الضحك على هذي الذقون !
غير أننا اليوم ، ناس آخرون ،
لعبة الغرب اكتشفناها ،
وسرنا
وقطعنا في سنين
ما فقدناه على مرّ قرون !
والتقينا ذات ليله
أنا ، والغرب ، وأشعارك ،
فانجابت ظنوني
ثم عدنا - بعد أن مرت شهر -
والتقينا في مجله
وأتاني صوتك الأخضر من خلف السطور :
« أنا لا أعرف شيئاً ! .. حدّثوني ! »

* * *

حسناً يا صاحبي ، أصغِ إليَّ
واعذر الجرح إذا شبَّ لظىً في شفتيَّ
نحن من أرضٍ - يُقال
إنها مهد النبوات - يُقال
بسطت نوراً وعرافناً على الدنيا - يُقال
ولنا كانت سهولٌ وجبال
وبيوتٌ ودوال
ولنا بيارة - كانت - وصدَّرتنا إليكم برتقال
واستفقنا ذات يوم
فإذا .. نحن غدونا الصادرات !
وإذا نحن على كل مدى منتشرون
في ضفاف النيل والاردن تلاقنا
وفي لبنان تلاقنا
وفي شطّ الفرات
نحن .. في آسيا ،

وافريقيا ،
وأوربا ،
وأمریکا ،
واستراليا ،
على كل مدى منتشرون ،
وإذا - من قمر الله الحزين -
جاءكم صوتٌ .. فقولوا : « لاجئون » !!
يا صديقي ،
أنا لم أكمل حديثي يا صديقي
أنا لم أكمل ، فمأساتي طويلة
وحريري .
يغضبُ الريحَ ، إذا صاح :
« كفى .. رفقاَ بها ، أرض النبوات الجميله
يا صديقي
أيها المنشد في أرض البطوله

« وأنا أبدو يهودياً لنفسي (١) »

« وأنا داريفس »

« والمشتوم »

« والمبصوق في وجهي ، »

« أنا المكروه ، والمطعون في أعماق حسّي »

ظلُّ « بابي يار » ندعوه لدينا .. دير ياسين

ظلُّ بابي يار ندعوه لدينا .. كفر قاسم

ونسمي ظل بابي يار أحياناً .. سموع

ولدينا - مثلكم -

حزنٌ ، وغيظٌ ، ودموع !

(١) القطعة الموضوعية بين الأقواس مترجمة عن قصيدة « بابي يار » لإيفتوشنكو ، القصيدة التي يعبر فيها عن عدائه الاسامية وتضامنه مع الشعب اليهودي . وبابي يار واد في الاتحاد السوفييتي ذبح فيه زبانية هتلر آلافاً من اليهود .

- الشاعر -

ولدينا عزةٌ تأبى ،
وماضٍ لا تُنذِكُهُ !
ولدينا غضبٌ ،
أكبرُ من شعري أقله

ولدينا يا صديقي
أملٌ يزهرُ - رغم الشوك - في كل طريقٍ
أملٌ ، زنبقةٌ من دمٍّ أهلي ورفاقي
من ضحايا عيلبون
وضحايا ميسلون
وضحايا « الجسر » من ماضي العراق
أملٌ ، زنبقةٌ من دمٍّ أهلي ورفاقي
من ضحايا الأطلس الدامي ، وحي القصبه
وضحايا بور سعيد

وضحايا عدنٍ ملتهبه ،
وقفت ماردةً ، منتصبه ،
وضحايا يمنٍ .. صار سعيد

ولدينا يا صديقي

ورفيقي

بيرقُ حنَّاهُ قتلانا بألوانِ الشروقِ !

* * *

يا كَنارَ الحبِّ في أرضِ الشمالِ

ظلُّ بابي يارِ يكبُرُ ..

والدمُ المغدورُ ، من مُنعطفِ المجهولِ يقطرُ

فتعال

يا كَنارَ الحبِّ في أرضِ الشمالِ ،

يجدُ الشعرُ لدينا .. ما يُقال ..

سقوط الأقنعة

سقوط الأقمعة

قلوب!

وطني يا قرطاً يتأرجح
من أذن الكرة الأرضية
يا امرأة تفتح
فخذها للريح الغربية
يا مجداف القارب
يا الولد الغائب
هل تنهض يوماً ما فياً ؟
هل تصبح وطناً عادياً ؟

ينبغي

وجه حرّيتي نطفة^١ في السجون
قوس نصر النهار
ثغرة في جدار
والمقيمون في منزلي .. اللاجئون
بعد حين
ساعة أو قرون
نأكل العشب عامين ممّا تربّي السطوح

ونسوي لنا بيرقاً
من ضماد الجروح
كل صعب ، يهون
ولذا ينبغي ، ينبغي أن أكون !

المؤمننة

أعدموها قبل عشرين سنة
أنجبت أثناءها تسعة أطفال

– وبعد؟

– عاقراً صارت ،

فصارت مؤمنة

وأحبّتي كثيراً ..

ديوانه

كائناً في العيون الخفيّه
كائناً في بذار الأكف البعيده
كائناً في نخاع الجذوع المریده
كائناً في ركام القرى
في الصدى
في بروج الحمام الشقيّه
كائناً في أغاني الشفاه الغريقه

كائناً في بقايا سياج الحديقه
كائناً في هشيم السطوح
في رماد الحريقه
في غبار الخطى ، في وصايا الجروح
أكمل اليوم .. لا أبدأ !

العائد

عاد من كلّ العواصم
عاد محمولاً على الأكتافِ
من كلّ العواصم
وجهه المجدول من طمي بلادي
لم يزل يرشح ماءً وبراعم
عاد في الفجر .. وعادت معه كل المواسم
وعلى جبهته جرح قديم

وعلی عینیه ضوءه ، وصراط مستقیم
عاد .. فالباب یغنی ، والدوایی والهمائم :
سیدی أجمل قادم !

لسقوط الأقمعة

سقطتْ جميع الأقمعه
سقطتْ .. فإمَّا رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
سقطتْ جميع الأقمعه
سقطتْ قشور الماس عن عينيكَ
يا رجلاً يصول بلا رجوله

يا سائقاً للموت أحلام القبيله
سقطت تماثيل الرخام
سقطت دموعك يا تماسيح التواريخ الطويله
سقطت ..

وأبراج الصقور الخدعت عشرين عام :
« أنا يا ضمير الأرض أبراج الحمام »
سقطت أغانيك الحزينة

والأساطير الذليله
يا حالماً بالأرض خادمة مطيعه
تعطيك من أختامها ما شئت
تكريساً لشهوتك الوضيعه
سقطت ممزقة على درب الرياح الأربعة
سقطت .. جميع .. الأقنعه !
فلأي ربٍ بعد هذا اليوم تلجأ ؟
أي ربٍ ،

سيبارك النابالم ، والنصل الممزق لحم شعبي ؟

منذا يبيعك صكّ غفرانٍ

ونابك في ذراعي

يا من تخاف من الشعاعِ

يا من يعزّ عليك نبض الخصب ،

في أرضِ الجياعِ

يا كلب صيد الكرش والغليون

يا سمسار ناطحة السحابِ

يا حارس النفط المدلل

بين أحضانِ الذئبِ !؟

* * *

جعلوا شرايني أنابياً

لبترول الغزاة القادمين من الضبابِ

جعلوا شرايني أفاعي

جعلوا شرايني حبالاً

كبتت شعبي الجريح إلى النخاع

وحفرت من ملكوت بئر النفط

دربي للشعاع

يا من تخاف من الشعاع

ونهشت بالأسنان بالأسنان

جدران الظلام

وهتفت بالجيل الممزق عبر بيداء الضياع :

باسم الحياة إلى الأمام

إلى الأمام إلى الأمام .

ويجيء نصلك في الظلام

وأشدّ خاصرتي ، وتبقى جبتي ،

فوق الرغام

وتظلّ تصرخ :

« يا ضمير الناس ! من يحمي من العرب الرعاع

بيت الحزاني العائدين من الضياع ؟ »

وتشدّ نابك في ذراعي
وأنا أشيد سدّيّ العالي .. وأحلم
بالمدارس والمصانع والمراعي
يا من تخاف من المدارس والمصانع والمراعي
من حفنة القمح المبلّ بالدموع وبالدماء
للكادحين من الصباح إلى المساء
للتائرين من الجياع !

* * *

سقطت جميع الأقنعه
سقطت .. فإما رايتي تبقى ،
وكأسي المترعه
أو جثتي والزوبعه
وروايتي يا مجلس الأمن الموقر
أصبحت عشرين فصلاً
يا مجلس الأمن الموقر

أصبحت عشرين ليلاً
عشرين زهرة برتقال
ذبلتُ على دوّار قرينتنا المهينه
عشرين زهرة برتقال
جابت، طوال الليل أرصفة المدينه
عشرين قافلة حزينه
خرجتُ مطأطئة الجباه
للشرق - أذكر - للجنوب وللشمال
خرجتُ تفتّش عن إله
عشرين زهرة برتقال
ذُبحتُ هناك .. بلا قتال

وأنا ألوبُ ألوبُ في حمى عذابي
متمزّق القدمين .. من بابٍ لبابٍ
وجهي احتقان محاربٍ

أنسوه تاريخ الحرابِ
ووجوه أطفالي صحون فارغه

* * *

ناديت من عشرين عام
يا مجلس الأمن الموقر - آه -
من عشرين عام
واليوم ، عبر صواعق متربصات بالسلام
صوتي يبيئك بالبريد
من غابة الدم والحرائق والمرارة والخيام
صوتي يبيئك زهرة حمراء
في العام الجديد :
من يأت بيتي قاتلاً
يرقد عن بيتي قتيلاً !

* * *

يا مجلس الأمن القديم
صوتي يمينك زهرة حمراء ،
من حقل الجريمة
فإلى اللقاء .. إلى اللقاء ..
يا مجلس الأمن القديم
أراك .. في القدس القديمه !

كلمة السر

- للخبز رائحةُ الدمِ -
* قلبي وديع مثل نسمة
وجهي نقيّ مثل غيمه
قرّبتُ أغلى ما لديّ ،
إليك يا جدّي الجميل !

- للخبز رائحةُ الدمِ -
* غنمي تظللُ نظيفةً

شفتي تظلّ شريفةً
ويداي ، باسمك تكدحان ،
من الشروق الى الأصيل ..

– للحبر رائحةُ الدمِ -
* نسَّقتُ من وعرٍ حدائق
ونحتُ من صخرٍ مطارق
وتلوتُ ما عندي من الصلوات ،
في الليل الطويل

– للحبر رائحةُ الدمِ -
* كرمي الفسيح ، بدون سور
أبواب بيتي ،
لا تخبّ طارقاً في الزمهرير
زادي لكلّ فمٍ يسير

– للحبر رائحةُ الدمِ -

* قدموا من القرميد والفولاذ والدم والضباب

قدموا على تابوت تاريخي ،

وأجنحة الغراب

قدموا ، ولم يُجد الرقى

يا جدِّي الأعمى ، ولم يُجد الكتاب

فارقد بنيك بموعظه

– للحبر رائحة الدم – !

* قاسمتهم حزني وأرغفتي

وسقفي والثياب

لكنتي أشطرُ ابني اثنين

يا جدِّي الممزَّق بالحراب

فارقد بنيك بموعظه

– للحبر .. رائحة الدم –

* لكنَّ قلبي طيبٌ

ويدي معودةً على المحراث يا جدّي
وسيفي في القراب
من ألفِ عامٍ في القراب
فارفد بنيك بموعظه

- للحبر يا ولدي الحزين
للحبر .. هلاّ تسمعون ؟
للحبر .. رائحة .. الدم !

لم أزل

مدُّني محلولة الشَّعرِ
وراياتي غريبه
غير أنِّي يا ذراريّ الحبيبه
لم أزل أدفع في بنك الخصوبه
كل دین العالم الماضي ،
وأقساط الضريبه !

لم يُضَيِّعني صغيرا
ولذا ،
أحملُ من أرضِ لأرضِ
دمه ، عبثي وإرثي
منذ أصبحتُ كبيرا !

الشفة المقصودة

كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً عن عندليبٍ ميّت
كان في وُدِّيَ أن أسمعكم
قصةً ..

لو لم يقصّوا شفتي !

متد؟

حين تميلُ الشمسُ
مكسورة الظَّهرِ
أقول : كنا أمسُ
في أوَّل الدهرِ

* * *

حين تميلُ الشمسُ
يا أمَّ أولادي

أقول : كنا أمس
في أسفل الوادي

* * *

أمّي على الدربِ
محلولة الشعرِ
تقول : يا ربّي
متى تميل الشمسُ
مكسورة الظهرِ ؟

حلول

أطلعُ في الأمطار
أطلعُ في البرق الأزرق
في النسمة ، في الإعصار
أطلعُ من جرحٍ فتحتهُ قذيفه
في صدر جدار
أطلعُ من عطش الآبار
أطلعُ من قنطرةٍ صامدةٍ
في وجه الريح

من نصبة لوزٍ صامدةٍ
في وجه النار
أطلُعُ من توقيع الحاكم في ذيل التصريح
من ظلَّ عصيَّ الشرطة أطلُع
من محرمةٍ لم تعرف غير الأدمع
من عَشَب الأرض المسروقه
من حقد الشفة المحروقه
من زحف مظاهرةٍ عفوية
من قذف زجاجٍ وحجاره
في وجه الريح الوحشيه
أطلُعُ من غيظ رقيق
أعرفه وقت الضيق

* * *

من لمحك .. أطلُعُ
من رعبك .. أطلُعُ
فبأيَّ إله بعد اليوم تلوذ ؟

السمعتهم

قالوا ،

سمعتهم .. وهم يتقلبون

من الحريق الى الحريق :

لا بدّ من يافا .. وإن طال الطريق !

الجواب

جعلوا جرحي دواءً
ولذا ،
فأنا أكتب شعري بشظيّه !

اذا لم

كل الذي يُقال ،
لغو ،
اذا لم يصنع الرجال !

أبدية

تتبدل الأوراق من آن لآن
لكن جذع السنديان ..

خبز

القصة الميراث
والأغنية القديمه
خبزٌ على مائدةِ الديمومه
فلتدخل الأدمغة الخواء
ولتدخل الحناجر السقيمه
في ساعة الوضوء ،
حماماتك الديميه

يا قلعة البكاء
يا مدينة الجريمة !

وطن العجائب السبعين

الحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين
والفقر موسيقى ،
وقتل الله في كمين
خبز ،
واستاذ اللغات الجهد العلامة
والفقه والحكمة ،

في تكيّة السلامه
جحش جحا ،
والحزن ياسمين
في وطن العجائب السبعين !

ركض في الساعات

يومٌ ولدناُ ولد الرفضُ
فاستبشري أيتها الأرضُ
عيوننا مفتوحةٌ في الدجى
ضلَّ على شطآنها الغمضُ
ويعبرُ التاريخ .. أحزانه
ركضُ ، وفي ساعاتنا ركضُ
نقول للمرهق في ليلنا

لا يصمدُ الليلُ .. اذا ومضُ !
نحن هنا .. نحن هنا .. فاهدأي
واستبشري أيتها الأرضُ !



قصائد مهريّة

(في ميناء حيفا ، صادرت السلطات كل
ما أحضره الشاعر الآتي من مهرجان صوفيا ،
من مطبوعات ومخطوطات وصور ..
ولكنها لم تستطع مصادرة وشم الذكرى
وهدير الهجس !) .

١ - فداع ١٩٤٨

- عندما ودعتهم ، قالوا : « غبي أو فقير !
يرفض الرحلة للأرض المضيئة
ريثاً تغسل آثار الخطيئة »
كان هذا ، أمس ، من عشرين عام
كان هذا أمس ،
واليوم يقولون لأبراج الحمام :
« عجباً ! نحن تركناه صغير

كيف صار اليوم نسرا ،
يتحدى القمم السود وأنواء المصير « ؟
- إسألوا حيي الذي رببته عشرين عام
أيها الناس !
الذي رببته من أجلكم عشرين عام
إسألوا حيي لكم
.. والحزن .. والسجن الكبير !

٢ - فلسطينية ، في صور فيا

تعرفين جميع الفصول
تعرفين الحديث الطويل
عن غد ضائع في تواريننا المرعبه
تعرفين الذي أشتهي أن أقول
فارحميني !
ارحميني ..
ارحمي قامتي المتعبه !

لهجتي المتعبه
رايتي المتعبه
وتعالى .. نعش أو نمت ،
ساعة في العناق
طال .. طال الفراق
وأنا عائد بعد حين
للبلاد التي حزنها ياسمين
عائد .. للوثاق !

٣ - الجواب

قلت لي : « هل ترى تعيش
إن أنا شئت ، في الألم ؟ »
فإذا بي ، بلا جيوش
أقهر الريح والحمم !

قلت لي : « هل ترى تموت
ان أنا شئت ، في الألم ؟ »
استعارت فمي البيوت

وأجابت معي : « نعم ! »

لست أختار ، فالهوى
سيدي . شئت أم أبيت
في دمي غاص ، وارتوى
وبأحزانه ارتويت !

٤ - وداع في صوفيا

لا تقولي : الوداع !
فغداً نلتقي
والذي قال لي قبل عشرين عام :
« المآسي شرع ! »

ولذا ، لم أبع زورقي
ولذا .. لا تقولي الوداع
فغداً نلتقي !

هـ - حدث في الخافض من حزييران

يذكر القاريء ،
أو لا يذكر القاريء ،
ما كنا رويناها مرارا
في الدواوين القديمه

يذكر القاريء
أو لا يذكر القاريء ،
لكننا أعدناه مرارا
في عبارات سليمه :

ضربة البرق التي تنقض في عرض الطريق
تغمر العابر بالضوء ،
ولو كان الحريق !

.....

يذكر القارئ ،
أو لا يذكر القارئ ،
لكني ، لكي يفهم كل الناس ما قلت ،
أعيد :

نحن ، في الخامس ،
من شهر حزيران ،
ولدنا من جديد !

٦ - يا قيصر الروم

يا قيصر الروم ! قالوا : « الجار للجارِ »
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
دمي يسيل ، ووجهي ضائع ، ويدي
مشلولة ، وفي سدّوه بالقارِ
وأنت دارٍ بما حملتني .. دارٍ
فاربط كلابك ، خذ عني جراحة
يطلون بالموت أبوابي وأشجاري

ماذا تريد؟ وهذي جزيتي .. ذهب
من بيد نجد الى أعتابكم جار
يا قيصر الروم! قالوا: « الجار للجار »
وأنت لي .. حطب التاريخ في ناري!

٧ - طائر الرعد

ويكون أن يأتي
يأتي مع الشمس
وجه تشوّه في غبار مناهج الدرس

ويكون أن يأتي
بعد انتحار الريح في صوتي
شيء .. روائعه بلا حدّ
شيء يسمى في الأغاني :

طائر الرعد !

لا بدَّ أن يأتي

فلقد بلغناها ،

بلغنا قمة الموت !!

قتلي محض باطل

طمئنوا الغدر المبيت°
ان صوتي ليس يكبت°
وعلى موطيء نعلي ،
كل صخرٍ يتفتت°

* * *

طمئنوا النار الغيبه
إن ناري أبدية

وعلى حزن رمادي
تولد الشمس الوفيه !

* * *

طمئنوا هوج الرياح
إنها بعض سلاحي
رغمها ،
- تأتي لحقل ضربته -
باللقاح !

* * *

طمئنوا كل مطاول
ان قتلي - عض باطل
فأنا باق ..
الى ما شئت ..
أحيا .. وأقاتل !

قسّات

عنيدهُ أنا .. كالصخور

إذا حاولوا عصرها

وقاسِ أنا كالنّسور

إذا حاولوا قهرها

وصلبُ أنا .. كالجسور

إذا أثقلوا ظهرها

وحيث أثور

تعيد البراكين لي سرّها!

* * *

ولكنني طيب .. كالسنابل

إذا نشدوا خيرها!

وسمح أنا .. كالخنازل

ولو أتعبوا زهرها

وعندي سخاء المعامل

وبين أصابع كفي

تسيل - إذا أسعفتني - جداول!

* * *

وأغفر ذنب العيون

إذا أيقظت سحرها

وراحت من الشرفات تغازل

وأغفر ذنب الجدائل

إذا استرسلت في المجون

وشاءت تقاتل !
وطفل أنا حين ألعب ،
وعاصفة حين أغضب

.

وحين أثور ،
تعيد البراكين لي سرها !!

مكافأة

مكافأتي للرياح العنيدة -

غداة تهزّ الخشب

غداة تبلّ وريده

- قطوف العنب !

فقولوا لها أن تبادر

وأن تحمل الماء في دربها

وتبني البيادر

وأن تحفظ الخصب في صلبها

* * *

مكافأتي للرياح العنيده

مهبّ جديد

للدنيا جديده !

أنا ضمير المتكلم

الذي التحم بالفعل الماضي الناقص

شهوة الكدح من الفجر ، وموآل الإياب

مسرب الوعر ، وآلاف الأكف السمر

ترتاح على مقبض باب

والمواعيد أنا ، زغرودة الميلاد

والدمع على تطريز منديل اغتراب

وأنا نعناعة التل

أنا النبع وغصن الورد
والمزrab والمدفأة المهجوره
السطح .. أنا سنبلة الحقل
الشجيرات .. ودوريّ القباب
كنت راعي الغنم الأسمر
والارغول ،

كنت النسمة المبتلة الاردان في البحر
الصواري . الرحلة الليلية .. الشط
انتظار الطفل في باب الغياب
وأنا قطعة أرض ،
سكة .. همة فلاح
رحيل في التراب
فإذا بيارة تطلع من لمي
وأطفال وخبز وكتاب !

.

كنت أستاذ الرياضيات
والأعمى المغني والربابه
كنت فيما كنت .. خطاباً وصيادا
وصيحات وغابه
سائس الخيل .. النواطير .. الكروم
قارئ الأنهار ،
تميز الليالي والنجوم
سكنت تحت لحائي كل أصوات القبائل
سكنت تحت لحائي القرية التبنى
بريق العشب ،
رنات المذارى والمعاول
عبرت وجهي القديم
عربات البن والمسك
وآلاف القوافل
وضلوعي ،

قبل أن تصبح مصفاة لبتترول أرامكو
أنجبت جسراً ،
لأثينا ونيسابور والهند القديمه
عبرته الكتب الصفراء ،
في رحلتها المسكونة الدرب
بأشباح القرون المطفأة
وأضاءت فكرتي أحداق أوروبا البهيمه
فلماذا يغمرون الجسر بالنابالم
بالدمع .. بأشلائي .. بحقدي ؟
ولماذا يطردون الشمس عن ليل الجريمة ؟

.

منذ أدمى جبهي عام وراء الأربعين
أيها العالم ، صارت رثي
كبر حداد حزين
واستحالت لغتي

جمرة .. سوطاً .. فدائياً .. كمين
أيها العالم ، هل تسمع ؟
صارت زنبقاتي ،
زنبقاتي - آه - أبواقاً تدوي
لاحتراقي في خيام اللاجئین
وأنا كنت مربیها .. قرونأ وقرون !

.

يسقط العام على العام
ووجهي في الغبار
يسقط العام على العام
ويمتد حواری
لهجتي جامعة كالفرس
وفمي كالجرس
لم يهذبہ احتباس الصوت في القاعات ..
قاعات الوفود الكثر والياقات والوسكي

ولا استقبال أسياد كبار
يحملون الكوكب الأرضي تحت الأبط
من باب مطار لمطار

لهجتي كالفرس

وفمي كالجرس

ولذا تصنع من جلدي السجاجيد

الستارات المماسح

في مقر الأمم المتحدة

ولذا تنهش أطفالي الجوارح

ولذا يكتب اعدامي على كل اللوائح

.

حسناً .. للمرة العشرين : شكراً !

ذات يوم ،

في مقر الأمم المتحدة

يضع العالم اكليلاً من الشوك

على ذكرى صقور ومذابح
ذات يوم ،
بيدي أحسن تغيير الملامح !

انتظري

عنقي على السكين يا وطني
ولكني أقول لك : انتظري !
ويداي خلف الظهر يا وطني
مقيّدتان ،
ولكني أغني
لك .. آه يا جرحي .. أغني !
« أنا لم أخنك .. فلا تخني

أنا لم أبعك .. فلا تبغني !
وطن المزامير التعيسة والوجوه الضائعه
وطن الجذور الحاقده
وطن العواصف والصواعق والليالي الباردة
وطن البساتين السبية والأكف الضارعه
وطن القرى الأطلال والدم والبكاء
أشد أزرك ،
أم تراك تشد يا مغدور أزري ؟
وطن الأكاذيب القديمة والروى والأنبياء
أأكون سرك ،
أم تراك تكون يا مغدور سري ؟
وطن التمزق في المنافى والمذابح والملاجيء
وطن الحقائق والمطارات الغربية والموانىء
وطن الغضب
وطن اللهب

يا من يبوس يديك عبر دموعهم مليون لاجيء !
وطن المذلة والأسى والكبرياء
آمنت بالحب الذي يعطي ،
ويفنى في العطاء ..
ولذا ، أقول لك : انتظري !
عنقي على السكين ، لكني أقول لك :
انتظري !!

بطاقة تذكير

أنت لا تجهل عنواني وتاريخي واسمي

يا ابن عمي

فلماذا تسكب السمّ على بركة سمي ؟

أنت لا تجهل أصفادي وأصفادك يا هذا !

ولا تجهل سجانك ، يا هذا ، وسجني !

فلماذا تسكب الزيت على جمرة حزني ؟

يا ابن عمي

أنا لا أشعر بالنقص .. ولكني أقول

لا لكم .. لكن أقول
للقرى الأطلال ، للوادي المدمى ، للسهول

ليس حسبي
انني أعلنت حيي
لبلادي ولشعبي
وأنا أعلم أن الموت بالمرصاد ،
في عطفة درب !

ليس حسبي
انني أعلنت حيي
وأنا أعلم أني
ما دفعت الثمن الكافي لقبر في الوطن !
ليس حسبي أضعف الإيمان
لكني أغني ..
نحن ما زلنا .. وما زال الزمن !

الموت في الوعي الكامل

حين تغوص السكة الغريبه
في لحمي المسي يا ترابي
تسيل من لحمي أنا الدماء
وتغرق الأشياء في الضباب
ويولد البكاء
في لغة الأسرار والعجيبه !

عاد

عاد من رحلته الفصول
بالأناشيد والوعود
ويشيعون انه كان أيامها يقول :
في شقوق الدجى أعود !
.
ويشيعون انهم ،
سمعوا في الدجى عويل

وعواء من الحدود :
مَن ترى يعرف القتل ؟

آخر ما سمعته منه

لا تقل : « أخطأت فاغفر خطأي ! »
لا تتكلم !
لا تقل .. للمرة العشرين ،
أبصرت إلهاً يتحطم
آن أن نصنع شيئاً ما
بلا لفظ .. أتفهم ؟
آن أن نتقن أسرار جهنم

* * *

ومضى .. لا تسألوا أين ؟

فإني لست أعلم !

آه .. لو يعرف اني بعده

اتقنت أسرار جهنم !

قصيدة

اسندوني .. اذا قتلت .. بصخره
وارفعوا لي وجهي إزاء الرياح
واتركوني أفنى لآخر ذره
في غيوم الدجى وعشب الصباح !

* * *

وإذا متّ في الفراش ، ادفنوني

عاريًا .. فوق قمة من بلادي
وليرحني النسيان .. أو فاذا كروني
إن ذكرتم .. أجمل الأعياد !

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

نشرت هذه القصيدة « الملحمة » في
جزئين في جريدة الاتحاد التي تصدر في
مدينة حيفا من الأرض المحتلة ١٩٧٠ .

- ١ -

مُتلثماً بالريح ،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه !
ألقي التحية ،
كأظماً جرحي وحقد الغنفرينه
وأقول في ثقة لكل الأصدقاء
وأقول في ثقة لوالدتي الحزينه
خلو المحارم والبكاء
لطقوس عودتي القريبه
مُتلثماً بالريح ،
ملتفأً بخارطتي الرحيبه !

- ٢ -

صمتي .. وببداء تميد ، ترق ، تحملني ،

تموج

صمتي .. وصاعقه تزلزلي

إلى دهر العباءات الفصيحة والقباب

- أين البيارق والسروج ؟

جهزت عمارتنا ،

وبحر الروم يضمّر شرّه ،

وتهر آلاف الكلاب .

.

صمتي وببداء تموج

في حفلة الكوكتيل .. والقبطان يغمزها

فتأتي

– هل تأذنين برقصةٍ ؟

هل تشربين ؟

من أين أذتِ ؟

ويصيح تركي بدين :

– كل الذين عرفتهم ماتوا ،

وآخر أصدقائي

ضبطوه مختلساً نقود البنك ،

كان مقامراً وغداً يموت على النساء !

ومهاجر ضاقت به البلجيك

كالاسفنج يشرب ، وهو يجار بالغناء :

« ناءٍ . أنا يا بنت ناءٍ »

والجاز يصخب ، آه . يسقط ، آه ،

يحملني ، يهيج

صمتي وببداء تموج
ويلح بحار عجوز
- من أين أنت ؟ وما لديك ؟
- أنا من بلاد الله ، أبحث عنه في بلدٍ

غريب

- وإذا عثرت عليه ؟
- أسرد قصتي
- أصفي إليك !
- رافقتها طفلاً ، لمدرسة السموم

الطائفية

قبَّلْتُهَا سرّاً ،
ونما خلف سور العائليه
عادية كانت ،
وكنت زميلها في الكارثة
يوم اكتشفت سقوطها في ملجأ الأيتام ،

فجأه !

فعدت - قبل الأربعين - قراننا
وبدون حب جارف ..
في ملجأ الأيتام . فجأه !
يوم اكتشفت سقوطها البحري ،
والبري ،
والجوي .. فجأه !
وسقطت مطعوناً ،
ونجم سينائي يداعب لها
ويبيح دفته
في حفل إل. اس. دي. وصودا كاويه
والمخرجون يقهقون ،
ويبسم الكومبارس في بله
فتسقط دمعتي جماً على شفتي
وذقني كعب نعل في التراب
.

مَن قال ، وجه مستعار يشتري شرفي
بمالٍ مستعار

مَن قال ، يسقط ألف باب
وتظل مائدة القهار

مَن قال ، في لحمي تمد جذورها السوداء
مائدة القهار

مَن قال ، توضع زوجتي رهناً ،
وتأخذني الصحاري والبحار ؟
- وغداة ادركك الصباح ،
ماذا فعلت بما غنمت من المذلة

والجراح ؟

- زكيت أحزاني باغنية وزهرة .

برتقال

ووقفت في ريح الشمال

عذباً كحد السيف ، في ريح الشمال !

– ماذا تقول الأغنية !

– بعنا ثمار الصيف يا حي ،

بأوراق الخريف

بعنا ربيعك . بالخريف

بعنا شتاءك .. بالخريف

بعنا خريفك بالخريف .

بعنا الوصية بالزكيبه

بعنا أغاني الحاصدين ، بأم كلثوم العجيبه .

بعنا صفارك بالسعال .

والفقر والزهرى . في أحضان عاهرة

غريبه .

فلنبك يا حي دماً .

ولنبك ، آه ، كالنساء .

ملكاً مضاعاً

لم نصن حرماته مثل الرجال !.

- وسقطت ؟.

- انهض في المُحال !.

قدمي تدق بلاط أوروبا .
ووجهي في رمالك يا جزيره .
ويداي في اشجارك العادت تنور يا

جزائر .

وفمي بلال في ما ذنك العتيقة يا يمن
ودمي يسح على جدارك يا كنانه .
ليطل سنبلة تهجي درسها .
لشيد حقل في عدن .
ويشق صلصال العراق
يشقه عن اقحوانه ..

قدمي تدق بلاط أوروبا

وزادي .. ما تبقى

مني ، اوزعه واشقى !.

ابواب اسطنبول تجهلني ،
وتجهلني المواخير الكثيبة والمآذن .
وتشيع عن وجهي الوجوه الغارقه .
في الشاي والحزن المداهن .
وتميل عن دربي الصبايا .
والمقاهي والمداخن .
وينخونني حمال امتعتي .
ويشتم سائق التاكسي أبي
لم يعجب البقشيش حضرته ،
فقال عليّ ، بياع حزين :

– اليوم شرف بيتنا الأسطول ،

شرفنا الجنود الشقر

فالأسعار شيء آخر ،

ما سعر زوجتك الفقيدة ؟

ها . ها ها . ها . ما سعرها ،

أرغيف خبز .. أم قصيده ؟

وأجوس أرصفة الشوارع

باحثاً عن وجه صاحب

ارتاح في ظل المساجد ،

بين أقدام الأجانب

وأنام ، من تعبي أنام

على التمزق والحقائب ..

.

– هذا الفتى البدوي ،

يسأل عن صديق باسم ناظم

عيناه من بوسفورنا
ويداه جذعا سروتين !
ويقول أن صديقه يأتي المدينه كل عام
متفقداً شوق الفصول الى المواسم
لا علم لي ، وعصي شرطتنا تلوح في الظلام !
لا علم لي . يا أيها البدوي .
بالدم والعقيده
ما زال جلد الكبش بدلتني الوحيده !
.
.
انسان اسطنبول يجهلني ،
ويجهل زوجتي !

- ٥ -

هذا أنا .. فعمي صباحاً يا أئينا

ومعي اليك تحيه

من ابن رشد وابن سينا

لم يطلبوا كتباً ،

فقد سمعوا تفاصيل المصيبة

واستنكروا تعذيب جالينوس

في « يورا » الرهيبة ..

.

هذا أنا .. فعمي صباحاً ،

واغفري لي إن سألتك عن صديق

باسم ميكييس !
كسروا على كتفي ارغولي ،
فقلتُ أقوم أقصد صاحبي
فلعل نايأ عنده ، لم يكسروه على جبينه !
- من أنت ؟

من طول البكا عشيت عيوني يا غريب
وتمزقت رثتي

وقصوا جبهتي رتبا

على أكتاف قواد المظليين والبوليس

أصحاب الفخامة واليخوت

وأنا معلقة على برج الكنيسة

آه . من شعري معلقة . أموت

من أنت ؟

أبنائي ذباب في شرك العنكبوت

حزن وأوزو يومهم

والعالم سرقاكي وحزن !

.

– لم تعرفيني يا أثينا !

لم تعرفيني . فالوداع . الى غدٍ

يا أنتجونا !!

سقراط هذا العصر ، يرفض كأسه

ويموت باسمٍ آخرٍ

في ساحة الاضراب ،

في المنفى ،

أو السجن الذي سيصير يوماً مدرسه !!

برلين تعرفني ،
وتذكرُ قامتي ودمي وصوتي
برلين تشهد انني
في ليل بوخنفالد ، كنت شريكها
في ليل نكبتها بموتي .
فلتُعطي يدها ،
أقبلها . وأمنحها جيبني
وأقول يا أختي التي خبرت عذابي
باركيني !

.

برلين تعرفني ،
وتعرف زوجتي ،
وهموم بيتي !

- ٧ -

ليلاً .. أحج اليك يا حيي القديم

ليلاً .. بلا باقات أزهار ،

بلا تحف ثمينه

يا جدتي ،

يا جدة العرب الحزينه !

في حلّة الأفرنج ، يا حيي القديم

أدلت . لا كتبي مشرّعة على حدّ الأسنه

أدلت . تشقل كاهلي المطعون محنه

والجرح رحماني الرحيم

يا زاد أجدادي وزادي ،

في الطريق الى النعيم ..
شلت دمشق يدي ، لكني شفيت
يوم استرحت على يدك
حبيبي .. يا قرطبه !
فقات كنانة بؤبؤي

فرددت لي بصري معافى عاشقاً
يا قرطبه !

ضيّعت في بغداد صوتي . ثم كان ،
أنا التقينا في شوارعك الرؤى
يا قرطبه !

سلطانة الحزن المرشّس ياسميناً
فوق أكتاف الزمان

كوني لنا .. يا قرطبه

كوني لهم .. يا قرطبه

لا بأس .. ما دامت جذورك

صحيةً في مهرجان !
- ردّ الشباب اليّ ،
أن أعطي مغني القافله
صوت القرون الحافله ،
زاداً على درب القرون الحافله ،
لكنني ، بدّلت يا ولدي
أناشيدي
وألواني
وإسم العائله !
- لا بأس ، ما دامت جذورك
صحية في مهرجان !
- ما خطب' زوجتك الفقيده ؟
هل بدّلت صوتاً
وألواناً
وإسم العائله

- حيي لها ،

ولذا أصدّرُ للنساء الآخريات

لمي وأشعاري وأرغفتي

وأعواد الثقاب ..

حيي لها !

ولذا ، تربّي قامتي ظفراً وناب

وتغيبُ في كل الجهات

وتعودُ من كل الجهات

ليكون ميلاد ،

وتطلعَ عشبة ،

وينشقَّ باب !!

رحلة السراذيب الموحشة



- ١ -

لم تمثّل الريح روضتها ، بغبار

طلعي

غدرت بعاشقها الجميل

فالمحل غلته لهذا العام ،

والصبر الطويل ..

لم تمثّل الريح التي روضتها ، بغبار

طلعي

وقشور اشجاري مشققة ككفي

والنسع منذور لصيف

فلتبتك زوجتي الحبيبه
إن زرتها في السجن ،
محنياً على أزهار شمع !

- ٢ -

لم تمثل الريح التي روضتها من ألف عام
فتكاثروا .. وتكاثروا ..
يا أمة الصليبان ، يا سكان مملكة الخيام
نعم الوكيل ، وكالة الغوث الكريمة ،
والمطابع
عسلاً تدر ،
على بريق الدفعة الأخرى من الأوطان ،
كرتات الأعاشه !

- ٣ -

لم تمثل الريح التي ..
شكراً لكم .. شكراً ،
على هذي الصناديق المليئة بالدواء
والحزن .. والسردين .. والظل والمقعد ..

والثياب

وأقول شكراً مرة أخرى
إذا جدتم ببعض الأغطيه
فالبرد فاكهة الشتاء ..
شكراً لكم .
باسم البساتين الخطايا

باسم حزن الأوديه
باسم الشوارع والمدارس والمخازن
باسم المعاول والمقابر والموانئ
ومراكب الصيد التي نسيت كلام الأغنيه
شكراً لكم ،
شكراً لكم ،
من طحلب تمتد قامته
لتصعد من ظلام الأقبية !.

- ٤ -

نضد ملفات القرارات ..

القديمة والجديده

خذ قلب خفاش

وعيني بومة

وجناح قاذفة

وسعة طفلة ،

ستموت في سل الرثه ،

وأكسر عليها بيضة العنقاء ،

وأقذفها لقعر البئر ..

تحترق الخيام

ويعير نسلك متعة للناظرين

وترفُّ أجنحة السلام

وتعود للبلد الأمين !

.

أمح العناوين القديمة والجديده

أمح الإذاعة والجريده

وأكتب على الجدران ، باجير ، الرواية

والقصيده

وأرسم على الجدران ،

خارطه

وعصفوراً

وزهره

واحلم قبيل النوم مره

ليعود الأرض السلام

وتعود في الناس المسرّه !

• • • • •

إنس القرايين القديه

إنس القرايين الجديده

واذكر ، قبيل الأكل ، مرات ثلاثاً في

النهار

كل التقارير المهينة من خطوط المعركة

والنوم في عز الحراسه

والسطو في عز الظهيره

والأخوة الجبناء ، سرّاً ،

والأراجيف الحقيره

واذكر صغاراً يخدمون على نفايات الكناسه

واذكر وجوه النائمين على غبار الأرصفه

والساهرين على محطات القطار

والمائلين على منصات السياسه

واذكر سقوط أميرة الأزهار
في وضح النهار ..
لتصير قربان الفصول القادمة ..
في الليل منشقاً بسيف ، صك من
نور وثار !

في العالم السري ، تختلف الطقوس
عن عالم النابالم ، والأنباء عن قتلى
المعارك

في العالم السري تختلف الطقوس
عن عالم الدم والهبوط على القمر
قبل الهبوط على الحقيقة
في العالم السري تنغلق الحديقة
ليصير دمعي أول الشوط الطويل إلى
التمر

وتنال راحتها الجميلة في اللغات

قبل الرجوع الى السفر
في حقل ألغام الجهات

.

من كل أطفال العواصم
والأقاليم البعيده

زوج .. وكركرة رشيقه

من كل أزهار الحدائق والبراري والمياه

زوج .. وأجنحة سعيده

تلهو بدون بطاقة رسمية

من سلطة الأمن المریده

وتترف صاعده ، على شرفات أقواس

القزح

لتنام في شعر الإله

وتعود قبل الفجر ، حاملة زواويد الفرحة

.

من كل نوع . آه . زوج
آه . يا نبض الحياه
في العالم السري .. آه !!

- ٦ -

حلت صنوبرة ضفائرها ، وظللت الجنود
العائدين من الحدود

شمس الظهيرة في بنادقهم وأتربة الخنادق
- الجوخانق !

- أبصرته متحفزاً ،

أبصرت في كفيه موتي

جمدت يداي على حديد البندقية

لم يطلق النار .. اقتربنا .. ازداد

حجم السنديان

بادلته تبغاً بماء .

ماذا يقول الادعاء

في نص أنظمة الطوارئ والشؤون
العسكريه ؟

- لكنهم حمقى . برابرة . حفاه !

- الموت في بيتي ،

وبين يديك يا أمي الحبيبه

أحلى لدي من الحياه

في جرح أرصفة غريبه !

.

حلت صنوبره ضفائرها وظلات الجنود

المتين على الحدود

- في جيبه المثقوب عند القلب ، صورة

أسرته

- في جيبه قرط وفي آخر صورة لخطيبته

في أذنها اليسرى شقيق القرط ، منتظراً

شقيقه

– منديله . عنوانه . ورسالة من طفلة ،

مبتلة بالدم ، بين حروفها اشتعلت حريقه

– لم يبق غير ذراعه ،

وحذائه المعجون بالدم والتراب

– لم يبق منه غير ابزيم الحزام ..

ورقبته

ويصيح بياع رمادي ضئيل

مستبشراً بالخبز ، وهو يجد في رفع العقيره

ليبيع سم ملاحق الصحف الحقيه

(عدد خصوصي مثير

قتلى بلا عدد . وأسرار مثيره

أنباء معركة أخيره

من قلب خط النار ..)

– من قلب الجنون على الشفير !!

.

حلت ضفيريها على النعش المجلل بالسؤال :

من قال ، يحمل في حقيبته الصباح

صوتاً لساحات المدارس

فيعود محمولا على كتف المساء

ذكرى لساحات القتال

وبطاقة مطبوعة .. من قائد الأركان

تحمل للقتيل وسام فارس !

.

(في سالف الأزمان ،

كان الورد مرسال الحبيب

لحيبه .. ولكل زهرة

معنى .. تراك تحبني ؟

غيران !

يا حي اذكريني !

في حاضر الأزمان ،

صارت كلها .. كل الورود

صيحات حزن فوق تابوت ،

يفل فتى وفكره ..

.

(لا . لا تموتوا .

يا شيوخ مدينتي . لا . لا تموتوا .

فالورد لا يكفي لغير الميتين على الحدود .)

.

(يا موت ! كيف أتنتها ؟ .

يا موت ! كيف عرفتها ؟ .

يا موت ! .

هل أعطتك وصف طريقها هذي

البيوت؟!) .

.

حلت ضفیرتها علیه

وبکت .. وكان بكاؤها

يأتي ويصعد غارقاً في الدم ، من كل الجهات

فالحزن تعرف سره وطريقه كل اللغات ..

- ٧ -

مستلقياً في النهر .
مغموراً بأحزان الطحالب .
أو مائلاً في غمرة البيداء .
مدعوماً بأعمدة الرمال الغاضبه
أو واقفاً في الريح ،
مشحوناً بأجبال تحارب
اسكندرون يتم سمفونيته
اسكندرون يفك انسانيته

من برجك المرصود ، يا أرض الشمس
الغاربة !

.

باسم الهواء الطلق

والحب المغس بالتراب

باسم ارتطام الفجر بالسكك التقية والمعاول

باسم الشواهد والسنابل

باسم الأغاني . الياسمين . الضحك في فيء

المنازل

وشقائق النعمان . والزيتون . والقصب

الملوح في الضفاف

باسم الحنين الى الطفولة

باسم الحنين الى الشباب

باسم الجنازة والزفاف

اسكندرون يريد زوجته ،

ويحلم بالسلام ...

أطفال وفتح

- ١ -

للذي يحفر في جرح الملايين طريقه
للذي تسحق دباباته ورد الحديقه
للذي يكسر في الليل شبابيك المنازل
للذي يشعل بستاناً ، ومتحف

ويغني للحريقه !
للذي ينحلُّ في خطوته شعر الثواكل
ودوالٍ تتقصّف

للذي يصدّم في الميدان دوري الفرّح
للذي تقصف طياراته حلم الطفوله
للذي يكسر أقواس قزح

يعلن الليلة أطفال الجذور المستحيله
يعلن الليلة أطفال رفح :

نحن لم ننسج غطاءً من جديده
نحن لم نبصق على وجه قتيله
بعد أن نزرع أسنان الذهب

فلماذا تأخذ الحلوى ،

وتعطينا القنابل ؟

ولماذا تحمل اليتم لأطفال العرب ؟

ألف شكراً ،
بلغ الحزن بنا سن الرجوله
وعلينا أن نقاتل !

- ٢ -

كانت الشمس على سنبجة فاتح
جثة عارية ممتنه
تنزف الصمت على حقد المسابح
ووجوه حولها محتقنه
صاح محتل خرافي الملامح :
« لن تنوحوا ؟ .. »
حسناً .. حظر تجول ،
« منذ سا .. »
وانشق عن صوت علاء الدين
ميلاد الحساسين الجوارح

– أنا ألقيتُ على سيارة الجيش الحجارة
أنا وزَّعتُ المناشير ،
وأعطيتُ الإشاره
أنا طرَّزتُ الشعار
ناقلًا كرسيَّ والفرشاه
من حيِّ .. لبيتِ .. لجدار
أنا جمَّعتُ الصغار
وحلفنا .. باغتراب اللاجئين
أن نكافح ،
طالما تلمع في شارعنا ، سنجة فاتح !
.
لم يزد عمر علاء الدين ،
عن عشر سنين ..

شجر الفتنة مكسور ،
وأبواب رفح
ختمت بالحزن
أو بالشمع
أو حظر التجول ..
وعليها كان أن تنقل خبزاً وضمادا
لجريح ، بعد نصف الليل عادا
وعليها كان أن تقطع شارع
رصدته أعين الأعراب
والريح ،

وفوهات المدافع ..

.

شجر الفتنة مكسور ،

وكالجرح انفتح

باب بيت في رفح

.

قفزة ... في حزن فنائه

قفزة ... واحتضنتها

في رصيف الرعب نخلة

حاذري ، في كل نقله !

قفزه ،

دوريّة ،

أنوار كشاف ،

وسطه !

- من تكونين ؟

– قفي !

خمس بنادق

جحظت من حولها ، خمس بنادق

.

وغُدَاة انعقدت باسم الغزاه المحكه

حضرُوا بالمجرمه

.

، آمنه ،

طفلة في الثامنة !

باسم أمن الفاتحين
ألقوا القبض عليه من شهور
باسم أمن الفاتحين
لم يزل زوجك مجهول الإقامة
لم يزل زوجك .. ميتاً أو سجين
من شهور ، باسم أمن الفاتحين
فأعجني دمعاً وصلصالاً ،
إذا عزَّ الطحين
واطبخي حزناً وصباراً وطين

باسم أمن الفاتحين !

.

هيه يا زوجة مجهول الإقامة

ما الذي تنتظرين ؟

صلوات العودِ للمنزل في باص السلامه

نفدت .. ماذا ترى تنتظرين ؟

نفدت .. من كل دين !

.

أوصت الجارة خيراً ،

بابن مجهول الإقامة

واشترت تذكرة حمراء ،

من سوق الغضب

واستعاضت عن قطار في محطات

السلامه

بقطارٍ ،

صاعدٍ عبر محطات اللهب !

.

ساعة مرّت ،

ومرت ساعة أخرى

وساعه ،

قبل أن ترجع ،

في حمالةٍ مصبوغةٍ بالدم ،

حناء الشجاعة !

.

قضي الأمر ،

فهل تملك أهلاً آخرين

في خيام اللاجئين

يا ابن مجهول الإقامة

وابن من ملّت محطات السلامه ؟

- قضي الأمر ؟

وكالوحش الجريح

حملت أطرافه هبة ريح

في يدٍ، دميته - كان اشتراها

منذ أعوامٍ من القدس، أبوه

وهو في الدرب إلى الشام،

وفي عمان لاقاه صديق تونسي

زار بيروت،

وأمضى عطلةً في القاهرة -

في يدٍ دميته - كان اشتراها منذ .. -

وفي الأخرى دواة - صنعت في مصر -

كالوحش الجريح

حملت أطرافه هبة ريح !

.

وعلى منعطف الشارع،

في أقصى المدينة

كان أطفال التواريخ الحزينه
يجمعون الكتب والأخشاب واليتم ،
البراويز ، وأوتاد الخيام
علها تصبح متراساً ،
يسد الدرب في وجه الظلام
علها تقلق أفواج الضغينه
ريثما يغسل عينيه السلام
من غبار الحقد والحرب الهجينه !
ومع الكتب ، مع الأخشاب واليتم
البراويز وأوتاد الخيام ،
أعطت المتراس صمتاً عصبياً .. دميتُه
واستعدتْ بدواةٍ ، قبضتُه
.....
وغداة انغلت أبواب أمن الفاتحين

كان في المعتقلين
ابن مجهول الإقامة

.....

حاشيه :

عمره تسع سنين ..

فهرست

٦٦	انتيجوتا	٥	مقدمة
٦٩	بابل		أغاني الدروب
٧٦	أكثر من معركة		جيل المساة
٧٨	الساحر والبركان	٣٤	ما زال
٨٠	أخوه	٣٦	لأننا
٨٤	السلام	٣٧	في القرن العشرين
٨٩	روما	٣٨	أمطار الدم
٩٠	كرومبيل	٤١	أطفال ١٩٤٨
٩٢	من وراء القضبان	٤٧	غرباء
٩٥	رسالة من المعتقل	٥٠	القصيدة الناقصة
٩٩	يهوشع مات	٥٢	بوابة الدموع
١٠٢	الذئاب المحر	٥٧	صوت اللجنة الضائعة
١٠٤	توتم	٥٩	رسالة الى الله
		٦٣	

١٣١	طفل يعقوب	١٠٧	باتريس لومومبا
١٣٣	اقطاع	١٠٩	في صف الأعداء
١٣٥	الانسان الرقم	١١٤	من أجل
١٣٧	مرثية أغنية قديمة	١١٦	الجنود
١٣٩	درب الحلوة	١١٩	عروس النيل
١٤١	يوم الأحد	١٢٢	الى صاحب ملايين
١٤٤	رماد	١٢٥	المطر والفلوذا
١٤٧	قربان	١٢٧	السرطان

دخان البراكين

٢١٩	أغنية مشوه حرب	١٥٣	ليلي العدنية
٢٢٤	مغني الرابطة على سطح من الطين	١٧١	من مفكرة أيوب
٢٢٧	أنادي الموت	١٨٨	الذي قتل في المنفى كتب الي
٢٣٠	القديسات الخمس	١٩٢	مزامير
٢٣٤	التعاويد المضادة للطائرات		الطفل الذي ضحك لأمه
٢٤١	من يوميات جوني جيتار	٢٠٢	المقتولة
٢٤٨	أنا وأنت	٢٠٤	الموت يشتهيني فتياً
٢٥٠	لا تطعميني	٢٠٦	زنابق لمزهرية فيروز
٢٥٢	أيها الحراس أراه حياً واقتلوني	٢١١	ثورة مغني الرابطة

طلب انتساب للحزب

	عزيمي ايفان اليكسيفتش	٢٦٥	مقدمة
٢٨١	اكتوبر	٢٧١	طلب انتساب للحزب
		٢٧٥	أفكار ازدهمت بدون ترتيب

ارم

٣١١	الخطيئة والوثن	٢٩٩	ترجية
٣١٧	أبطال الراية	٣٠١	تبيين
٣٢٤	هيروشيا	٣٠٣	ارم الفاضلة
٣٢٨	بطاقات الى ميادين المعركة	٣٠٥	البحث عن الجنة

في انتظار طائر الرعد

٣٦٨	الخفافيش	٣٥٣	أصوات من مدن بعيدة
٣٧٠	قصفة الفيجن	٣٦٤	الربع
٣٧٢	طائر الرعد	٣٦٦	البيت الأخير في القصيدة

٣٩١	نخلة الساحة	٣٧٣	الى القمة
٣٩٤	أعرف من أين	٣٧٤	القطار العائد من الصعيد
٣٩٧	أنا وأنت	٣٧٧	المجهول
٣٩٩	برلين تستعيد شعرها	٣٧٨	تجاوز
٤٠٥	تعالى لدرسم معاً قوس قزح	٣٧٩	تناسخ
٤١٢	أعدكم بأن ترثوا جياداً نفائفة	٣٨٢	أبناء الحرب
٤٢٤	وقع خطى في دهليز الموت	٣٨٣	كلمة الصعود
٤٢٨	في ه حزينان	٣٨٥	شمس اريحا
٤٣١	دون جوان وكاهنة النار	٣٨٧	وليمة
٤٣٤	مساء واحد فقط	٣٨٩	بعدها
٤٣٨	في انتظار طائر الرعد	٣٩٠	نعرف القصة

دمي على كفي

٤٧٠	الجواد الجامح	٤٤٧	خطاب في سوق البطالة
٤٧٤	على قلعة الامبراطور	٤٥١	اشربوا
٤٧٨	أعلنها	٤٥٣	قيصنا البالي
٤٨١	صقر قريش	٤٥٩	ليد ظلت تقاوم
٤٨٣	الأرض من بعدي	٤٦٤	اليك هناك حيث تموت

٥٣٨	الميلاد	٤٨٧	لو
٥٤٢	مرثية بدر شاكر السياب	٤٩١	دفقة الأجيال
٥٤٤	على أكتاف أشعاري	٤٩٤	من المدينة
٥٤٨	حوارية العار	٤٩٧	لن
٥٥٦	حوارية مع رجل يكرهني	٤٩٩	هكذا
٥٥٩	وحيداً في ليلة رأس السنة	٥٠١	الى القارة المجهولة
٥٦٤	الحاصد الأول	٥٠٤	البيت الحزين
٥٦٧	يا قمرنا المغدور	٥٠٧	أختي صنعاء
٥٧٠	الاعلام		الى جميع الرجال الأنيقين في
٥٧٣	ازوريس الجديد	٥١٠	هيئة الأمم المتحدة
٥٧٥	نناديك	٥١٣	من هنا تبعثر النسور
٥٧٧	سينراما	٥٢٢	وطن
٥٨٠	لمن أعطيك	٥٢٦	الى حارس فنار عكا
٥٨٦	في ذكرى المعتصم	٥٢٨	حتى الموت
٦٠٨	يفجيني أفتشكنكو	٥٣٣	في القطار

لسقوط الأقنعة

٦٢٤	المؤمنة	٦٢١	ولو
٦٢٥	الديمومة	٦٢٢	ينبغي

٦٦٣	٢ - فلسطينية في صوفيا	٦٢٧	العائد
٦٦٥	٣ - الجواب	٦٢٩	سقوط الأقمعة
٦٦٧	٤ - وداع في صوفيا	٦٣٧	كلمة السر
	٥ - حدث في الخامس	٦٤١	لم أزل
٦٦٨	من حزيران	٦٤٢	صحو
٦٧٠	٦ - يا قيصر الروم	٦٤٣	الشفة المقصودة
٦٧٢	٧ - طائر الرعد	٦٤٤	مق
٦٧٤	قتلي محض باطل	٦٤٦	حلول
٦٧٦	قسبات	٦٤٨	سمعتهم
٦٧٩	مكافأة	٦٤٩	الجواب
	أنا ضمير التكلم الذي التحم	٦٥٠	إذا لم ..
٦٨١	بالفعل الماضي الناقص	٦٥١	أبدية
٦٨٨	انتظرنى	٦٥٢	خبز
٦٩١	بطاقة تذكير	٦٥٤	وطن العجائب السبعين
٦٩٣	الموت في الوعي الكامل	٦٥٦	ركض في الساحات
٦٩٤	عاد		
٦٩٦	آخر ما سمعته منه		
٦٩٨	وصية	٦٦١	قصائد مهربة
			١ - وداع ١٩٤٨

اسكندرون في رحلة الداخل والخارج

٧٢٧	رحلة السراييب الموحشة		اسكندرون في رحلة الداخل
٧٤٩	أطفال رفح	٧٠٣	والخارج

• القرآن الكريم برواية ورش

المصادر:

ديوان سميح القاسم، دار العودة، بيروت، 1987.

المراجع:

3- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، 1990.

4- إحسان عباس: اتجاهات الشعر العربي المعاصر، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1978.

5- أحمد أبو زيد: الواقع والأسطورة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، مصر، 2002.

6- أحمد أمين: قاموس العادات والتقاليد المصرية، لجنة التأليف والترجمة والنشر، مصر، 1953.

7- آرثر كورتل: قاموس أساطير العالم، تر: سهى التريحي، دار نينوى للنشر، 2010.

8- اريش فروم: الحكايات والأساطير والأحلام، تر: صلاح حاتم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 1990.

9- الأسطورة توثيق حضاري قسم الدراسات والبحوث جمعية التجديد الثقافية والاجتماعية، دار كيوان، سوريا، ط1، 2009.

10- آمنة بعلی: أثر الرمز في بنية القصيدة العربية المعاصرة، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995.

11- أمين سلامة: الأساطير اليونانية والرومانية، مكتبة النهضة المصرية، دط، دت.

12- أمين سلامة: الأعلام في الأساطير اليونانية والرومانية، مؤسسة دار العروبة، مصر، ط1، 1988.

13- إيمان محمد أمين الكيلاني: بدر شاكر السياب (دراسة أسلوبية لشعره)، دار وائل للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2008.

14- حسن أيوب: قصص الأنبياء، دار السلام، مصر، ط1، 2007.

- 15- حسين الحاج حسن: الأسطورة عند العرب في الجاهلية، المؤسسة الجامعية للنشر، لبنان، 1998.
- 16- حنا عبود: الميثولوجيا العالمية، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2009.
- 17- رجاء عيد: لغة الشعر (قراءة في الشعر العربي الحديث)، منشأة المعارف، مصر، 2003.
- 18- عبد الرحمان قعود: الإبهام في شعر الحداثة، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 2002.
- 19- عبد الرضا علي: الأسطورة في شعر السياب، منشورات وزارة الثقافة والفنون، العراق، 1978.
- 20- ريتا عوض: أسطورة الموت والانبعاث في الشعر العربي الحديث، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1978.
- 21- سيد القمني: الأسطورة والتراث، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، ط3، 1999.
- 22- عز الدين اسماعيل: الشعر العربي المعاصر قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، مصر، ط3، 1978.
- 23- علي أحمد سعيد (أدونيس): زمن الشعر، دار العودة، لبنان، ط3، 1983.
- 24- علي البطل: الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب، الربيعان للنشر والتوزيع، الكويت، ط1، 1982.
- 25- علي عشري زايد: استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دار الفكر، مصر، 2007.
- 26- عماد حاتم: أساطير اليونان، دار الشرق العربي، لبنان، ط3، 2008.
- 27- فاروق خورشيد: أديب الأسطورة عند العرب، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2004.

- 28- فراس السواح: لغز عشتار الألوهية المؤنثة وأصل الدين والأسطورة، دار علاء الدين، دمشق، ط6، 1996.
- 29- كاملي بلحاج: أثر التراث الشعبي في تشكيل القصيدة العربية المعاصرة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2004.
- 30- كاميليا عبد الفتاح: القصيدة العربية المعاصرة (دراسة تحليلية في البنية الفكرية والفنية)، دار المطبوعات الجامعية، الإسكندرية، 2007.
- 31- الكسي لوصيف: فلسفة الأسطورة، تر: منذر حلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2005.
- 32- كلود ليفي ستراوس: الأسطورة والمعنى، تر: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1986.
- 33- مجموعة من العلماء والباحثين: الموسوعة العربية المسيرة، المكتبة المصرية، م 1، بيروت، ط2010، 1 .
- 34- محمد عجينة: موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها، دار الفرابي، لبنان، ط1، 1994.
- 35- ميرسيا إلياد: مظاهر الأسطورة، تر: نهاد خياطة، دار كنعان للدراسات والنشر، دمشق، ط1، 1991.
- 36- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، دار نهضة مصر، القاهرة، دت.
- 37- وليد بوعديلة: شعرية الكنعنة، دار مجدلاوي، الأردن، ط1، 2009.

المواقع الإلكترونية:

38- محمد عبد الرحمن يونس: مداخل نظرية في الأسطورة وأهميتها وتوظيفها في

الخطاب الشعري www.ovroesuniversity.org

39 - منتديات ستار تايمز.

مطابق

مقدمة

خاتمة

قائمة المصادر والمراجع

مظن

مقدمة

03.....	مدخل:
04.....	أولاً: تعريف الأسطورة
04.....	1 لغة
05.....	2 اصطلاحاً
07.....	ثانياً: نشأة الأسطورة
09.....	ثالثاً: أنواع الأسطورة
12.....	رابعاً: أهمية توظيف الأسطورة في الخطاب الشعري
16.....	الفصل الأول: تجليات التوظيف الأسطوري في ديوان سميح القاسم
18.....	أولاً: الأساطير اليونانية
25.....	ثانياً: الأساطير الفرعونية
28.....	ثالثاً: الأساطير البابلية
33.....	الفصل الثاني: الرموز الدينية والتاريخية في ديوان سميح القاسم
35.....	أولاً: الرموز الدينية
35.....	1- الأماكن
37.....	2- الشخصيات
42.....	ثانياً: الرموز التاريخية
43.....	1- الأماكن
43.....	2- الشخصيات
47.....	الخاتمة
50.....	ملحق
53.....	قائمة المصادر والمراجع
58.....	فهرس الموضوعات:

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر - بسكرة

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية



الأسطورة في ديوان سميح القاسم

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في الآداب واللغة العربية

تخصص: أدب حديث ومعاصر

إشراف الأستاذة:

فاطمة دخية

إعداد الطالبة:

أمال دهان

السنة الجامعية:

2014 / 2015م

1435/1436هـ

شكلت الأسطورة حضوراً متميزاً في ديوان سميح القاسم، إذ اتكأ على جملة من الرموز حاول من خلالها تقديم قراءة لهذا الواقع، ليكشف عن موقفه وما يعاينه من مرارة وقهر بأساليب تعبيرية مفعمة بالدلالة.

ومن أسباب اختيارنا لهذا البحث أن الأسطورة عرفت انتشاراً واسعاً في الشعر العربي المعاصر عامة، وفي ديوان سميح القاسم خاصة، بالإضافة إلى الطابع الروحي والفلسفي الذي تتميز به هذه السمة جعلتنا نصر على شعره كمادة خصبة للبحث والدراسة للغوص في مكامن النص الشعري المفعم بالدلالات والجماليات. مما جعلنا نتساءل عن حقيقة توظيف سميح القاسم للرموز الأسطورية في ديوانه؟ وما هي الدوافع التي كانت وراء هذا التوظيف؟

للإجابة على هذه التساؤلات ارتأينا أن نقسم البحث إلى مدخل وفصلين وخاتمة تطرقنا في المدخل إلى تحديد مفهوم الأسطورة ونشأتها إضافة إلى أنواع الأسطورة، وأهميتها في الخطاب الشعري. وتناولنا في الفصل الأول تجليات التوظيف الأسطوري في ديوان سميح القاسم الذي تضمن الأساطير اليونانية، والفرعونية، والبابلية في حين تضمن الفصل الثاني الرموز التي تعددت مصادرها في شعر سميح القاسم بين الرمز الديني التي يحاول من خلالها محاورة الوضع العام لدى الشعب الفلسطيني أنهينا والتاريخي البحث بخاتمة اتبعنا في تنظيم هذه الخطة المنهج الوصفي التحليلي باعتباره أنسب المناهج لهذا النوع من الدراسة القائمة على الوقوف على مواطن الأسطورة في الديوان ومن بين المراجع التي ساعدتنا، وأسهمت في اختيارنا لهذا الموضوع، وهي في مجملها

دراسات سابقة أسطورة الموت والانبعث لريتنا عوض حيث ركزت على اساطير الموت والانبعث في النص الشعري، ودراسة علي عشري زايد" استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر"، ودراسة عبد الرضا علي " الاسطورة في شعر السياب" هذه المراجع وأخرى ساهمت في تحديد مسار البحث فكانت خير عون، وقد واجهتنا صعوبات عدة منها تشعب المادة الأسطورية.

إلا أننا توصلنا الى مجموعة من النتائج منها: الأسطورة كانت ملاذ الشاعر للتعبير عن المعاناة والصراع والعذاب، إذ وظف سيزيف واوديسيوس في محاولة للرفع من معنويات الشعب الفلسطيني ، أما في محاولة بعث الأمل والحياة فاستدعى تموز واوزوريس.

اهتم سميح القاسم بالرموز والأسطورة لما فيها من دلالات حاملا رسالة تندمج فيها التجربة الماضية بأن الخلاص والبعث لا يكون إلا بالموت والتضحية، كما حضيت الرموز الدينية والتاريخية بنصيب وافر جعلها خلفية للموقف الشعوري الذي عبر عنه ، ومعادلا موضوعيا لما يشعر به .

وظف سميح القاسم الرموز الدينية والتاريخية للحفاظ على هويته الوطنية العربية التي تسعى الصهاينة إلى طمسها كما أكد على قوميته العربية من خلال الكلمة، فتغنى بالثورات وحركات التحرر في الوطن العربي : ثورة اليمن، الجزائر ، وانتفاضة العراق ، وأبرز قضايا أمم أخرى فتضامن معهم مثل كوبا، الكونغو، فييتنام وأفريقيا.

ويبقى الشعر شاهدا على حب الوطن نبذ المنفى.

ملخص:

يتضمن البحث دراسة الأسطورة في ديوان "سميح القاسم" حيث أصبحت الأسطورة والرمز من الأسس التي ينطلق منها الشعراء في بناء إبداعاتهم لما تحمله من دلالات وتكثيف للمعنى ليلقي الضوء على الواقع، ويكشف جوانبه المختلفة. جاءت هذه الدراسة في مدخل وفصلين تناولنا في المدخل بعض المفاهيم في الأسطورة تعريفها، نشأتها، أنواعها، أهميتها وفي الفصل الأول تجليات التوظيف الأسطوري (أسطورة أوديب، سيزيف، أورفيوس، أوزوريس)، أما الفصل الثاني فخصصناه لتوظيف الرموز الدينية والتاريخية التي اعتمد عليها سميح القاسم في ديوانه بإتباعنا المنهج الوصفي التحليلي.

Research summary

This research contains the study of the legende in « SAMIH AL QASEM'S » DIWAN.

Legende amd the symbol become one of the basics used by poetes in thier poems because of their influence in meaning they are used to approach the fact and to examine the different sides of the poem.

This study is coming with an introduction which contains definitions about the legene its start its kinds and its importance.Also ,I divide this study into two chapters .

The first one, cotains the use of the legende in poetry (Odibs legende ,Cizifs , orfaus and ozaris one) .

The second chapter specializes in the relegious and the historical symbols which are used by Samih al Qasem in his book.

Concerning the method I have used in this research is the description and the analysis.